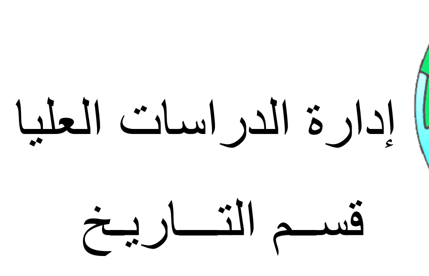
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

جامعة عمر المختار
كلية الآداب - البيضاء




إدارة الدراسات العليا
قسم التاريخ

الحملة الصليبية الثالثة وأثرها على العلاقات بين الشرق والغرب

(1189 – 1192 م / 585 – 588 هـ)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة إجازة التخصص العالي " الماجستير " في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب : وليد صالح محمد

إشراف : الأستاذ الدكتورة

سعاد جواد حسن الأنصاري

العام الجامعي
2009 – 2010 م

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة عمر المختار — إدارة الدراسات العليا

كلية الآداب- البيضاء — قسم التاريخ

الحملة الصليبية الثالثة وأثرها على العلاقات بين الشرق والغرب

(1189 – 1192 م / 585 – 588 هـ)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة إجازة التخصص العالي
" الماجستير " في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب : وليد صالح محمد

تاريخ مناقشة الرسالة : / / 2009 مسيحي

لجنة المناقشة :

الاسم	الصفة	التوقيع
أ.د. سعاد جواد حسن الأنصاري	مشرفاً	....
أ.د محمد عبدالعظيم الصوفي	مناقشاً خارجياً	....
أ.د. صالح مصطفى المزيني	مناقشاً داخلياً	....

د. أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب

يعتمد
الإدارة العامة للدراسات العليا
والتدريب بجامعة عمر المختار

العام الجامعي
2008 – 2009 م

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلَــنْ تَرْضَــى عَنْــكَ الْيَهُــودُ وَلَا
النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ
الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿120﴾}



الآية ﴿120﴾ من سورة البقرة

إهــــــداء

إلى مَن قال الله فيهما : ((وبالوالدين إحساناً))
إلى الغائب الحاضر ، إلى الشمل الذي كان يلمنا ، إلى الدعامة التي كنّا نرتكز عليها ، إلى اليد الكريمة التي كانت تمتد بالحنان وصعدت إلى أكرم منها ، أقول بأنك ستكون كما كنت خير قدوة وسنكون بإذن الله كما تحب ، إلى من اعطاني أملي في الحياة وعلمني الصبر بعد رحيله .

((أبـــي العزيز رحمـه الله))

إلى من رأتني بقلبها قبل أن تراني عيناها ، إلى التي زرعت في قلبي بذرة الأمل ، وعلمتني أن الحياة كفاح ، إلى أغلى ما في الوجود .

((أمـــي الغــالية))

إلى الطباع النبيلة الطيبة ، إلى زهور الشباب النقية ، إلى النور الذي يضيء عيوني ، إلى قلبي النابض بالحياة ، إلى من كانوا للعين نوراً وللقلب بهجةً وسروراً .

((أخوتي وأخواتي))

الشكر والتقدير

أُثنى عل الله وأجله على عظيم فضله إذ يسر لي الأسباب وهيأ لي السبل ومنحني القوة والصبر لإنجاز هذا العمل .

كما أخص بالشكر الجزيل إلى أستاذتي المحترمة الدكتورة : **سعاد جواد حسن الأنصاري** التي تفضلت بالإشراف على هذه الرسالة وجادت علي من فضلها وكرمها . أرجوا أن أؤدي بعضاً من امتناني لها .

وكل الشكر والتقدير إلى الذين دفعوني للتقدم في مسيرتي العلمية ، وأبوا إلا أن يكونوا جنوداً مجهولين لا تفصح الأوراق عن أسمائهم .. بل تظهر أعمالهم فيما أحمله لهم من مودة وإخلاص يصعب إنتزاعهما مهما طال الزمن .

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير للعاملين بمكتب القدس لخدمات الحاسوب الذين تولوا طباعة هذه الرسالة وإخراجها في أجمل حلة وجمعها بعد شتات وأخص بالشكر الأخ المهندس : **طارق النائلي** الذي تولى طباعة هذه الرسالة .

والله من وراء قصد السبيل .

الباحث

المختصرات لبعض الرموز الواردة في الرسالة

أولاً : المختصرات العربية :

الكلمة المختصرة	الاختصار
صفحة	ص
عدة صفحات	ص ص
مجلد	مج
جزء	ج
عدد	ع
توفي	ت
السنة الهجرية	هـ
السنة الميلادية	م
طبعة	ط
بدون مكان نشر	د.م
بدون دار نشر	د.ط
بدون تاريخ	د.ت

ثانياً : المختصرات الأجنبية :

الكلمة المختصرة	ترجمتها	الاختصار
Page	صفحة	P
Page	صفحات	PP
Volume	الجزء	Vol
In the work cited	المرجع السابق	Op.Cit
Encyclopedia of the midde Age	موسوعة العصور الوسطى	Ency . midd .Age

فهرس المحتويات

بســم الله الرحمن الرحيـم

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبعـــــد ،،،

ولدت الحركة الصليبية في غرب أوربا , وهي حركة استعمارية اتخذت شكل هجوم ديني وعسكري على بلاد المسلمين , بخاصة في الشرق الأدنى الإسلامي ,تنبع جذورها من الأوضاع السياسية, والاقتصادية, والاجتماعية, والدينية التي سادت في غرب أوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي , واتخذت من الدين ستارا لتحقيق أهدافها , وظلت هذه الحرب حوالي مائتي عام من الفترة الممتدة من (488 – 690 هـ / 1095 – 1291 م)

بدأت الحملة الصليبية الأولى في الفترة من (488 – 492 هـ / 1095 – 1099 م) وكان هدفها استيلاء مدينة بيت المقدس من أيدي المسلمين , وقد نجحوا في ذلك عام 492 هـ / 1099 م , فضلا عن تأسيس الأمارات الصليبية في الشرق, وهي إمارة الرها, وأنطاكيا, وبيت المقدس, وطرابلس, وكان لها آثرها السيئ وردود أفعال عنيفة في العالم الإسلامي , الأمر الذي استثار بعض الزعماء المسلمين في الشرق الإسلامي ودفعهم إلى القيام بحركة جهاد واسعة ضد الصليبيين .

تناولت هذه الرسالة موضوعاً بعنوان الحملة الصليبية الثالثة وأثارها في العلاقات بين الشرق والغرب (585 هـ – 588 هـ / 1189 – 1192 م) وهو موضوع ذو أهمية خاصة نظراً لافتقار المكتبة الليبية على حدا علمي لدراسة مستقلة قائمة بذاتها تناولت بالتفصيل أحداث الفترة المعاصرة لموضوع البحث, وهذا سبب من الأسباب التي دعت الباحث إلى دراستها , هذا فضلاً عن الرغبة الشخصية والميول العلمية للباحث في التخصص في أسباب تاريخ الحروب الصليبية .

تحاول هذه الرسالة الإجابة على عدد من التساؤلات من بينها , هل نجحت هذه الحملة في تحقيق أهدافها ؟ هل تمكنت الحملة الصليبية الثالثة من إيقاف زحف السلطان صلاح الدين الأيوبي ؟ وما هي نتائج واثر الحملة على العلاقات بين

الشرق والغرب؟ وهل استطاع السلطان صلاح الدين توحيد العالم الإسلامي والتصدي للصليبيين ؟ وما هي أسباب الصراع بين الملكين ريتشارد, وفيليب أوغسطس ونقله إلى الشرق ؟ ولماذا عاد ملك فرنسا فيليب أوغسطس إلى فرنسا؟

واقتضت الدراسة أن تنقسم خطة البحث إلى أربعة فصول , فضلا عن المقدمة والخاتمة :

تضمن الفصل الأول الذي كان بعنوان الأوضاع السياسية العامة قبيل الحملة الصليبية الثالثة, وتضمن مبحثين , خصص المبحث الأول لتوضيح الأوضاع السياسية في الشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الثالثة, وركز هذا المبحث بعد توضيح نتائج الحملة الصليبية الثانية, ثم دور مصر في الصراع الإسلامي الصليبي , ومن ثم جهود القائد صلاح الدين الأيوبي في توحيد مصر وبلاد الشام , ومعركة حطين .

أما المبحث الثاني , فقد خصص للبحث في الأوضاع السياسة في الغرب قبيل الحملة الصليبية الثالثة في الغرب , وتناول هذه المبحث أوضاع الدول الغربية ذات العلاقة بهذه الحملة والتي هي فرنسا – انكلترا – ألمانيا.

تناول الفصل الثاني الذي جاء بعنوان انطلاق الحملة الصليبية الثالثة إلى الأراضي المقدسة, في مبحثين , خصص المبحث الأول لبحث أسباب ودور البابوية في الدعوة إلى الحملة , أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة سير الحملة من بلاد الغرب الصليبي إلى بلاد المسلمين .

أما الفصل الثالث والذي جاء بعنوان الحملة الصليبية الثالثة وتضمن مبحثين تناول المبحث الأول حصار الصليبي لمدنية عكا , أما المبحث الثاني فقد بحث الصراع بين السلطان صلاح الدين والملك ريتشارد قلب الأسد وأسبابه.

وجاء الفصل الرابع والأخير بعنوان نتائج وآثار الحملة الصليبية الثالثة وتضمن مبحثين تناول المبحث الأول نتائج الحملة الصليبية الثالثة على العالميين الإسلامي والمسيحي, أما المبحث الثاني فقد تعرض إلى آثار الحملة الصليبية الثالثة على العلاقات بين الشرق والغرب من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .

ومن الجدير بالذكر هنا أن ننوه إلى أننا مما حرصنا عليه عدم الفصل بين فصول الدراسة الأربعة بغية تحقيق التوازن والانسجام في الإحاطة الشمولية للبحث ، ومع ذلك فقد جاء الفصل الرابع والأخير أقل بكثير من باقي الفصول على الرغم مما بذلناه من جهود ، ولعل ذلك يعود لقلة المادة العلمية المتعلقة بهذا الفصل .

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن تؤتي هذه الرسالة الأهداف التي حددت منذ بدايتها وقد راعينا في كتابة هذه الرسالة المنهج العلمي الدقيق للوصول إلى هذه الحقيقة لتكون جهد متواضع فضلاً عن الجهود المقدمة ولتكون مفتاحاً يساهم في فتح الطريق أمام الباحثين في المستقبل ، راجيين أن يؤدي هذا العمل ثمرته المرجوة منه ، ورفد المكتبة العربية بالدراسات العلمية وتساهم مع ما أنجز وسينجز لخدمة منجزات الأمة العربية الإسلامية .

وأخيراً أدعوا الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما كتبت بغير إدعاء بالكمال فالكمال لله وحده .

لقد امتازت فترة موضوع هذه الرسالة بكثرة وتنوع مصادرها التاريخية عربية أسلامية ومترجمة عرفت بأصالة مادتها وصدق أحداثها وذلك نظراً لمشاركة المؤرخين الذي دأبوا على صياغة الإحداث التاريخية في ذلك الوقت .

ومن أهم المصادر العربية المطبوعة كتاب **[ذيل تاريخ دمشق] لابن القلانسي [ت 555 هـ / 1160 م]** وهو يعد من أهم المصادر الأصيلة في تاريخ الشرق الأدنى الإسلامي بصفة عامة حيث تناول أحداث المنطقة منذ بداية

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وحتى وفاة المؤلف , وهو بذلك يشمل جزء مهم من الفترة موضوع الرسالة , وكانت مدينة دمشق محورا تدور حوله الإحداث التاريخية , الأمر الذي أوضح العديد من الأحداث التي تتناولها الرسالة , وهو بذلك يعد شاهد عيان على أحداث الصراع الصليبي الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالحملة الصليبية الثانية , وهو الاستيلاء على مدينة دمشق من قبل القائد نور الدين محمود , وعلى الرغم من أن الكتاب يحمل عنوان تاريخ دمشق فإنه لا يقتصر عليها فهو تاريخ للعالم الإسلامي عامه ينظر إليه من مدينة دمشق, وقد غدا الكتاب المصدر الأول لتاريخ دمشق , لدى المؤرخين و لقد أفاد هذا المصدر الدراسة في فصلها الأول وخاصة فيما يتعلق بنتائج الحملة الصليبية الثانية .

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت عليها الرسالة كتاب باسم **(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ابن شداد [ت 623 هــ / 1238 م]** ويعتبر هذا الكتاب واحدا من أهم المصادر التي تناولت حياة السلطان صلاح الدين, فقد قرب السلطان صلاح الدين مؤلف هذا الكتاب وعينه قاضيا على الموصل وظل بها حتى وفاته , وبذلك كان شاهدا على أعمال السلطان صلاح الدين الايوبى , خاصة و قد لازم السلطان صلاح الدين في أحداث الحملة الصليبية الثالثة حيث أنه قد ألف هذا الكتاب لبيان صفات السلطان صلاح الدين وشخصيته وجهاده ضد الصليبين , وبذلك أمدنا بالتفصيل مهمة لحياة هذا السلطان وأحداث الحملة, كذلك وضع أسباب صلح الرملة مع الصليبيين , فضلاً عن تفصيل الصراع مع الملك ريتشارد فهو يعد مؤرخا وسفيرا للسلطان صلاح الدين في هذه المرحلة وبذلك يعتبر من المدافعين عن السلطان صلاح الدين .

ومن المصادر التي اعتمدت عليها الرسالة أيضاً كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة [ت 665 هـ / 1266 م]** ويقصد بالدولتين دولة نور الدين محمود, وصلاح الدين, وقد اشتهر الكتاب بتعليقاته الصغيرة , ومقتطفاته المقتبسة بمهارة بارعة, فأصبح كتابا متوازناً في تاريخ الفترة الممتدة بين مطلع العصر النوري [حوالي 540 هـ / 1144 م] إلى وفاة صلاح الدين [589 هـ / 1193 م] إذ عمد الكاتب بجمع مقتطفات حسنة الاختيار محبوكة الرصف بعضها وراء بعض اقتطفها من مختلف المصادر المعاصرة وكان اعتماده فيها بالدرجة الأولى على العماد الأصفهاني, ووثائقه, وبهاء الدين بن شداد, وابن الأثير, وابن ألقلانسي مما أعطى هذا الكتاب أهمية اعتماده على بعض المصادر الضائعة وكثرة اعتماد على الوثائق فضلا عن ذلك فإن شخصية أبى شامة واضحة في الكتاب فهو ينقد, ويناقش, ويضيف ويوضح في إيجاز, ودقة واستشهاد بما شاهد , أو عرف , أو سمع ؛ وهذا بدورة يجعل الكتاب ذا قيمة كبيرة كمصدر موثوق بمختلف فصول الرسالة .

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها مؤلفات **ابن الأثير [ت 630 هـ / 1232 م] , خاصة كتابيه [الكامل في التاريخ] و [التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل]** حيث أهتم ابن الأثير بتدوين الأحداث الجارية, وخاصة أحداث الفترة موضوع الدراسة في كتابه [الكامل في التاريخ] الجزئيين الثامن والتاسع , حيث سرد الأحداث , والعلاقات القائمة بين الصليبيين , والمسلمين من جهة , وبين الدول الإسلامية بعضها بعضا من جهة أخرى , فجاء كتابه شاملاً للتاريخ الإسلامي, وكان من الطبيعي أن يمدنا بمعلومات وافرة عن علاقة الصليبيين, والمسلمين خلال الفترة المذكورة, فضلاً عن نقل أخبار السلطان صلاح الدين الأيوبي , هذا ويعد أسلوب ابن الأثير تطوراً مهماً في الكتابة التاريخية العربية انفرد هو بأحداثه , فلم يكن ابن الأثير مجرد ناقل للمعلومات المتعلقة بأحداث الفترة السابقة على عصره , كما لم يكن مجرد راو لتاريخ أحداث الفترة التي عاصرها , وما شهده بنفسه من أحداثها , بل انه كان صاحب رأي , ناقد لبعض الذين نقل عنهم من المؤرخين, وأيضاً لبعض الشخصيات التي حكى أعمالها, إلى جانب ذلك فإنه على

العكس من المؤرخين المسلمين لم تشغله أهمية حدث معين, أو أحوال منطقة معينة من بلاد المسلمين عن تتبع أحوال ديار الإسلام جميعها وبذلك تميز كتابه بالشمولية, و سعة الأفق , وبدأ وكأنه يكتب تاريخاً لم يعاصره وتناوله بالدراسة والتمحيص قبل تسجيله ,هذا ويعاب على ابن الأثير أنه كان متحاملاً على صلاح الدين حيث حمله بعض الأخطاء العسكرية بعد فتح بيت المقدس , وعده المسؤل الأول عن هذه الأخطاء بسب انه كان قد تربي في البيت الزنكي وهو من المتعصبين لهم حيث ينظر إلى صلاح الدين على أنه مغتصب للعرش الزنكي.

هذا واعتمدت الرسالة على العديد من المصادر الأوروبية المترجمة مثل **كتاب (الحروب الصليبية) لـــ (وليم الصوري)** , الذي يعد شاهد عيان على الحروب الصليبية والأحداث والصراعات التي دارت خلال فترة موضوع الدراسة, وترجع أهمية كتابات وليم الصوري إلى أنه عاش وسط هذه الأحداث حيث ولد في بيت المقدس عام [525 هـ / 1130 م] وتعلم العربية واليونانية واتصل بالملك عموري الأول ثم أصبح في عام [563 هـ / 1167 م] كبيراً لشمامسه مدينة صور وبيت لحم , وقد امتاز بمعرفته الشخصية لأصحاب الحوادث بحكم منصبه الرسمي , وإيمانه الشديد بالحقيقة بوصفه دبلوماسيا وأسقفا مؤدباً ملكياً, ورئيساً لديوان إنشاء مملكة بيت المقدس , بيد أن هذا لا يمنع من الالتزام بالحذر, والدقة في النقل عنه نظراً لتحيزه للجانب الصليبي أكثر من الجانب الإسلامي حيث يتضح من كتاباته مدى تحامله على العرب المسلمين , ومهما يكن من أمر فقد أمدنا وليم الصوري على امتداد كتابه بمادة وفيرة لم ترد في أعمال من سبقوه من المؤرخين , وساعدنا ما أورده من معلومات تاريخية على الوقوف على أحوال الصليبيين المتردية في بلاد الشام عام [567 هـ / 1171 م] ولم يغفل بحسه السياسي أحوال المسلمين وازدياد قوتهم بما أنجزه صلاح الدين الأيوبي من نجاحات في توطيد كلمة المسلمين تحت لوائه.

ومن المؤلفات الأخرى التي اعتمدت عليها الدراسة كتاب **الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)** ويعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية مهمة سجلت تاريخ الحرب الصليبية الثالثة كتبها شاهد عيان في جيش الملك ريتشارد قلب الأسد تعبيراً عن إعجابه بملكيه ريتشارد , حيث قام بجمعها العالم (وليم ستابز) ومن ثم قام

بترجمته الدكتور حسن حبشي ومن ثم حقق الكتاب تحقيقا علميا, وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا حيث أعطانا معلومات مهمة عن خروجه من انجلترا وحتى عودته إليها مخذولاً ولعل ما يلاحظ على هذا المؤلف انه كان من المعجبين بالملك ريتشارد, وهو إعجاب جعله يرسم له صورة بالغة في بعض جوانبها حتى أنه نسب إليه بطولات أنكرها عليه الواقع , وبعض المؤرخين الذين رافقوا الحملة, ويبدو بأن موقفه هذا جاء لكونه كان في جيش الملك الانجليزي, محارباً ,ومؤلفاً أتحفنا بصورة قلميه , ولو لم يقدمها لكنا قد خسرنا الكثير من معالم سير هذا الملك ومن معالم هذه الحرب الشيء الكثير , ولقد أفادنا بمعلومة هذه بشكل خاص في الفصل الثاني والثالث في الدراسة . وفضلاً عن هذه المصادر والمؤلفات فقد اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع عربية ومعربة ووثائق– رسائل بابوية – وان كانت قليله ودوريات ورسائل أكاديمية تطرقت إلى جوانب مهمة من الدراسة.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول
الأوضاع السياسية العامة قبيل الحملة

** **المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الثالثة:**

1. الحملة الصليبية الثانية ونتائجها.
2. دور مصر في الصراع الإسلامي الصليبي.
3. صلاح الدين وتأسيس الوحدة الإسلامية.
4. معركة حطين واستعادة بيت المقدس.

** **المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الغرب قبيل الحملة الصليبية الثالثة:**

1. فرنسا.
2. إنجلترا.
3. ألمانيا.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية في الشرق الإسلامي

قبيل الحملة الصليبية الثالثة

1. الحملة الصليبية الثانية ونتائجها:

في سنة 539 هـ / 1144م شن عماد الدين زنكي بن اقسنقر حاكم حلب والموصل هجوماً على إمارة الرها الصليبية، واستولى عليها بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً ، و هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، وكان سقوط الرها نذير شؤم وصدمة نفسية مؤلمة؛ إذ أن المدينة كانت ترتبط بتراث المسيحية الباكر، كما أن سقوطها بعد أقل من خمسين عاماً من استيلاء بلدوين البويوني عليها كان نذير شؤم بالنسبة للصليبيين[1] .

أما على الصعيد الإسلامي فقد كان نجاح المسلمين بقيادة عماد الدين زنكي تعزيزاً لجهود التوحيد العربية الإسلامية من جهة، وتدعيماً له في مواجهة النعرات الانعزالية من جهة ثانية، كان سقوط امارة الرها في يد المسلمين كسباً كبيراً لأنه جعل وادي الفرات كله منطقة إسلامية، كما ضمن للمسلمين السيطرة على طرق المواصلات التي تربط بين شمال الشام والعراق والجزيرة[2] .

أما في الغرب الأوروبي؛ فعلى الرغم من الحزن الذي عم الناس هناك؛ إلا أن أحد لم يحاول أن يجند حملة صليبية سريعة، وجاء وفد من صليبى الشرق إلى

---

[1] الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص صـ310-311.

[2] قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001، ص صـ139-139.

البابا[*] أيجينيوس الثالث (1145-1153م) بعد اعتلائه العرش البابوي[**] بوقتٍ قصير، ثم جاء اخر وفد من الأرمن يستنهض همم البابوية وملوك الغرب لمحاولة استرداد امارة الرها، وفيما بين سنة 540هـ/1145 وسنة 544هـ/1149م جرت أحداث هذه الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية باسم الحملة الصليبية الثانية[3] .

فقد وصلت قوات كل من كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا اللذين أخذا شارة الصليب نتيجة سقوط الرها في أيدي قوات عماد الدين زنكي إلى الشرق في أواخر سنة 542هـ/1147م وبداية 543هـ/1148، أما موقف الصليبيين في بلاد الشام فلم يكن أفضل حالاً، فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكي لقى مصرعه غيلة بيد أحد غلمانه، من أصل فرنجي يدعى برنقش في 6 ربيع الثاني سنة 541هـ/14 سبتمبر 1146[4] . إلا أن جوسلين الثاني أمير الرها استغل الفوضى في ممتلكات عماد الدين زنكي وقام بهجمة مضادة على الرها إلا أنها فشلت بسبب التصدي لها من قبل القائد نور الدين محمود، خليفة عماد الدين زنكي ووريثه[5] .

انتظر المسلمون والصليبيون ما يسفر عن قدوم الحملة الصليبية الثانية، وبوصول قادة الحملة إلى الشرق، اختلف زعماء الصليبيين في الشام حول الاستفادة

---

[*] البابا : هو اسم أطلق أولاً على جميع الأساقفة نظراً إلى أبوتهم الروحية ، ثم صار في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي يخص أساقفة كرسي الإسكندرية ، وفي الربع الأخير من القرن السادس الميلادي يخص أساقفة كرسي روما ، انظر إلى : اليسوعي ، (الأب صبحي الحموي) ، معجم الإيمان المسيحي ، دار المشرق ، بيروت ، 1998 ، ط2 ، صـ 91 .

[**] البابوية : هي وظيفة مناسبة لأساقفة روما ومؤسسة بابوية لها سلطتها ولها هيبتها ، المرجع السابق ، صـ 92 .

[3] قاسم، المرجع السابق، صـ139.

[4] باركر (أرنست)، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط ، د.ت ، صـ73؛ الحويرى (محمود محمد)، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، ط1، 1992، صـ93.

[5] عاشور، (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1999، ص صـ485-486.

من جيش ا لحملة فكل منهم يريد استغلاله في توسيع منطقة نفوذه؛ لكن الملك لويس قرر الانضمام إلى جيش الملكة ميليسند في مدينة بيت المقدس، وأسرع في ترك مدينة أنطاكية خصوصاً بعد أن أخذت الألسن تتحدث عن علاقات مشبوهة بين الملكة إليانور زوجة لويس وبين سيد أنطاكية ريموند(6) .

بعد أن اكتمل جمع الصليبيين في مدينة بيت المقدس و وصول الملك لويس السابع إليها، كان الملك الألماني كونراد الثالث وصلها قبله بشهر تقريباً، وكذلك عدد من البارونات والأمراءه الأوروبيين الآخرين الذين تطوعوا للقتال تحت راية الصليبيين لإنقاذ إخوانهم في المشرق، وفي 543هـ/1148م دعت الملكة ميلسيند إلى عقد اجتماع في مدينة عكا ليقرر فيه هؤلاء القادة الاتجاه نحو مدينة دمشق والاستيلاء عليها، وبذلك انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الأساسي، الذي أتت من أجله إلى الشرق، وهو القضاء على الزنكيين واسترداد شمال الشام واستعادة الرها(7) .

ولم تلبث الجيوش الصليبية أن زحفت على مدينة دمشق في عدد بلغ حوالي خمسين ألف مقاتل، وقصدت الموضع المعروف بمنازل العساكر، وشرعت في حصار مدينة دمشق في 5 ربيع الأول 543هـ/ 24 يوليو 1148م و في اليومين الأول والثاني من الحصار الذي استمر خمسة أيام، اتخذ الصليبيون موقف الدفاع، فقطعوا الأشجار وصنعوا منها أبراجاً ليتحصنوا بها، وانتشروا في الحدائق والبساتين الواقعة في الجهة الغربية من المدينة(8) .

ضاق الأمر على أهل مدينة دمشق وأيقنوا أن مدينتهم على وشك السقوط في أيدي الصليبيين، غير أن حاكم المدينة معين الدين أنر لم يقف مكتوف اليدين تجاه

---

(6) الشيخ، (محمد محمد مرسي)، عصر الحروب الصليبية في الشرق، الإسكندرية، 2001، ص صـ267-268.

(7) موسى، (تيسير)، نظرة عربية على غزوات الإفرنج، الدار العربية للكتاب، صـ133-134.

(8) ابن القلانسي، (أبو يعلي حمزة أسد بن علي بن محمد التميمي)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهل زكار، سوريا، 1983، ص صـ463، 465.

الحظر المحدق به، فأخذ يهاجم الصليبيين، وبادر بإرسال الكتب إلى ولاة الأطراف، فضلاً عن الأخوين نور الدين محمود صاحب حلب وسيف الدين غازى صاحب الموصل، يطلب النجدة، فتوالت عليه الإمدادات لقتال الصليبيين[9] .

وهنا ارتكب الصليبيون ما يصطلح عليه الآن (خطأً استراتيجياً فادحاً)؛ إذ نقلوا معسكرهم إلى الجهة الشرقية من المدينة، وهي منطقة جرداء خالية من المياه والأشجار، ومن المعروف أو وضع مدينة دمشق من الناحية الطبيعية لا ينعم بأية ميزة، فقلعتها هي الوحيدة من نوعها التي لم تشيد على تل، بل شيدت في أرض سهلة، يقع النهر خلفها[10] ؛ وعندئذ ساء موقف الصليبيين بسبب نقص الأقوات وشدة الحرارة وحاجتهم إلى المواد اللازمة لحصار طويل، في الوقت الذي كان يتهددهم في كل لحظة خطر وصول القوات الإسلامية التي طلبها الحاكم معين الدين أنر لدعم موقفه، ومن ثم لم يجد الصليبيون بداً من رفع الحصار عن مدينة دمشق، والعودة خائبين[11] .

ولم يلبث الإمبراطور كونراد الثالث أن أبحر من مدينة عكا إلى أوروبا في 543هـ/ سبتمبر 1148م في حين قرر الملك لويس السابع البقاء في مدينة بيت المقدس ستة أشهر أخرى، لمشاهدة عيد القيامة بالأراضي المقدسة، ثم ارتحل إلى بلاده في سنة 544هـ/1149م[12] .

وهكذا أخفقت الحملة الصليبية الثانية إخفاقاً تاماً في تحقيق أهدافها، ولم يعد ثمة خطر يهدد المسلمين ببلاد الشام، الأمر الذي ترتب عليه ارتفاع روحهم المعنوية، وضعف هيبة الصليبيين في بلاد الشام، بذلك ألقت مدينة دمشق بين يدي القائد نور الدين محمود فيما بعد؛ وكان كل ما أنجزته أنها أدت إلى تدهور العلاقات بين المسيحيين في الغرب والبيزنطيين، مما كاد يؤدي إلى قطيعة بينهم، إنها بذرت

---

(9) ابن القلانسى,المصدر السابق، صـــ465.

(10) Newby, Saladin in his time, London, 1983, p. 32.

(11) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص صـــ465–466.

(12) Stevenson, The crusaders in the East, Cambridge, 1907, p. 163.

الشكوك بين الصليبيين القادمين حديثاً من الغرب وبين الصليبيين في الشرق[13] ؛ لذلك لا عجب إذا قرر بعض المؤرخين أن فشل الحملة الصليبية الثانية يعتبر نقطة تحول خطيرة في تاريخ الحروب الصليبية، وفي تاريخ الصليبيين في الشرق الأدنى[14] .

كما أنها رفعت الروح المعنوية للمسلمين؛ فتجددت هجمات القائد نور الدين محمود، إذ تم سنة 545هـ/1150م فتح ما تبقى في يد الصليبيين من إمارة الرها، بما في ذلك قلعة تل باشر[*] ، وكذلك حلت الهزيمة بريموند أمير إمارة أنطاكية، ولقى مصرعه سنة (544هـ/1149م)، واستولى القائد نور الدين محمود على مدن عديدة تقع في شرق إمارة أنطاكية، وحاول ملك بيت المقدس بلدوين الثالث (538 –581 هـ/ 1143 – 1163 م)ان يوقف هذه القلاقل والاضطرابات، بتجديد التحالف القديم مع مدينة دمشق من جهة وبازدياد التقرب إلى ما نويل كومنين إمبراطور بيزنطة من جهة أخرى[15] . لقد كان معين الدين أنر حاكم دمشق (545–549 هـ / 1150 –1154 م)لا يزال يمثل عقبة كؤودا في وجه محاولات القائد نور الدين محمود لتوحيد الجبهة العربية الإسلامية، ففي كل مرة كان القائد نور الدين محمود يظهر أمام مدينة دمشق كان الصليبيون يهبون لنجدتها، وعلى الرغم من وفاة معين الدين أنر (544هـ/1149م) وتولي مجير الدين أبق حفيد تاج الملك بوري وهو الذي كان معين الدين أنر يحكم باسمه كان ضعيفاً منحلاً قاسياً وعندما باشر مجير الدين أبق الحكم بنفسه عقب وفاة معين الدين أنر [16]و أن ضعف شخصية حاكم دمشق لن تحمي هذه المدينة من أطماع القائد نور الدين محمود من جهة

---

[13] الحويري، المرجع السابق، ص صـ107، 108؛ الشيخ، المرجع السابق، ص صـ275، 276.

[14] النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد محمد أمين ومحمد على حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ج27، صـ154.

[*] تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن, انظر الى ياقوت الحموي، (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، 1979، صـ46.

[15] باركر، المرجع السابق، صـ77.

[16] قاسم، المرجع السابق، صـ140.

والصليبيين[*] من جهة أخرى، وهكذا انحدر موقف مدينة دمشق إلى أن دخلت تحت حماية الصليبيين، لم ييأس القائد نور الدين محمود من الاستيلاء مدينة دمشق وبعد عدة محاولات، وفي 2 صفر 549هـ/15 أبريل 1154م نجح القائد نور الدين محمود في دخول مدينة دمشق برغبة أهلها الذين سئموا ظلم حاكمهم[17] .

وبسقوط مدينة دمشق في أيدي القائد نور الدين محمود قامت لأول مرة في بلاد الشام منذ وطئها الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى 490 . 492هـ/ 1097 . 1099 دولة إسلامية متحدة [18]تمتد من الرها شمالاً حتى حوران جنوباً يكون مركزها مدينة دمشق، وبعبارة أخرى فإن استيلاء القائد نور الدين محمود حقق نوعاً من التوازن بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام[19] .

وإذا كان الصليبيون باستيلائهم على مدينة عسقلان سنة 548هـ/1153م قد ضمنوا لأنفسهم السيطرة على جميع ساحل بلاد الشام من الإسكندرية حتى غزة، فإن استيلاء القائد نور الدين على مدينة دمشق جعل داخلية بلاد الشام من الفرات حتى نهر بردى في قبضة قوة إسلامية واحدة، ممامثل ضربة مميتة للصليبيين[20] .

بعد توحيد الجبهة الإسلامية وازدياد تماسك هذه الجبهة واستمرار هجمات المسلمين فيها ضد الصليبيين اتجهت الأنظار نحو مصر التي كانت تعاني من الضعف السياسي آنذاك، إذ كانت الخلافة الفاطمية[**] في الطور الأخير من عمرها عارية إلا من بعض ظلال قوتها السابقة ومجدها الغابر، إذ أنهكتها المنازعات

---

[*] حيث تم الاتفاق بين الصليبيين ومدينة دمشق على حماية مدينة دمشق من نور الدين محمود مقابل دفع ضريبة سنوية للصليبيين, انظر الى ابن الأثير، (أبو الحسين علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية الموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة، صـ106.

[17] الحويري، المرجع السابق، ص صـ112-114.

[18] أنظر إلى : دولة نور الدين محمود في ملحق رقم (12) صـ 204 .

[19] الشيخ، المرجع السابق، ص صـ289-290.

[20] عاشور، المرجع السابق، ج1، صـ526.

[**] الخلافة الفاطمية: لقد أسسها عبيد الله المهدي في المهدية قرب القيروان عام 909م وسيطر على كل الجزائر وتونس وليبيا، وفي عهد المعز لدين الله، انتقل مركز الخلافة الفاطمية إلى مصر عام 969, انظر الى موسى، المرجع السابق، صـ164.

الداخلية[21] .

2. دور مصر في الصراع الإسلامي الصليبي:

منذ وزارة بدر الدين الجمال صار الوزراء أصحاب السلطة الفعلية، وبذلك أصبح الخلفاء ألعوبة بأيديهم، كما توالى جلوسهم على كرسي الحكم في إيقاع سريع يدل على مدى الاضطراب والتدهور[22] . وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى زيادة منحنى التدهور في قوة الدولة الفاطمية بالشكل الذي أغرى جيرانها بالطمع فيها، لقد كانت الدولة الفاطمية في ذلك الحين أشبه بالرجل المريض الذي ينتظر الجميع نهايته حتى يحصل كل منهم على ما يستطيع الحصول عليه من تركته[23] .

وبعد اغتيال الوزير الأفضل بن بدر الجمال سنة 515هـ/1121م لم يكن هناك حاكم قوي في مصر يستطيع إدارة دفة الأمور، ودخلت البلاد في دوامة لا نهاية لها من المؤامرات والدماء؛ بحيث أنعشت آمال الأعداء المتربصين خارج الحدود[24] .

فزحف بلدوين الثالث ملك بيت المقدس على مصر في سنة 555هـ/1160م منتهزاً الفوضى التي انتشرت بها عقب وفاة الخليفة الفائز ابن الظافر، وهو في الحادية عشرة من عمره سنة 555هـ/1160م؛ ولكن الخلافة الفاطمية استطاعت أن تصرفه عن عزمه مقابل تعهدها بدفع جزية سنوية قدرها مئة وستون ألف دينار، وإذا كانت هذه الجزية لم يجر دفعها مطلقاً[25] .

وعندما مات الملك بلدوين الثالث في سنة 558هـ/10 فبراير 1163م كان واضحاً أن سياسته الخارجية التي قامت على أساس غزو مصر لم ولن تتوقف، إذ أن سياسة خليفته أماريك الأول (عموري الأول) (558-569هـ/ 1163-1174م)

---

[21] قاسم، المرجع السابق، صـ140.

[22] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، بيروت، دار الكتاب العربي، 1980، صـ332.

[23] قاسم، المرجع السابق، صـ141.

[24] المرجع نفسه، صـ141.

[25] عاشور، المرجع السابق، ج1، صـ539.

كانت في حقيقة أمرها عبارة عن سلسلة من المحاولات الدؤوبة لفتح مصر، وكانت الظروف تحتم تلك السياسة، إذ أدرك الملك عموري الأول أن سقوط مصر في يد القائد نور الدين محمود سيجعل مملكة بيت المقدس بين شقي رحى (محاصرة حصار كماشة)، فضلاً عما كان لمصر من نشاط تجاري هام، وما كان لها من مواني كبيرة على البحرين المتوسط والأحمر مثل ميناء الإسكندرية[26] .

لكن من سوء حظ الملك الصليبي أن القائد نور الدين محمود أدرك أهمية التطورات السياسية الداخلية في مصر على مجريات الصراع الإسلامي الصليبي، وهكذا كان القائد نور الدين محمود والملك عموري الأول على أهبة الاستعداد للفوز بمصر[27] . وأخيراً سنحت الفرصة لتدخل الجانبين، فبعد موت الوزير الفاطمي الصالح بن رزيك سنة 556هـ/1161م اندلع الصراع على كرسي الوزارة بين ابنه العادل الذي مكث في الوزارة خمسة عشر شهراً، شاركه أثناءها شاور حاكم الصعيد الذي قتل ابن رزيك وتولى الوزارة سنة 557هـ/1162م والذي لم يطل بقاءه فيها، إذ خرج ضرغام بن سوار[*] وانتزع منه الوزارة مما حمل شاور على الالتجاء إلى الشام طالباً من القائد نور الدين محمود المساعدة على إعادته إلى منصبه، على أن يكون له ثلث خراج مصر، وأن يكون نائباً له فيها يتصرف بأمره ونهيه بالإضافة إلى دفع نفقات الحملة[28] .

أما الملك عموري الأول فقد اسنغل فرصة تدهور الأوضاع الداخلية في مصر [29]فتذرع بأن الخلافة الفاطمية لم تدفع الجزية التي وعدت بها أخاه بلدودين

---

[26] الحويري، المرجع السابق، صـ128.

[27] المرجع نفسه، صـ129.

[*] هو أحد قادة الجيش يقال له صاحب الباب وهي ثاني رتبة في الوزارة في العصر الفاطمي، ويقال لها الوزارة الصغرى، وهو الذي ينظر في النظام, انظر الى القلقشندي، (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، القاهرة، 1919، صـ554.

[28] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ84؛ ابن واصل، (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب في أخبار بن أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1957م، ص صـ137-138.

[29] أنظر إلى مصر في ملحق رقم (6) صـ 198 .

الثالث، سنة 558هـ/1163م فعبر بقواته برزخ السويس ثم حاصر مدينة بلبيس، ولكن ضرغام الذي انفرد بكرسي الوزارة والسلطة تصدى له وقطع جسور النيل، بحيث شكلت مياه الفيضان وأوحال الدلتا عائقاً رهيباً جعل الصليبيين ينسحبون عائدين إلى مملكة بيت المقدس[30] .

وفى سنة (559 هـ/1164م) استجاب القائد نور الدين محمود لدعوة شاور، وأرسل معة جيشا وجعل على قيادته أسد الدين شيركوه الذي اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين[*] الذي كان في السابعة والعشرين من عمره، وهنا استنجد الوزير ضرغام بالصليبيين وتعهد لعموري الأول مقابل مساعدته أن يعقد معه معاهدة تصبح مصر بمقتضاها تابعة للصليبيين[31] . ولكن مهارة القائد أسد الدين شيركوه وسرعته في قطع الصحراء رغم تقدم سنه جعلته يسبق الصليبيين في الوصول إلى الدلتا، وعند مدينة بلبيس وقعت بينه وبين الجيش الفاطمي بقيادة ناصر الدين همام وفخر الدين همام أخوة ضرغام معركة انهزم فيها الجيش الفاطمي وارتد إلى القاهرة فاتبعه القائد أسد الدين شيركوه، ودخلها وحاول ضرغام الفرار، فقتل عند مشهد السيدة نفيسة في رجب 559هـ/ يونيه 1164 وأعيد شاور إلى وزارته[32] .

ما إن تحقق لشاور غرضه حتى ظهرت منه بوادر الغدر والخيانة بجيش

---

[30] الصوري، (وليم)، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ج4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صـ15؛ رنسيمان، (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج2، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1993، صـ592.

[*] هو صلاح الدين يوسف بن نجم بن أيوب بن شادي، أصله من الأكراد، الرواية إحدى بطون الهندبانية أشرف بيوت الأكراد، ولد صلاح الدين سنة 532هـ/1137م بقلعة تكريت، التي كان والده والياً عليها من قبل عماد الدين زنكي، ثم دخل أبوه في خدمة معين الدين أنر صاحب دمشق، ثم دخل نجم الدين في خدمة نور الدين محمود بعد امتلاكه لدمشق ،انظر الى المقريزي (أحمد بن علي)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: مصطفى زياد، ج1، صـ42؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ555، 556.

[31] أبو المحاسن، (جمال الدين يوسف بن تغردي بردي)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1935، صـ333؛ عاشور، المرجع السابق، ج1، صـ540.

[32] المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء، تحقيق: جمال الدين محمد حلمي أحمد، ج3، القاهرة، 1973، صـ267؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص صـ139،138.

القائد أسد الدين شيركوه ورفض الوفاء بتعهده، وأمر القائد أسد الدين شيركوه بالخروج من مصر والعودة إلى الشام، ورفض أن يعطيه المال الذي تعهد به؛ إلا أن القائد أسد الدين شيركوه رفض مغادرة مصر وقام بالاستيلاء على مدينة بلبيس والشرقية[33] . لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أرسل الوزير شاور إلى الملك عموري الأول كما فعل ضرغام من قبل ووعده بإعطائه مبلغاً كبيراً من المال مقابل مساعدته[*] ، وسرعان ما حضر الملك عموري الأول على رأس جيش إلى مدينة بلبيس، وعندئذ أخذ القائد أسد الدين شيركوه يقوي مركزه في المدينة بعد أن تلقى مساعدات من عرب كنانة بالشرقية، وعندما أخذت جيوش عموري الأول وشاور تحاصر جيش أسد الدين شيركوه في مدينة بلبيس قام القائد نور الدين محمود بتحرك عاجل وسريع ضد الصليبيين في الشام ليخفف من شدة الضغط على قواته في مصر، ونجح فعلاً عندما تم الاتفاق على أن يغادر القائد أسد الدين شيركوه والملك عموري الأول مصر في أواخر سنة 559هـ/1164م[34]

لم يكن انسحاب كل من القائد أسد الدين شيركوه والملك عموري الأول من مصر إلا مكرهين، فقد كان كل منهما يفكر في احتلالها لما لها من خيرات كثيرة وموقع جيد وساعدهما في ذلك ما لمساه من ضعف شديد في قواتها، ولهذا أخذ القائد أسد الدين يتحين الفرصة ويحتال على القائد نور الدين محمود لكي يزوده بجيش قوي وكذلك أبدى تخوفه لنور الدين محمود من هجوم صليبي على مصر

---

(33) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج9، صـ95.

(*) حيث وعد شاور الملك عمورى الاول باعطائة الف دنيار عن كل مرحلة من مراحل زحف عن بيت المقدس الى نهر النيل والتى تبلغ سبع وعشرين مرحلة اضافة الى تكلفة بكل ماتحتاجة خيولة من اعلاف ومنح خاصة لفرسان الاسبتارية التى كانت تشكل عصب جيوش مملكة بيت المقدس انذاك, انظر الى وفاء محمد على قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام القاهرة دار الفكر العربى ط1 1407ه ص26

(34) الصوري، المصدر السابق، ج4، ص صـ32، 33؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ91؛ النويري، المصدر السابق، ج28، صـ334؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، ج5، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 1971، صـ617؛ قلعجي، (قدري)، صلاح الدين الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1966، صـ169.

فيمتلكها[35].

لقد أتيحت الفرصة مرة أخرى لقائد نور الدين محمود عندما أرسل إليه الخليفة العاضد الفاطمي يشكو من استبداد الوزير شاور وظلمه، لذلك بادر القائد نور الدين محمود بإرسال حملة بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر 562هـ/1167م ومعه الأمير صلاح الدين الأيوبي، وسلك في مسيره طريقاً صحراوياً تجنباً لكمائن الصليبيين حتى دخل مصر، وعبر القائد أسد الدين شيركوه نهر النيل وسار حتى بلغ الجيزة فعسكر فيها قبالة مدينة الفسطاط وأقام بها خمسين يوماً[36] .

ما إن علم الوزير شاور بالحملة حتى استنجد للمرة الثانية بالملك عموري الأول الذي بدوره أسرع بقواته من مدينة عسقلان في ربيع الثاني 565هـ/ 30 يناير 1167م فاجتاز غزة والعريش وعندما وصل إلى مصر استقبله الوزير شاور وقواته في مدينة بلبيس ثم اتجه الجيشان وعسكرا في مواجهة قوات شيركوه، وتم عقد اتفاق بين الملك عموري الأول والوزير شاور[*] ، وبعد ذلك استعدت قوات الوزير شاور وعموري الأول لملاقاة القائد أسد الدين شيركوه، ولكنه تمكن من إنزال الهزيمة بالقوات المتحالفة في الموقعة[37] المعروفة باسم البابين [38] .

وبعد الانتصار الذي حققه القائد أسد الدين شيركوه اتجه إلى الفيوم ومنها إلى مدينة الإسكندرية التي فتحت له أبوابها عن طيب خاطر كرهاً للوزير شاور، وانتهت

---

[35] ابن الأثير، التاريخ الباهر، صـ132؛ أبو المحاسن، المصدر السابق، ج5، ص صـ348؛ عاشور، (سعيد عبد الفتاح)، مصر والشام في عصر الأيوبيين والممالك، بيروت دار النهضة العربية، ص صـ15-16.

[36] ابن الأثير ، التاريخ الباهر صـ132؛ عاشور، المرجع السابق، صـ16؛ الحويري، المرجع السابق، صـ137.

[*] يقضي هذا الاتفاق بأن يدفع شاور مبلغ أربعمائة ألف دينار للصليبيين مقابل طرد شيركوه من مصر على أن يدفع المبلغ مقدماً وتم هذا الاتفاق بمباركة الخليفة الفاطمي , انظر إلى الصوري، المصدر السابق، ج4، ص صـ45-46.

[37] انظر إلى : موقعة البابين في الملحق رقم (10) صـ 203 .

[38] الصوري، المصدر السابق، ج4، ص صـ45، 46؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ92؛ البنداري، (الفتح علي بن محمد)، سنا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للأصفهاني، ج1، تحقيق: رمضان شيشة، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 1971، ص صـ150، 151؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص صـ602-603.

هذه الجولة من الصراع حول مصر بأن أرسل القائد أسد الدين في طلب الصلح، وأوفد من قبله أحد أسرى موقعة البابين وهو أرنولف صاحب تل باشر سابقاً، واقترح أن ينصرف كلاهما عن مصر، و ذلك بسبب الصعاب التي لاقاها أسد الدين شيركوه، وصلاح الدين في هذه الجولة، كما وافق عموري الأول بدوره نظراً لقيام القائد نور الدين محمود بمهاجمة أملاك الصليبيين بالشام كعادته، وعاد القائد أسد الدين إلى بلاده في 18 ذي القعدة 562هـ/5 سبتمبر 1167م[39] .

غادر الملك عموري الأول مصر، بعد أن تم الاتفاق مع الوزير شاور على أن تكون للصليبيين حامية في القاهرة، بالإضافة إلى ذلك تدفع مصر جزية سنوية قدرها مئة ألف دينار، فكانت هذه الحامية السبب المباشر في رجوع القائد أسد الدين شيركوه للمرة الثالثة إلى مصر، فقد قامت هذه الحامية بمكاتبة الملك عموري الأول بعد أن اطلعت على ضعف مصر وخلوها من التحصينات والمواقع[40] .

تردد الملك عموري الأول في التوجه إلى مصر لا بسبب التخلي عن أطماعه في مصر ولكن بسبب حاجته إلى قوة خارجية تساعده على تحقيق أطماعه، واستعان هذه المرة بالامبراطورية البيزنطية، وعقد حلفاً مع الإمبراطور مانويل كومنين، على أن يقوما بحملة مشتركة ضد مصر، ويبدو أن الإمبراطور كان مشغولاً في البلقان عندئذ، لم ينتظر عموري الأول وانفرد بالهجوم على مصر[*][41] .

وعندما دخل الملك عموري الأول في المحرم سنة 564هـ / أكتوبر 1168م

---

[39] الصوري، المصدر السابق، ج9، صـ95؛ أبو شامة، (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عثمان)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي أحمد، ج1، القاهرة، بولاق، 1278هـ، صـ365، الحويري، المرجع السابق، ص صـ139-140.

[40] ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص صـ155-156؛ أبو المحاسن، المصدر السابق، ج5، صـ350.

[*] كان السبب الذي جعل عموري الأول ينفرد بالهجوم على مصر هو أن كبار رجال الملك وباروناته، قد رفضوا أن يشاركهم البيزنطيين مصر، كذلك تنكر شاور لالتزاماته لعموري الأول، وعدم وفائه بتعهداته , انظر الى الصوري، المصدر السابق، ج3، ص صـ102-103؛ عطا، (زبيدة محمد)، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين، ط2، 1994، صـ16.

[41] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص صـ102-103؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص صـ612-613؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صـ19.

لمس انقلاباً كبيراً فـي موقف المصـريين، فقد قاومتـه مدينـة بلبيس فاستخدم العنف للاستيلاء عليها، وكان أن حرق الوزير شاور مدينـة الفسطاط، وبدأ يعد العدة للدفاع عن مدينة القاهرة[42] .

كان الخليفة الفاطمي العاضد قد كتب إلى القائد نور الدين يستنجد بـه من الصليبيين؛ ولكـي يكسب الوزير شاور الوقت انتظاراً لقدوم نجدات القائد نور الدين محمود أرسل إلـى الملك عموري الأول يعرض عليـه الصلح والجلاء عن مصر، مقابل دفع أربعمائة ألف دينار يعجل منها مئة ألف دينار، وأخذ الوزير شاور يماطله في باقي المبلغ حتى قدوم جيش القائد نور الدين محمود[43] .

سير نور الدين محمود القائد أسد الدين شيركوه واصطحب معه صلاح الدين الأيوبي[*] وساروا إلـى مصر، فلما دخلوا مدينـة القاهرة ، فاستقبلهم الخليفة العاضد، وخلـع عليـه سنة 564هـ / 1168م ، أما بالنسبة للملك عموري الأول فقد عاد إلـى مدينـة بلبيس فجمـع قواتـه وقرر فـي ينـاير565هـ /1169م مغادرة البلاد عائداً إلـى المملكة[44] .

أدرك القائد أسد الدين شيركوه والأمراء النوريين أن الأمر لا يمكن أن يستقيم لهم في مصر مع وجود الوزير شاور؛ لذلك اتفق القائد أسد الدين شيركوه مع الأمير

---

(42) ابن واصل، المصدر السابق، ج1، صـ157 .

(43) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ص،138-139؛ ابـن واصـل، المصـدر السـابق، ج1، صـــ158؛ الحويري، المرجع السابق، صـ146.

(*) وقد أصر نور الدين على أن يخرج رفقة عمه، ولم يدر صلاح الدين أن ذلك كان من حسن طالعـه وأن اشتراكه في هذه الحملة كتب مستقبله الزاهر، وخير ما قال ابن الأثير: "أحب نور الـدين سـير صـلاح الدين وفيه ذهاب بيته، وكره صلاح الدين المسيرة وفيه سعادته وملكه، ويشير ابن شداد إلى أن صلاح الدين قال له: كنت أكره الناس على الخروج في هذه الدفعة الموقعة الحملة، وما خرجـت مـع عمـي باختياري، ويعقب ابن شداد على ذلك قائلاً: هذه معنى قوله ﷻ: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْـرٌ﴾" انظر الى ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ100؛ ابن شداء (بهاء الدين)، سيرة صـلاح الـدين المسماة بالنوار السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1964، صـــ39؛ الحويري، المرجع السابق، صـ146.

(44) الصوري، المصدر السابق، ج4، ص صـ110-111؛ ابن واصل، المصدر السـابق، ج1، صـــ161؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ617.

صلاح الدين الأيوبي على قتل الوزير شاور فقتلوه في 17 ربيع الأول 564هـ/18 يناير 1169م، ولذلك أصبح القائد أسد الدين شيركوه وزيراً بتأييد من الخليفة العاضد، ولم يطل العمر بأسد الدين شيركوه إلا شهرين حيث توفي في 22 جمادي الآخر 564هـ/23 مارس 1169م فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي(*) (45).

بعد أن تقلد صلاح الدين الأيوبي الوزارة سنة 564هـ/1169م وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين، قام بها على أحسن وأكمل وجه، واستفاد من ضعف الخليفة العاضد، ومع هذا كله أصبح نائباً عن القائد نور الدين محمود، والخطبة له في المساجد بعد الخليفة العاضد، ولا يتصرف إلا عن أمره ونهيه، ولكنه لم يلبث أن بدأ يواجه المشاكل الداخلية والمعارضة من رئيس بلاط مصر وهو خصي نوبى اسمة جوهر(مؤتمن الخلافة) حيث اتفق جوهر مع جماعة من الأمراء المصريين على مكاتبة الفرنج من أجل التخلص من الوزير صلاح الدين(46) . ولكن لم يكتب لهذه المؤامرة النجاح لأن الوزير صلاح الدين أحبطها وألقى القبض على جوهر، وانتهى الأمر بقتله، ثم لجأ الوزير صلاح الدين إلى إبعاد جميع الخدم (الخصيان) عن قصر الخلافة الفاطمية، الأمر الذي أثارهم، فقاموا بثورة في مدينة الفسطاط، وقد اضطر الوزير صلاح الدين لإخماد هذه الثورة إلى إشعال النار في مساكنهم مما حملهم على طلب الأمان، فأمنهم، وأمرهم بالخروج إلى الجيزة(47) . ولكن الوزير صلاح الدين أرسل إليهم أخاه توران شاه في (فرقة من الجيش)، فأعمل فيهم

(*) **جاء صلاح الدين للوزارة بإشارة من مستشاري الخليفة العاضد من اجل التخلص من تنافس الأمراء وتوليه هذا المنصب لأنه أصغر أمراء ، وأقله جماعةً ، فيسهل السيطرة عليه فلا يعمل إلا بأمره وبمشورته فأرسل إليه وقلده الوزارة ، ولقبه بالملك الناصر .انظر الى النويري ، المصدر السابق ، ج28 ، صـ 359 ؛ أبو المحاسن ، المصدر السابق ، ج6 ، صـ صـ 16 – 17 .**

(45) **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص صـ100–101؛ التاريخ الباهر، ص صـ140–141؛ ابن شداد، المصدر السابق، ج2، صـ618؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ318.**

(46) **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ102؛ ابن الفرات، (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي)، تاريخ الدول والملوك، تحقيق: حسن محمد صلاح الدين، بيروت، دار الجيل، صـ50.**

(47) **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص صـ103–104؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص صـ174–177؛ ابن الفرات، المصدر السابق، مج4، صـ69–72.**

السيف[48] .

أما الخطر الثاني الذي واجه الوزير صلاح الدين هو حصار الصليبيين لمدينة دمياط في سنة 565هـ/1169م؛ حيث بدأ الصليبيون يشعرون بالخطر يهدد دولتهم، وأدركوا أن توحيد مصر والشام في دولة واحدة قد وضع مملكة بيت المقدس بين فكي كماشة من الشمال والجنوب، لذلك لم يجد الملك عموري الأول بداً من إرسال السفارات إلى ملوك أوروبا[*] من أجل التعاون على إعداد حملة صليبية لإنقاذ الصليبيين في المشرق[49] .

لم يستجب لهذه الدعوة إلا الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين الذي قام بإرسال أسطول كبير[**] إلى مصر، وفي نفس التوقيت تحرك الملك عموري الأول بقواته براً من مدينة عسقلان إلى مصر، وقاموا بمحاصرة مدينة دمياط براً وبحراً، ولكن لم يستطع الأسطول البيزنطي من الاستيلاء على ميناء مدينة دمياط بسبب المآصر[***][50] أرسل الوزير صلاح الدين جيشاً إلى مدينة دمياط لمساعدتها في محنتها، وجعل على قيادته خاله شهاب الدين الحارمي، وابن أخيه تقي الدين عمر، وفي نفس الوقت أرسل إلى القائد نور الدين محمود طالباً منه المساعدة في التصدي

---

[48] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ557.

[*] وهنا يقصد كل من فريدريك بربروسا إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا، وهنري الثاني ملك إنجلترا، ووليم الثاني ملك صقلية، وفيليب كونت فلاندر انظر الى الصوري، المصدر السابق، ج4، صـ115.

[49] الصوري، المصدر السابق، ج1، صـ116؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، صـ179؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ321.

[**] لقد أعد أسطولاً ضخماً مؤلفاً من مئة وخمسين سفينة حربياً مسلحاً تسليحاً متقناً، وستين سفينة لنقل الخيول، وحوالي من عشرة إلى عشرين سفينة لنقل المؤن وآلات الحرب ,انظر الى Stevenson, op cit, p. 196

[***] المآصر: وهي السلاسل الحديدية الممتدة بعرض الميناء لتمنع دخول سفن الأعداء, انظر الى عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ560.

[50] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ105؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص صـ180-181؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ322.

للصليبيين[51] .

وعلى الرغم من فرض الحصار على المدينة إلا أن الصليبيين لم يستطيعوا الدخول اليها بسبب الإمدادات المتواصلة براً وبحراً ، بالإضافة إلى نشوب النزاع بين الملك عموري الأول والقوات البيزنطية، ونتيجة لذلك فشل الحصار المضروب على مدينة دمياط ، ورجعت الحملة الصليبية مهزومة إلى مدينة عسقلان في 28 ربيع الأول 565هـ/21 ديسمبر 1169م[52] ، لقد أصبحت الوحدة بين مصر والشام هدفاً ملحاً للقائد نور الدين محمود، ولن يتأتى ذلك إلا بإسقاط الخلافة الفاطمية نهائياً، والتي تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق ذلك، ففي الوقت الذي استقامت الأمور، ودانت مصر للوزير صلاح الدين، وما تبع ذلك من ضعف أمر الخليفة الفاطمي العاضد، أرسل إليه القائد نور الدين محمود يأمره بإقامة الخطبة للخليفة العباسي في سائر أنحاء مصر، فاعتذر الوزير صلاح الدين[*] بالخوف من المصريين خشية أن يقوموا بالثورة عليه لولائهم للفاطميين[53]. لم يكن في وسع القائد نور الدين محمود الذي كان حريصا على استكمال الوحدة بين مصر والشام لضرب الصليبيين أن يقبل برد الوزير صلاح الدين ولا بحجته لذلك أرسل إليه وألزمه بقطع الخطبة للخليفة [54] .

---

[51] ابن واصل، المصدر نفسه، ج1، صـ181؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ42-43؛ عاشور، مصر والشام، صـ25.

[52] الصوري، المصدر السابق، ج3، ص صـ123-124؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص صـ625-626؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ561؛ الحويري، المرجع السابق، صـ155.

[*] هذا ولا يستبعد أن يكون سبب امتناع صلاح الدين عن الامتثال لطلب نور الدين كما يرى بعض المؤرخين هو الخوف من نور الدين، وأنه يريد بقاء الخلافة الفاطمية ليحافظ على مركزه أولاً ثم بعد ذلك يستقل بمصر عن نور الدين محمود هذا ما يؤكده ابن الأثير، فيذكر: "وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفاً من نور الدين فإنه يخافه أن يدخل إلى الديار المصرية يأخذها منه، فكان يريد أن يكون العاضد معه حتى إذا قصده نور الدين امتنع به وبأهل عليه". الكامل في التاريخ، ج9، صـ111؛ كما يذهب ابن خلدون إلى مثل ذلك، فيذكر: "يماطل ذلك حذراً من استيلاء نور الدين عليه، ويتعذر بتوقع المخالفة من أهل مصر في ذلك". المصدر السابق، ج4، صـ172.

[53] ابن الفرات ، المصدر السابق ، مج4 ، ج1 ، صـ162 ؛ تيسير بن مرسي ، المرجع السابق ، صـ صـ130-131.

[54] ابن الأثير ، التاريخ ، صـ156 ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، ج2 ، صـ200.

والحقيقة أن مسألة تحويل مصر من الولاء الفاطمي إلى الولاء العباسي لم يكن أمراً سهلاً وميسوراً في دولة كانت تحتضن دعوة منظمة لها كيانها ودستورها ودعاتها المتعصبون لها لأكثر من قرنين من الزمان، وعلى كل حال فلم يجد الوزير صلاح الدين أمام إصرار القائد نور الدين محمود إلا تنفيذ أوامره، فبادر بإسقاط الخطبة للفاطميين، ودعا للعباسيين على منابر مصر، وكان ذلك في أول جمعة من المحرم سنة (567هـ / 1171م) وقد سهل مرض الخليفة العاضد ذلك، وتوفي وهو لا يعلم بذلك في نفس العام الذي أسقط فيه اسمه من الخطبة، وانتهت بوفاته دولة الفاطميين، وزالت من الوجود بعد قرابة قرنين ونيف من الزمان[55] . ولم تلبث الخلافات أن دبت بين الوزير صلاح الدين وسيده نور الدين محمود، عقب سقوط الخلافة الفاطمية بسبب تحديد علاقة الطرفين بعضهما ببعض، على أن استياء القائد نور الدين محمود من مسلك نائبة في مصر، جعله يستعد للزحف على مصر لتأديب الوزير صلاح الدين، الأمر الذي أزعج الوزير صلاح الدين وأخذ يفكر في ملجأ يلتجئ إليه[*] خوفاً من القائد نور الدين محمود، ولكن موته المفاجئ بعلة الخوانيق (الذبحة الصدرية) في 11 شوال 569هـ/15 مايو 1174م جعل الميدان خالياً أمام صلاح الدين[56] .

بموت العاضد ونورالدين اصبح الميدان خاليا أمام صلاح الدين ولكن هذا

---

(55) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص.صـ111-112؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ200؛ ابن الفرات، المصدر السابق، مج4، ج1، ص. صـ161-163؛ زكار، (سهيل) الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج14، دمشق، 1994، صـ301؛ الحويري، المرجع السابق، صـ158.

(*) لقد أشار عبد القادر أحمد يوسف على أن صلاح الدين فكر في ضم برقة، قصد من وراءها إيجاد إمارة احتياطية في حالة استيلاء نور الدين على مصر التي فتحت سنة 1172-1173م؛ إلا أنها لا تصلح له لصعوبة الدفاع عن سواحلها الطويلة، لذلك أرسل صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه في أواخر سنة 1172م لفتح النوبة ثم اكتشف صلاح الدين أن بلاد النوبة فقيرة، فأرسل أخاه توران شاه إلى اليمن في 1174م حيث أخضعها وضمن تبعيتها لصلاح الدين, انظر الى ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص.صـ118-119؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ46؛ عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، بيروت، المكتبة العصرية، 1969، صـ135.

(56) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص.صـ158-159؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ49؛ عمران، (محمود سعيد)، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م، بيروت، دار النهضة العربية، 1990، ص.صـ115-116.

لايعنى انه اصبح الوريث الوحيد للقوتين الفاطمية والنورية، وإنما كان صلاح الدين يواجه متاعب جمة من جانب أتباع الفاطميين في مصر، الذين اتصلوا بالباطنية(*) في بلاد الشام وبالصليبيين في مملكة بيت المقدس وبملك صقلية وليم الثاني، ليقوم الصليبيون وحلفاؤهم بغزو مصر براً وبحراً في الوقت الذي يقوم فيه المعارضين بفتنة داخلية ضد صلاح الدين، وكان زعيم الشيعة في مصر ورأس هذه المؤامرة الشاعر عمارة اليمني، وبعض أتباع الخلافة الفاطمية الزائلة(57). و استعد ملك صقلية وليم الثاني للمشاركة في غزو مصر، واستعد الملك عموري الأول لقيادة حملة عن طريق براً إلى مصر، ولكن المؤامرة قد انكشفت بذلك وقف صلاح الدين على تفاصيلها وبذلك قد نكل بالمتآمرين وصلب زعمائهم (58) .

(*) **الباطنية أو الإسماعيلية: مؤسس هذه الفرق الحسن بن علي محمود بن جعفر بن الحسين بن الصبح الحميري، وقد عرفت هذه الفرقة بأسماء ثلاثة؛ ففي بلاد الشام عرفوا باسم الحشيشية ومن كان منهم بقلعة الموت يقال لهم الباطنية أو الملاحد، ولقد لعبوا دوراً بارزاً في تاريخ الشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، ولقد حارب نور الدين الباطنية وأبطل شعائرهم في حلب، بذلك تحالفوا مع الصليبيين, انظر الى عشري، (عثمان)، الإسماعيليون في بلاد الشام في القرنين 12، 13، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 1975، صـ15.**

(57) **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ123؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص.صـ243-244؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ329.**

(58) **علي، (وفاء محمد)، المرجع السابق، صـ68.**

3. صلاح الدين وتأسيس الوحدة الإسلامية:

لم يلبث الملك عموري الأول(*)أن توفي في 11 يوليو 569هـ/1174م بمدينة بيت المقدس مقهوراً على فشل المؤامرة[59] . إلا أن أسطول النورمان(**) وصل في يوليو سنة 1174م وهو لا يعلم شيئا عن المؤامرة ووفاة الملك عموري الأول، فلم يشأ أن يعود أدراجه خاوياً، وفضل مهاجمة مدينة الإسكندرية، ولكنها واجهته مقاومة باسلة من حامية المدينة وأهلها، فضلاً عن وصول صلاح الدين بجيشه، فهاجم النورمان وأغرق بعض سفنهم وأنزل بهم الهزيمة، وبذلك اضطر النورمان إلى الانسحاب إلى جزيرة صقلية[60] . لقد كانت وفاة القائد نور الدين محمود خسارة كبرى للمسلمين، لقد خلفه في الحكم ابنه الصالح إسماعيل، وعمره لم يتجاوز إحدى

(*) جاءت وفاة الملك عموري الأول ضربة شديدة للصليبيين في بلاد الشام، واعتلى عرش المملكة بعده ابنه بلدوين الرابع 569هـ/1174م، وكان مريضاً بالجذام وكان في الثالثة عشرة من عمره مما جعله يسلم أمور المملكة إلى أحد الأمراء وهو ميلون دي بلانسي الذي لقى حتفه في مدينة عكا، ومن ثم تولى الوصاية ريموند الثالث أمير طرابلس، ولقد انتهت وصايته على الملك سنة 572هـ/1177م لبلوغ الملك سن الرشد 16 سنة, انظر الى الصوري، المصدر السابق، ج4، ص.صـ174-175؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ333.

(59) الصوري، المصدر السابق، ج4، صـ161؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صـ35.

(**) النورمان: (Normans) هم من الفايكنج الذين اتخذوا من غرب أوروبا وجهتهم، وكلمة النورمان مشتقة من North man أي الشماليين، وكان هذا الفرع من الدانيين قد اتجه صوب غالة منذ أوائل القرن التاسع الميلادي، وحاول ملوك غالة مقاومتهم تارة بالتصدي لهم وتارة أخرى بدفع الأموال من أجل شراء السلام معهم ومهادنتهم، إلى أن انتهى الأمر بمفاوضة ملك الفرنجة شارل الساذج مع قائدهم رولو عام 911م، واعتنق النورمان المسيحية واتخذوا من رون (Roun) عاصمة لهم، وقد أطلق عليهم العرب اسم المجوس، أي عباد النار؛ لأنهم كانوا يشعلون النار في الأماكن التي ينزلون بها، فظن العرب أنهم من عبدة النار. أنظر نظير سعداوي، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1958، ص59 ؛ وفاء بن عبد الله المزروع، النورمان وآثارهم السياسية والحضارية، مقالة منشورة بمركز بحوث الشرق الأوسط، العدد 171، 1994م؛
Encyclopedia of the meddle ages , New York 1995 , p. 342.

(60) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ129؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ56؛ الحويري، المرجع السابق، صـ167؛ منال محمد السيد عبد الحميد، القوى البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط زمن الحروب الصليبية حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2000، صـ57.

عشرة سنة، لقد سببت وفاة القائد نور الدين محمود خرقاً واضح المعالم في الصف الإسلامي، وتصدعاً خطيراً في الجبهة الإسلامية المتحدة[61] . فقد أثار صغر سن الملك الصالح إسماعيل أطماع الأمراء النوريين، وبدأوا يتنازعوه فيما بينهم على الفوز بالوصاية عليه، فكل فريق منهم يرى أنه أحق من غيره بالوصاية، فحزب الحلبيين يتزعمه سعد الدين كمشتكين، وحزب الدمشقيين ويتزعمه شمس الدين الملقب بابن المقدم[62] ، وكان الوزير صلاح الدين يراقب الأمور في الشام، ولكنه آثر عدم التدخل فيها في بداية الأمر، واستمر على ولائه لنور الدين محمود في صورة ابنه الملك إسماعيل، وخطب له على المنابر في مصر، وضرب السكة باسمه[63] . كان الوزير صلاح الدين مؤمناً بأحقيته في أن يرث نور الدين محمود في رسالته التي كان يقوم بها، وفي جميع أملاكه، وكان يرى أن من واجبه العمل على إعادة ما تصدع في بناء الدولة[64] . وجاءت دعوة ابن المقدم إليه لتعطيه سبباً شرعياً في التدخل في أحداث الشام، حيث استنجد به ابن المقدم على الحلبيين لقيامهم بمهادنة الصليبيين[65] .

في عام 570هـ/1174م خرج صلاح الدين من مصر قاصداً الشام، وعندما وصل دمشق استقبلوه أحسن استقبال[*] ، ثم خرج متوجهاً نحو مدينة حلب، وفي طريقه إليها تمكن من السيطرة على مدينة حمص والرستن وحماة، وعند وصوله

---

[61] عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صـ36.

[62] عاشور، المرجع السابق، صـ36؛ السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، القاهرة، 1963م، صـ737؛ الحويري، المرجع السابق، صـ165.

[63] سالم، (السيد عبد العزيز وسحر السيد عبد العزيز سالم)، تاريخ الأيوبيين والممالك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، صـ74.

[64] الجميلي (رشيد)، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1970، صـ111.

[65] الجميلى المرجع السابق ، صـ110.

[*] لقد استمال صلاح الدين الدماشقة بتوزيع الأموال والهبات، فأنفق في الناس مالاً جزيلاً، وأمر بإزالة المكوس وإبطال ما أحدث القائد نور الدين محمود من القبائح والمنكرات والضرائب، وقد أعلن صلاح الدين لأهل دمشق أنه جاء لتربية الملك الصالح ، انظر إلى ابن الأثير، التاريخ الباهر، صـ177؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ50.

مدينة حلب قام بمحاصرتها؛ ولكنه لم يتمكن من دخولها[*] ، وعاد أدراجه إلى مدينة دمشق، في طريقة اقتحم قلعة حمص وسيطر على مدينة بعلبك[66] . وأمام ما حققه صلاح الدين الايوبى من مكاسب وانتصارات في الشام قام الملك الصالح إسماعيل بالاتصال بسيف الدين غازي حاكم الموصل طالباً منه مساعدته على التخلص من صلاح الدين الايوبى، فجاء بجيشه ورجاله إلى مدينة حلب، فقام صلاح الدين الايوبى بمراسلتهم، وعرض عليهم مدينة حمص، وحماة مقابل أن يتركوا له مدينة دمشق، وأن يكون نائباً فيها للملك الصالح إسماعيل، فرفضوا ، وطلبوا منه العودة إلى مصر[67] . فقام صلاح الدين الايوبى بالزحف على مدينة حلب، وعند أشراف حماة دارت بينه وبينهم معركة في 19 رمضان 570هـ/14 أبريل 1175م تمكن فيها من تحقيق النصر وإنزال الهزيمة بالملك إسماعيل ومن معه من قوات الموصليين، وشدد حصاره حول مدينة حلب، فأرسل الملك الصالح إسماعيل في طلب الصلح، فصالحه صلاح الدين الايوبى، على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، ولهم ما بيدهم، وعاد راجعاً إلى مدينة حماة[68] .

إن ما أسفرت عنه معركةاشراف حماة من نتائج لم تكن لترضي الملك الصالح إسماعيل ، وسيف الدين غازي ، فشرعا في تكوين جيش موحد ، كما اتصلا بالأراتقة في حصن كيفا وماردين للمشاركة في هذا الحلف مقابل إطلاق سراح أمراء الفرنج الموجودين في سجون مدينة حلب ، ومنهم رينو دي شايتون (أرناط) حاكم حصن الكرك وجوسلين الثالث[69] .

(*) بسبب أن صلاح الدين لقي معارضة شديدة من أهل حلب الذين خطب فيهم الملك الصالح إسماعيل فاستجابوا له، إضافة إلى أن الملك الصالح راسل الأمير ريموند الثالث أمير طرابلس والوصي على عرش مملكة بيت المقدس يطلب منه العون، فاستجاب له، وتوجه لمهاجمة مدينة حمص، ليصرف أنظار صلاح الدين عن حلب، وفعلاً اضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عن حلب وإنقاذ مدينة حمص ، انظر إلى عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص.صـ38-39.

(66) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، صـ131-132 ؛ أبو شامة، المصدر السابق ، ج1 ، صـ237.

(67) المصدر السابق، ج9، صـ133.

(68) النويري ، المصدر السابق ، ج28 ، صـ377 ؛ أبو شامة ، المصدر السابق ، ج1 ، صـ247.

(69) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، صـ136.

سار صلاح الدين الايوبى بقواته نحومدينة حلب لضرب هذا التحالف، وعند تل السلطان(*) التقى الفريقان، ودارت معركة عنيفة بينهما سنة 571هـ/1175م انتهت بانتصار صلاح الدين الايوبى، ومزقهم شر ممزق، ولاذ من نجا منهم بالفرار إلى مدينة حلب(70) ؛ فاتبعهم صلاح الدين الايوبى وضيق عليهم الحصار فيها، فلم يجد الملك الصالح إسماعيل من سبيل إلا أن يتصل بصلاح الدين الايوبى، ويطلب منه الصلح، فأجابه إلى ذلك(**) على أن يترك له كل ما يقع تحت يده من مدينة حماة إلى مصر، ويترك له مدينة حلب(71) . بعد أن وقع صلاح الدين الايوبى هذا الصلح رأى أن عليه أن يعود إلى مصر لينظر في أمورها، حيث لم يغب عن ذهنه أبداً أن يقوم الصليبيون بمهاجمة مصر مستغلين عدم وجوده فيها، ومن هنا قرر العودة إلى مصر للقيام بما تحتاجه من تحصينات لمواجهة أي هجوم صليبي مفاجئ يقع عليها(72) .

عاد صلاح الدين الايوبى إلى مصر وشرع في إنشاء الجسور والمستشفيات، كما قرر صلاح الدين الايوبى بناء سور ضخم يحيط بالقاهرة والفسطاط، ويحمي عاصمة البلاد وأهلها من أي هجوم خارجي، كما قام كذلك ببناء قلعة حصينة على جبل المقطم تكون مركزاً للحكم، كما قام بتقوية وسائل الدفاع عن مدينتي الإسكندرية، ودمياط، وزاد من عدد قطع الأسطول وشحنها بالرجال والعتاد(73) .

(*) تل السلطان: موضع يبعد عن حلب حوالي عشرين ميلاً ويتوسط المسافة بين حلب ودمشق, انظر الى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، صـ42.

(70) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ136.

(**) لقد وافق صلاح الدين على هذا الصلح بسبب أن ريموند الثالث أغار على إقليم البقاع؛ ولكنه لقي هزيمة فادحة على يد قوات الأمير ابن المقدم حاكم بعلبك، فحاول الصليبيون الانتقام واعترضوا قوات شمي الدولة توران شاه شقيق صلاح الدين ونائبه بدمشق وتمكنوا من هزيمته وعادوا مسرعين إلى بيت المقدس, انظر الى ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ48؛ الحويرى، المرجع السابق، ص.صـ130-131.

(71) أبو شامة، المصدر السابق، ج1، صـ261.

(72) عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صـ44.

(73) قلعجي، المرجع السابق، صـ289.

بعد أن اطمأن صلاح الدين الايوبى على أحوال مصر، قرر العودة إلى بلاد الشام فوصلها في 573هـ/ نوفمبر 1177م، وفي طريق عودته فوجئ الملك بلدوين الرابع باقتراب قوات صلاح الدين الايوبى منه فتوجه بسرعة إلى مدينة عسقلان وتحصن بها، واستدعى الفرسان الداوية(*) بحصن غزة فلحقوا به ووصلته بعد الإمدادات من أماكن أخرى بالمملكة، وقام بمباغتة صلاح الدين الايوبى في 26 جمادي الأولى 523هـ/25 نوفمبر 1177م بالقرب من تل الصافية(**) ، ودارت بين الطرفين معركة استمرت طوال اليوم حتى دخول الليل، وانتهت لصالح الصليبيين[74]
.

استطاع صلاح الدين الايوبى نفسه النجاة بصعوبة وعاد إلى مصر في حالة سيئة، فوصل مدينة القاهرة وحلف ألا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج[75] . وقد أدى ذلك الانتصار إلى رفع الروح المعنوية للقوات الصليبية، فانتهزوا فرصة غياب صلاح الدين الايوبى عن بلاد الشام ونقضوا الهدنة(***) التي تم الاتفاق عليها سنة

(*) **الفرسان الداوية: الفرسان الداوية: اسسة هوف الباينزى سنة 1118م واطلق علية الداوية لانهم اتخدوا مقرهم بجوار هيكل سليمان بالقدس وكان هدفهم تقديم الخدمات الاجتماعية والانسانية للحجاج القادمين لزيارة الاماكن المقدسة وبعد دلك نضموا قوافل مسحلة لمصاحبة قوافل الحجحاج صارت فيما بعد جزاء من قواتهم المسلحة بعد دلك بدات اهدافهم تتلاشى بالتدريج بعد ان القى على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن الحصون والقلاع لعدم انتظام قدوم القوات من الغرب الاوربى ولقد اتخذوا لانفسهم اشارة بيضاء تميزهم عن الفرسان الاسبتارية ومع مرور الوقت زاد ثراؤهم من كبار الصيارفة فى بلاد الشام فقاموا بعقد المعاهدات مع جيرانهم المسليمن وكان ولاؤهم للبابا مباشرة وتمتعوا بالاستقلال الداتى داخل قلاعهم وحصونهم ولايفوتنى ان اشير الى ان المصادر العربية والمسليمن المعاصرين اطلقوا اسم الداوية نسبة الى محراب داودو, انظر الى مقامى(نبيلة ابراهيم) ,فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشروالثالث عشر, مطبعة جامعة القاهرة, 1994,ص-ص8-46 .**

(**) **تل الصافية: حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جيرين نواحي الرملة ,انظر الى الحموي، معجم البلدان، ج2، صـ43.**

[74] **Stevenson, op. cit, p. 217**

[75] **المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ64؛ الحويري، المرجع السابق صـ172.**

(***) **إن من شروط نقض الهدنة أنه إذا قدم أمير صليبي من الغرب الأوروبي، فمن حق الصليبيين في مملكة بيت المقدس إنهاء تلك الهدنة وتقديم مساعدة له حتى رحيله ،انظر الى Stevenson, op. cit, p. 216**

570هـ/1175م بين صلاح الدين الايوبى وريموند الثالث بصفته الوصي على مملكه بين المقدس. وخرجت قوات المملكة برفقة قوات فيليب فلاندر(*) التي قدمت من الغرب الأوروبي، واشتركت في مهاجمة إقليم شيرز في شمال الشام والقيام بأعمال سلب ونهب بالمنطقة، ولكنهم رفعوا الحصار عن حصن حارم(**) التي ظلوا يحاصرونها أربعة أشهر، فاستعصت عليهم وفشلوا في الاستيلاء عليها، فعاد فيليب بقواته إلى مدينة بيت المقدس، ولم يتمكن من إعادة أي من الأراضي التي استولى عليها المسلمون قبل ذلك من للمملكة(79) .

ولم يكتف الصليبيون بذلك فقاموا في(574هـ / أكتوبر 1178م) بالبدء في بناء حصن بيت الأحزان(***) والذي استمر العمل به ما يقرب من ستة شهور، وأسندوا أمر الدفاع عنه إلى الفرسان الداوية، وكان القصد من بنائه عرقلة قوافل التجار المسلمين المتجهين إلى مدينة دمشق(80) ، وعاد صلاح الدين الايوبى إلى بلاد الشام في(574هـ /ربيع 1178م)، وفي نيته هدم الحصن نظراً لخطورته على طرق التجارة، فقام فرخ شاه ابن شقيق صلاح الدين بإغارة على الحصن وعاد محملاً بالغنائم والأسرى(81) ، ثم خرج صلاح الدين على رأس قواته من مدينة دمشق لملاقاة بلدوين الرابع، وفي 3 محرم 575هـ/10 يوليو 1179م دارت معركة بين الطرفين في سهل مرج العيون في أحد الأودية الضيقة بالغرب في غابة بايناس، حقق فيها

(*) **فيليب الألزاسي كونت فلاندر (1168-1191م)، ويذكر المؤرخ الفرنسي جروسيه Grousset أن سبب قيامه بهذه الحملة يعود إلى رغبة فيليب في التكفير عن قسوته مع أحد الأمراء التابعين له يدعى جوتييه دي فونين الذي ضبطه يخونه مع زوجته، مما دفع فيلب إلى جلده بالسوط حتى فارق الحياة, انظر الــى بطران (محمد رمضان أحمد)، دور الفرنسيين في الحروب الصليبية على بــلاد الشــام، 1145-1240، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، القاهرة، صــ150.**

(**) **حصن حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي الآن من أعمال حلب, انظر الى الحموي، المصدر السابق، ج2، صــ205.**

(79) **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صــ14؛ Stevenson, op. cit, p.p. 216-217**

(***) **بيت الأحزان: بيت الأحزان: بلد بين دمشق والساحل وسمى بذلك لانهم زعموا انة كان مسكن يعقــوب علية السلام ايام فراقة ليوسف علية السلام, انظر الى الحموى, المصدر السابق, ج1 ,ص615 .**

(80) **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص.صــ12-13.**

(81) **أبو شامة، المصدر السابق، ج2، صــ72.**

صلاح الدين انتصاراً حاسماً على بلدوين الرابع وأعوانه وفر من معه إلى قلعة شقيف(*) ، أرنون القريبة من حصن بيت الأحزان، فقصد صلاح الدين الحصن وحاصره وفتحه عنوة، وتم قتل من به من فرسان الداوية المكلفين بالدفاع عنه وهدم أسواره حتى سواه بالأرض[82] . فشعرالملك بلدوين الرابع بحرج موقفه ورأى أنه من الأفضل أن يتفاوض مع صلاح الدين الايوبى من أجل الصلح، وتم الاتفاق بينهما على عقد هدنة لمدة سنتين تبدأ من شهر مايو 576هـ/1180م وتكون قاصرة على مملكة بيت المقدس فقط، بمعنى أنه بمقدور صلاح الدين الايوبى أن يهاجم الصليبيين في شمال الشام، فعلاً تمت مهاجمة مدينة أنطرطوس بواسطة الأسطول المصري في 5 محرم 576هـ / مستهل يونيو 1180م وأحدث بها خسائر كبيرة مما جعل أمير طرابلس ريموند الثالث يعقد هدنة مشابهة مع صلاح الدين الايوبى، في حين ظلت إمارة أنطاكية على تحالفها مع القوى الإسلامية المناهضة لصلاح الدين[83] .

وبعد ذلك عاد صلاح الدين إلى مصر في 576هـ/ يناير 1181م ليطمئن بنفسه على ما تم من إنشاءات جديدة في قلعة الجبل وسور القاهرة، وبناء الأسطول وتجهيز الجيش بما يلزمه من سلاح وعتاد حتى يستعد للمرحلة القادمة من الكفاح[84].

جاءت وفاة الملك الصالح إسماعيل 25 رجب سنة 577هـ/4 ديسمبر 1181م لتفتح الطريق أمام صلاح الدين الايوبى ليستكمل توحيد الجبهة الإسلامية، ولتضع حداً للنزاع بينه وبين أمراء الشام، وغادر مدينة القاهرة في 578هـ/ مايو سنة 1182م ولم يعد إليها مرة أخرى حيث كانت آخر مرة يزور فيها مصر حتى وفاته

(*) **شقيف أرنون: قلعة حصينة في كهف من الجبل من أرض دمشق وبينها وبين الساحل, انظر الى الحموي، المصدر السابق، ج3، صـ356.**

[82] **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص. صـ82-83؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ67.**

[83] **الصوري، المصدر السابق، ج4، ص. صـ154-155؛ الحويري، المرجع السابق، صـ185.**

[84] **المقريزي، المصدر السابق، ج1، صـ77.**

589هـ/1193م[85] . ووصل إلى مدينة دمشق ثم خرج منها متوجهاً إلى مدينة حلب، ثم عدل عنها إلى مدينة الموصل عندما بلغه قيام حاكمها عز الدين مسعود بالتحالف مع الصليبيين لضرب مؤخرة جيشه[86] ، أحكم صلاح الدين الايوبى الحصار حول مدينة الموصل غير أنه لم يتمكن من دخولها، بسبب قيام حاكمها عز الدين مسعود بكل ما يلزم من استعدادات لمواجهة الحصار، من شحنها بالرجال والسلاح والأقوات[87] ، فتركها صلاح الدين الايوبى وتوجه نحومدينة حلب، فقام صاحبها عماد الدين زنكي الثاني تسليمها له مقابل أن يمنحه سنجار[*] وزاده عليها الخابور، ونصيبين[**]، والرقة[***] وسروج [****]، واشترط عليه مساعدته على الصليبيين عن طريق إرسال الجيش، وعين صلاح الدين الايوبى ابنه الظاهر الغازي على مدينة حلب[88] ، بعد ضم مدينة حلب أرسل صاحب أنطاكية بوهيموند الثالث جماعة من أسرى المسلمين وسارع إلى اللياذ بعفو صلاح الدين الايوبى وأمانه، فقبله صلاح الدين لكي يستكمل خططه بتوحيد الإمارات الإسلامية في المنطقة[89] ، بعد أن تمكن صلاح الدين من الاستيلاء على مدينةحلب عاد إلى مدينةالموصل عام (581هـ/1185م) وضرب حولها الحصار، فاضطر حاكمها عز الدين مسعود أمام طول الحصار وشدته لمراسلة صلاح الدين الايوبى، حيث دارت بعض المفاوضات انتهت بتوقيع الصلح بينهما عام (582هـ / 1186م) تعهد فيه عز الدين مسعود

---

[85] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صــ153.

[86] قلعجي، المرجع السابق، صــ289.

[87] عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صــ42.

[*] سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام, انظر الى الحموي، ج3، صــ262.

[**] نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة تقع بين سنجار الموصل، وهي كثيرة الزروع والبساتين, انظر الى الحموي، ج3، صــ216.

[***] الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ,انظر الى الحموي، المصدر نفسه، ج3، صــ59.

[****] سروج: بلدة قريبة من حران، وهي قصبة ديار مضر, انظر الى الحموي، نفسه، ج3، صــ216.

[88] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، صــ162؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ613.

[89] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صــ147؛ الحويري، المصدر السابق، صــ196.

بالمشاركة بجيشه وأمواله في حركة الجهاد ضد الصليبيين، وأن يقطع الخطبة لسلاطين السلاجقة، ويخطب لصلاح الدين الايوبى في سائر أنحاء الموصل، وأعمالها، وأن يضرب السكة باسمه[90] .

وهكذا استطاع صلاح الدين الايوبى أن يوحد الجبهة الإسلامية تحت سلطانه في دولة واحدة من دجلة إلى النيل، وصار في مقدوره المضي قدماً، وبخطى ثابتة نحو تحقيق حلمه الكبير تحرير بيت المقدس من الصليبيين[91] .

أما بالنسبة لأحوال الصليبيين فقد كان الملك بلدوين الرابع مريضاً، لذلك أعلن أن بلدوين الخامس ملكاً وهو لم يتجاوز السادسة من عمره، فعهد بالوصاية عليه إلى ريموند الثالث أمير طرابلس[92] .

ثم توفي الملك بلدوين الرابع في مارس 581هـ/ 1185م، ولحق به الصغير بلدوين الخامس في عكا في سنة 582هـ/ 1186م، لذلك بدأ الصراع بين ريموند الثالث وجوسلين دي كورتناي الذي انضم إلى الأميره سبيلا وزوجها جاي لوزجنان الذي أصبح ملكاً سنة 582 هـ/1186 م، وبذلك يكون جاي لوزجنان بتوليه لعرش المملكة قد زاد انقسام الجبهة الصليبية[*] ، لذلك انسحب ريموند الثالث دون أن

---

[90] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ170؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص.صـ70–71؛ الحويري، المرجع السابق، ص.صـ203–204.

[91] الشامي (أحمد)، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة، دار النهضة العربية، ط1، 1985، صـ167.

[92] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ716؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ355.

[*] فقد انقسم الصليبيون إلى جبهتين؛ واحدة تضم الأميرة سيبيلا وزوجها جاي لوزجنان ومعها رينالد دي شاتيون (أرناط) بطريرك بيت المقدس، وسيطروا على بيت المقدس والموانى الساحلية، وهم يرون ضرورة المبادرة بمهاجمة صلاح الدين، أما الجبهة الثانية فتضم ريموند الثالث وبعض الأمراء الصليبيين الذين يعارضون في تولي جاي لوزجنان لمملكة بيت المقدس، وهم يؤثرون سياسة السلم، لإحساسهم بضعف الصليبيين أمام قوة الجبهة الإسلامية، والتي كانت أكثر تماسكاً, انظر الى عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ325؛ الشامي، المرجع السابق، صـ120؛ عوض (محمد مؤنس)، الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 و13م، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000، صـ206؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ355.

يعترف بجاي ملكاً، واتجه إلى طبرية معتبراً نفسه أحق بالتاج[93] . فعاقبه جاي لوزجنان بانتزاع بيروت[*] من إقطاعاته، فأدى ذلك إلى ارتماء ريموند في أحضان صلاح الدين الايوبى، إذ بادر ريموند بطلب المساعدة من صلاح الدين ضد الملك جاي[94] وحذا حذوه بوهيموند الثالث أمير أنطاكية، الذي سارع بتجديد المهادنة بينه وبين صلاح الدين، وجاء ذلك الانشقاق في صفوف الصليبيين عظيم الفائدة بالنسبة لصلاح الدين الايوبى [95] .

4. معركة حطين واستعادة بيت المقدس:

كانت الخطوة المنطقية التالية لهذه الوحدة هي أن يقوم السلطان صلاح الدين بهجوم إسلامي عام على مملكة الصليبيين في مدينة بيت المقدس متخذاً من أعمال بعض الصليبيين الاستفزازية سبباً مباشراً لهذا الهجوم، ذلك أن أرناط صاحب حصن الكرك الذي يشرف على طريق التجارة والحج بين مصر والشام والحجاز، لوقوعه شرق البحر الميت بالأردن، علم من جواسيسه بمجيء قافلة كبيرة من مصر في طريقها إلى مدينة دمشق تحمل كل غال ونفيس، فأثار ذلك جشعه واستولى عليه وأسر من فيها سنة 582هـ / 1186م، رغم الهدنة المبرمة بينه وبين السلطان صلاح الدين[96] .

وكان كل ما فعله السلطان صلاح الدين عندئذ أنه أرسل إلى أرناط مهدداً، طالباً منه رد الأسرى والغنائم؛ ولكن أرناط أبى ذلك، بل لقد رفض الاستجابة لجاي لوزجنان ملك بيت المقدس، عندما طلب منه الأخير رد الأسرى والغنائم إلى السلطان صلاح الدين، وهكذا لم يبق أمام صلاح الدين إلا الحرب، فقام بحركة تعبئة شاملة

---

[93] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ217-722؛ باركر، المرجع السابق، صـ81؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص.صـ624-625.

[*] بيروت : مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق ،انظر الى الحموي ، المصدر السابق، ج1 ، ص623 .

[94] رنسيمان، المرجع السابق، ج2، ص.صـ725-726؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ356.

[95] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ174؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ357 .

[96] أبو شامة، المصدر السابق، ج2، صـ75؛ محمد (سواري عيد)، ملامح من مخطط صلاح الدين الأيوبي العسكرية في ضوء المفاهيم العسكرية الحديثة، مجلة المؤرخ العربي، الأردن، 1990، صـ41-176.

لجميع قوى المسلمين، وكافة مواردهم البشرية والمادية، استعداداً لحركة جهاد[97] . وقد كانت تلك الحادثة هي الشرارة التي أشعلت نار الحرب من جديد ذلك أن السلطان صلاح الدين لم يجعل صاحب الكرك همه الوحيد بل أخذ يعد العدة ليوقع النكال بالصليبيين قاطباً مصمماً على تطهير البلاد من رجسهم[98] .

وعندما اكتملت استعداداته، غادر مدينة دمشق أواخر المحرم 583هـ / منتصف مارس 1187م وبعد ذلك سار السلطان صلاح الدين إلى بصرى[*] ومنها توجه السلطان صلاح الدين إلى حصن الكرك والشوبك، فنهب وخرب وحرق وأرناط محصور لا يقدر على الدفع عن بلده، كما أرسل السلطان صلاح الدين مظفر الدين كوكبري إلى مدينة عكا[99] . وتجمعت جيوش الصليبيين جميعاً بقيادة جاي لوزجنان ملك بيت المقدس، وريموند صاحب طرابلس، وأرناط صاحب الكرك عند صفورية قرب مدينة عكا[100] ، أما السلطان صلاح الدين و قد دخل طبرية واستولى عليها، وإن كانت قلعتها قد استعصت عليه فتركها مؤقتاً، وعندما علم الصليبيون بسقوط طبرية، قرروا السير نحوه، لذلك أظهرالسلطان صلاح الدين سروره وارتياحه عندما علم بزحف الصليبيين إليه[101] ، وما لبث السلطان صلاح الدين أن تقدم نحو قرية حطين[102] غربي طبرية، ثم وصل الصليبيون مساء يوم 23 ربيع الآخر سنة 583هـ/3 يوليو 1187م إلى سفح جبل طبرية المشرف على سهل حطين، على حين

---

(97) رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ727؛ حبش (حسن)، ذيل وليم الصوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، صـ52؛ الطيان (سعيد)، موقعة حطين ـ دراسة عسكرية، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية للدراسات والتوثيق، 1967، صـ76-78؛ زبير (محمد)، معركة حطين من التمزق إلى الوحدة، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد 1989)، صـ39-174.

(98) العشماوي (محمد عبد المنعم) من معارك العروبة الخالدة (معركة حطين)، مجلة منبر الإسلام (1964)، صـ11-132.

(*) بصرى: هى قصبة كورة حوران بالشام ،انظر الى ابن واصل ، المصدر السابق ، ج2 ، صـ 19 .

(99) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ175؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ624.

(100) ابن شداد، المصدر السابق، صـ75؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ359.

(101) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج9، ص.صـ177-178؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ735؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص.صـ632-633.

(102) انظر إلى : سير معركة حطين ملحق رقم (2) صـ 194.

وجدوا أن المسلمين قد حالوا بينهم وبين مياه بحيرة طبرية، فتعالت أصوات بعضهم بضرورة فتح الطريق إلى البحيرة بالقوة لإرواء عطشهم[103].

وحتى يزيد المسلمون من متاعب الصليبيين أشعلوا النار في الأعشاب والشجيرات الجافة التي تغطي تل حطين فخشي المعسكر المسيحي الدخان الساخن، حتى كادوا يصابون بالجنون لما أصيبوا به من الحرارة والدخان والعطش جميعاً[104]. وتقابل الجيشان في حطين يوم السبت 24 ربيع الآخر سنة 583هـ/4 يوليو 1187م وجرت معارك قاسية بين الطرفين انتصر فيها السلطان صلاح الدين انتصاراً حاسماً، فقد هُزِمَ الصليبيون هزيمة فادحة لم يفلت منهم أحد ما بين قتلى وأسرى، وبلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف، وأسر ملك بيت المقدس جاي لوزجنان، وارناط صاحب حصن الكرك، وأظهر السلطان صلاح الدين شهامة وعطفاً مع أعدائه خصوصاً مع ملك بيت المقدس، أما أرناط فقد بر السلطان صلاح الدين بيمينه في شأنه وضرب عنقه، ثم رحل السلطان صلاح الدين بجيشه من حطين، وترك جثث الصليبيين تملأ ساحة المعركة للذئاب والضباع[105] .

إن الانتصار في معركة حطين، يعتبر نقطة تحول خطيرة في تاريخ الحروب الصليبية؛ لأنها دمرت أضخم جيش للصليبيين في المملكة ، وأودت بزمرة فرسانهم، تعتبر الخطوة الحاسمة نحو تحرير مدينة بيت المقدس[106] . وقرر السلطان صلاح الدين تأجيل التقدم نحو بيت المقدس والتوجه بسرعة نحو المدن الساحلية والاستيلاء

---

[103] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، صـ178، رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ738؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ362؛ زكار، (سهيل)، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دمشق، دار حسان، ط1، 1984، صـ144.

[104] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ178؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ739.

[105] ابن الأثير، ج9، ص.صـ178-179؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص.صـ190-191؛ الشيال، (جمال الدين)، تاريخ مصر الإسلامية، ج2، القاهرة، دار المعارف، 1996، صـ55؛ زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، صـ159.

[106] زكار (سهيل)، وقائع معركة حطين، مجلة تاريخ العرب والعالم، الدار العربية للنشر والتوثيق، ص.صـ71-72، 106؛ بو طالب، (عبد الهادي)، ذكر مرور ثمانية قرون على معركة حطين، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، 1984)، ص.صـ39، 161، 162؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، صـ58.

عليها، ليمنع الصليبيين من الاستفادة من قواعدهم البحرية التي تصلهم بأوروبا، وبذلك يمنع عنهم النجدات التي تصل بواسطتها فيتم عزلهم في الداخل، ويسهل أمر القضاء عليهم، وفي الوقت نفسه يتمكن هو من استخدام هذه الموانى للاتصال بالإقليم المصري عن طريق البحر (107) .

لقد تمكن السلطان صلاح الدين من الاستيلاء على مدينة عكا بسهولة، وفي 583هـ / 8 يوليو 1187م ويبدو أن السياسة الرحيمة التي اتبعها السلطان صلاح الدين مع أهل عكا، ساعدته في الاستيلاء على الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية، كما استولى أخوه العادل على يافا، في حين سقط حصن تبنين، وصر فندا بيروت، وصيدا في أيدي المسلمين في أواخر يوليو 1187م ثم توجه السلطان صلاح الدين نحو الجنوب واستولى على اللد والرملة والداروم وغزة وأخيراً حاصر مدينة عسقلان(108) لمدة أربعة عشر يوماً وانتهى الأمر باستلامها(*) في 583هـ / 4 سبتمبر 1187م، وسير السلطان صلاح الدين النساء والأطفال والأموال إلى مدينة بيت المقدس(109) بعد أن أعطاهم الأمان(110). وبعدها أخذ يعد عدته للتوجه إلى مدينة بيت المقدس، حتى يطمئن إلى عدم وصول نجدات بحرية لمدن الساحل، وأرسل إلى مصر يأمر بخروج الأسطول والمقاتلة (111). ضرب السلطان صلاح الدين حصار على مدينة بيت المقدس، ولم يطل أمد هذا الحصار سوى أسبوع واحد

---

(107) عاشور، المرجع السابق، صـ58؛ Stevenson, op. cit, p. 24

(108) انظر إلى : المدن الساحلية في ملحق رقم (7) صـ 199 .

(*) بعد استيلاء صلاح الدين على عسقلان جاءها وفد من مدينة بيت المقدس بناء على طلب صلاح الدين للمفاوضة في الشروط التي يجب عليها تسليم المدينة ، ولكن الوفد رفض أن يسلم المدينة ، فأقسم صلاح الدين على دخول المدينة بحد السيف, انظر الى رنسيمان ، المرجع السابق، ج2، 148..

(109) انظر إلى:مصر وبلاد الشام قبل استيلاء صلاح الدين على مدينة بيت المقدس ملحق رقم (8)، صـ200

(110) ابن شداد، المصدر السابق، ص.صـ105-106؛ أبو المحاسن، ج6، ص.صـ35-36؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ366-368؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ640-643.

(111) عمران، المرجع السابق، ج2، صـ748.

وانتهت بعده المقاومة الصليبية(**) ، واستسلمت المدينة لسلطان صلاح الدين، ولم يفعل مع أهلها ما فعله الصليبيون مع المسلمين لما احتلوها في الحملة الصليبية الأولى 491هـ / 1099م لأن دينه وشهامته يأبيان عليه ذلك(112) . فسمح للصليبيين افتداء أنفسهم مقابل مقدار من المال وهو عشرة دنانير للرجل، وخمسة دنانير للمرأة وديناريين للطفل، وقد منح الجميع مهلة أربعين يوماً، فخرج الصليبيون تحت حماية القوات الإسلامية إلى مدينة صور، متعهدين بعدم الرجوع إلى الحرب، وعندما استولى السلطان صلاح الدين على مدينة بيت المقدس فتح أبواب المدينة لمن يرغب في مغادرتها(113).

سُلمت المدينة يوم الجمعة 27 رجب 583هـ/2 أكتوبر 1187م وهو يوم الاحتفال بالإسراء والمعراج عند المسلمين، ولقد دخل السلطان صلاح الدين قلعة المدينة وحافظ على عهده لأهلها(114) . فقد كانت سياسة السلطان صلاح الدين في احتلال الحصون والمدن الصليبية مبنية على المحافظة على الأنفس البشرية قدر الإمكان، وترجع سرعة احتلاله لمملكة بيت المقدس إلى سياسة الأمان التي يتبعها ضد الصليبيين، فكانوا يخلون قلاعهم ومدنهم ويتوجهون إلى مدينة صور، وهذه السياسة التي سلكها صلاح الدين كانت محل نقد من قبل ابن الأثير(*) ، ونظراً للمتاعب التي انجرت له بعدها، لأن اجتماعهم بمدينة صور أغراهم فيما بعد على نقض العهد الذي قطعوه لسلطان صلاح الدين(115) . وهكذا أسقطت مدينة بيت المقدس وعادت عربية بعد أن بقيت في حوزة الصليبيين منذ سنة 493هـ/1099م،

(**) لقد كانت المقاومة الصليبية لصلاح الدين على الجهة الشمالية من المدية فبدأ بهجومه في 583هـ / 20 سبتمبر وعندئذ أدرك الصليبيون استحالة المقاومة فطلبوا الأمان. انظر إلى المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ96؛ عاشور (فايد حماد محمد)، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، الدوحة، دار الاعتصام، ط1، 1977، ص.صـ143-144.

(112) رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ750؛ عاشور، الحركة الصليبية، صـ644.

(113) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ183؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ214.

(114) ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ215.

(*) هنا نقصد المؤرخ ابن الأثير.

(115) الشيخ، المرجع السابق، صـ374.

وبعد دخول السلطان صلاح الدين إلى بيت المقدس عمل بعض الإجراءات منها أنه أمر بإزالة ما أحدثه الصليبيون من مبانٍ حول المسجد الأقصى، وإنزال الصليب الكبير المذهب عن رأس قبة الصخرة المقدسة، وفي يوم الجمعة 4 شعبان سنة 583هـ / 9 أكتوبر 1187م أقيمت أول صلاة جمعة في بيت المقدس بعد أن أوقفت لمدة ثمانية وثمانين عاماً 1099م[116] .

لقد واصل السلطان صلاح الدين بعد فتح مدينة بيت المقدس عملية استرداد المدن من أيدي الصليبيين بحيث لم يبق في أيديهم إلا أنطاكية وطرابلس وصور وبعض الحصون والمدن الصغرى[117] .

أما مدينة صور فقد فشلت جميع جهود السلطان صلاح الدين في الاستيلاء عليها بعد أن تجمعت فيه البقايا الصليبية التي تركها السلطان صلاح الدين تخرج آمنة من المدن التي استولى عليها، لذلك لم يجد السلطان صلاح الدين بداً من ترك مدينة صور [*][118] .

لقد بدأ السسلطان صلاح الدين هجماته على إمارة طرابلس بالاستيلاء على القلاع في إقليم الجليل، مثل قلعة هونيين، كما حاصر صفد وحصن كوكب، وإن كانت هاتان القلعتان قد أظهرتا مقاومة عنيفة بحيث لم يستطع السلطان صلاح الدين الاستيلاء عليها إلا في أواخر سنة 584هـ / 1188م[119] . واستولى على بانياس في أقصى شمال إمارة طرابلس، ثم توغل في إمارة أنطاكية وهاجم جبلة في 584هـ /

---

[116] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ184؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص.صـ218-219؛ عاشور فايد، المرجع السابق، صـ148.

[117] عمران، المرجع السابق، ص.صـ141-142.

[*] كان السبب رحيل صلاح الدين أنه لقى مقاومة شديدة من الصليبيين المحاصرين في صور بقيادة كونراد دي مونتفرات الذي قام بتحصين صور، فضلاً عن أن جيش صلاح الدين ركن على الراحة والهدوء وخاصة بحلول فصل الشتاء وكثرة الأمطار .انظر الى ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص.صـ245-246؛ ابن شداد، المصدر لسابق، صـ84؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ376.

[118] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ650.

[119] أبو شامة، المصدر السابق، ج2، صـ120-135.

يوليه 1188م ثم تحرك السلطان صلاح الدين إلى جهة اللاذقية وهو أكبر ميناء لإمارة أنطاكية الصليبية، واستولى عليها في نفس الشهر[120] .

كما استولى على بعض الحصون التابعة للإمارتين في الشمال، ولم يبق للإمارتين سوى المدينتين أنطاكية وطرابلس فضلاً عن مدينة أنطرسوس وحصني المرقب والأكراد، ثم ما لبث السلطان صلاح الدين أن استولى في أواخر سنة 584هـ / 118م وأوائل 585هـ / 1189م على حصني الكرك والشوبك، فلم يبق للصليبيين في فلسطين سوى مدينة صور[121] .

---

(120) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ61.

(121) باركر، المرجع السابق، صـ83.

المبحث الثاني
الأوضاع السياسية في الغرب
قبيل الحملة الصليبية الثالثة

1. فرنسا:

مات الملك لويس السادس سنة 1137م، فخلفه على العرش الفرنسي ابنه لويس السابع (1137-1180م) المعروف بالتقي، تزوج لويس السابع الزواج السياسي من إليانور ابنة وليم العاشر دوق اكوتين ووريثته الوحيدة، الأمر الذي هيأ له فرصة ضم اكوتين(*) المقاطعة الفرنسية الغنية بمواردها الاقتصادية إلى املاكه(122).

استغل الملك لويس السابع هذه القوة في القضاء على ثورة ثيوبولد شامبني(**) الثائر سنة (1147م)، وهي الثورة التي جاءت نتيجة نزاعه مع البابا أنوسنت الثاني(123) .

وخلال قضاء الملك لويس السابع على هذه الثورة حدث حدث أثر كثيراً في حياة وسلوك الملك لويس السابع إذ اضطر خلال قضائه على هذه الثورة الى أحرق

(*) دوقية اكوتين : تمتد من جبال البرانس إلى نهر اللوار ، وكانت تضم اقطاعيات كثيرة اهمها بواتو ، بايون ، بوكريس ، ليموج ، بوردو ، جاكسوني ، وأوفرن ،انظر الى Ency , mid , Age , Op.Cit , P.37 .

(122) الزيدي (مفيد)، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج1، عمان، دار أسامة، 2004، ط1، صـ211.

(**) شامباني : دوقية فرنسية تقع في الشمال الشرقي وتشمل عدة مدن مهمة هي : أردنيسا ومـاردين وأيبورهيوتا وتضم أيضاً أجزاء أخرى مثل أسن والسين ، انظر الى Ibid , P.106 .

(123) عاشور، (سعيد عبد الفتاح)، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط10، 1986، صـ257.

كنيسة فتري Vitri و كان فيها نحو ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال، فظلت هذه الجريمة تستثير ضمير الملك لويس السابع، وخاصة وأنه كان على شيء كبير من التقوى والورع، ولهذا فكر في القيام بحملة صليبية ثانية للتكفير عن ذنبه، مصطحباً معه زوجته إليانور سنة (542هـ / 1147م) وهي الحملة التي شاركه في القيام بها إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث[124] .

سار الملك لويس السابع على نفس نهج والده في تقريب الوزير سوجر لاسيما وأن الملك لويس السابع لم يكن له ما عرف عن والده من المهارة في الشئون السياسية والإدارية، وكان بحاجة ماسة إلى خبرة هذا الوزير، ولهذا فقد عاونه سوجر كثيراً في تسيير دفة الحكم في فرنسا[125] .

وما لبثت الظروف أن اضطربت في فرنسا حين طلق الملك لويس السابع زوجته إليانور، بسبب عدم الانسجام بينهما في الطباع من جهة ومن جهة أنها لم تنجب له ولداً ذكراً يحفظ الحكم في الأسرة من جهة أخرى[126] . غير أن ملكة اليانور ما لبثت أن تزوجت من هنري الانجوى حفيد ملك إنجلترا هنري الأول والذي اعتلى العرش في إنجلترا باسم هنري الثاني سنة 1154م[127] . فغدت ممتلكات ملك إنجلترا الجديد في صلب القارة من بحر المانش حتى جبال البرانس، مما جعل الصدام مع الملك لويس السابع أمراً محتوماً، ولما حاول الملك هنري الثاني الاستيلاء على المدينة الفرنسية تولوز[*] تصدى له الملك لويس السابع واندلعت الحرب بين الجانبين[128] ، غير أن الظروف ما لبثت أن تبدلت في صالح الملك

---

[124] الشيخ، (محمد محمد مرسي)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، 1998، صـــ432.

[125] كانتور، (نورمان)، التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبد قاسم، ج1، القاهرة، 1997، ط1، صـــ655.

[126] مفيد، المرجع السابق، صـــ211.

[127] زكار، الموسوعة الشامية، ج30 صـــ95.

[*] تولوز : كونتية فرنسية وهي تولوسا Tolosa قديماً ، تقع ضمن نطاق إقليم لانجدوك Langdouk على نهر الجارون Garonne وقناة دي ميدا Dumidi ،انظر الــى Ency , mid , Age , Op.Cit ,.P.429.

[128] الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، صـــ434.

لويس السابع حين ارتكب الملك هنري الثاني جريمة شنعاء بقتله توماس بكت رئيس أساقفة كانتبري(*)، الأمر الذي أثار الشعور العام في إنجلترا ضد ملك إنجلترا وانصرف بعض كبار أتباعه من النبلاء من إقطاعات بريتاني(**) وبواتو وجوين واتجاههم لمساندة الملك لويس السابع[129] ، على حين اتجه الملك لويس السابع إلى اتباع سياسة حكيمة في الداخل والخارج؛ ففي الداخل لجأ إلى ربط الملكية في فرنسا بالطبقة البرجوازية التي أقام لها المدن لتتخذها مسرحاً لنشاطها ولتكون عوناً له على كبار الأمراء الإقطاعيين[130] .

أما في الخارج فقد نجح الملك لويس السابع في تحقيق التفاهم مع الأسرة الهوهنشتاوفن(***) الحاكمة في ألمانيا، وفي نفس الوقت قام الملك لويس السابع بإثارة المشاكل في وجه ملك إنجلترا هنري الثاني عن طريق إثارة أبنائه ضده، وفعلاً ثار أبناء الملك هنري الثاني الذين كانوا يشرفون على أملاك التاج الإنجليزي في صلب القارة ضد أبيهم مما أنقذ الملك لويس السابع من خطر الملكية الإنجليزية[131] . مات الملك لويس السابع سنة 576هـ / 1180م فخلفه على العرش الفرنسي ابنه فيليب الملقب بـ(أوغسطس) (576-619هـ / 1180-1223م)و بالرغم من حداثة عهده

(*) **كنيسة كانتبري مدينة فى انكلترا اختارة القديس اوغسطس لتكون كرسى المتقدمة فى رؤوس اساقفة انكلترا ،انظر الى اليسويعى، المرجع السابق , ص401**

(**) **بريتاني : دوقية فرنسية فهي Bretagne قديماً ، وهي شبه جزيرة تقع فيما بين القنال الإنجليزية وخليج بسكاي ، وقعت تحت سيطرة الرومان في عام 56 ق.م واستمرت سيطرتهم عليها حتى القرن الخامس الميلادي ، واصبحت دوقية في القرن العاشر ، انظر الى Ency , mid , Age , Op.Cit , P.85.**

[129] **الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، صـ434.**

[130] **عاشور، أوروبا العصور الوسطى، 258.**

(***) **الهوهنشتاوفن: هو اسم معقل من المعاقل الإقطاعية التابعة لهم Hohensttaufen وهو دوقية سوابيا بالجنوب الغربي في ألمانيا، منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي قد أضحى علماً على دوقات هذه الأسرة فضلاً عن اسمهم العائلي أي الهوهنشتاوفن انظر الى فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى، السيد الباز العريني، ج1، مصر، دار المعارف، ط6، د.ت ، صـ196، هامش رقم 1.**

[131] **عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، صـ258.**

بالحكم، تمتع بقدر كبير من الذكاء وبعد النظر والحنكة السياسية[132] ، فتمكن من تثبيت دعائم السلطة الملكية داخل فرنسا، كما استطاع مضاعفة أملاكه على حساب الممتلكات الإنجليزية في فرنسا وحساب كبار الإقطاعيين الفرنسيين[133] ، استهل الملك فيليب أوغسطس أعماله الكبيرة بمحاولة إخضاع كبار الأمراء الإقطاعيين في فرنسا في مقاطعات فلاندرز[*] وشامبني وبرجنديا[**] ، وفي نفس الوقت قام الملك فيليب أوغسطس بمهادنة الملك هنري الثاني بل اتخذه حليفاً لكي يضمن عدم تدخله في حروبه ضد الأمراء الإقطاعيين[134] . وكان أن دخل الملك فيليب فعلاً في حرب طويلة مع هؤلاء الأمراء من سنة(1181-1185م) حتى أخضعهم تماماً لسلطته ومد النفوذ الملكي على مساحة كبيرة من فرنسا، على أن الملك فيليب أوغسطس كان يدرك تماماً من أول الأمر أنه من المتعذر عليه تحقيق سيطرته على الإقطاعيين في فرنسا مادامت ممتلكات التاج الإنجليزي في شمالها وغربها تحد من نفوذ الملكية الفرنسية وتمثل خطراً جاثماً عليها[135] .

لهذا حاول الملك فيليب أوغسطس إضعاف قوة إنجلترا في القارة فعقد في سنة (582هـ/1187م) تحالفاً مع الإمبراطور فريدريك الأول بربروسا موجهاً ضد الإقطاعيين من ناحية وملوك إنجلترا من ناحية أخرى فكون بذلك محورا سياسيا يضم ملك فرنسا وإمبراطور ألمانيا من ناحية وكبار الإقطاعيين في كل من فرنسا وألمانيا

---

(132) **مفيد، المرجع السابق، صـــ212.**

(133) **الشيخ، أوروبا في العصور الوسطى، صـــ435.**

(*) **فلاندرز : كونتية فرنسية تتميز اراضيها بالانخفاض ، لذا كان هناك اختلافات كبيرة في مساحتها عبر مراحل التاريخ ، وكانت تنقسم إلى قسمين فلاندرز الفرنسية والجزء الآخر يتبع مقاطعة بولونيا ،انظر الى**

Ency , mid , Age , Op.Cit , P.182 .

(**) **برجنديا : دوقية فرنسية ، برجوني قديماً ، تميزت بشهرة عظيمة منذ أن فتحت من قبل يوليوس قيصر ، وفي القرن الخامس الميلادي دخلتها شعوب ألمانية ، والذين كونوا مملكة برجنديا ، وهي تمثل مدن مهمة، ومن أهمها آن Ain وسوان Soon وكوتاودور ،انظر الى Ibid , p.87 .**

Ency , mid , Age , Op.Cit , P.182 .

(134) **الشناوي (فاطمة عبد اللطيف سيد)، فيليب أوغسطس ملك فرنسا 1180-1223م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2003م، صـــ95.**

(135) **عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، صـــ260.**

ومعهم ملوك إنجلترا[136] . لقد استمر هذا التحالف الذي جعل ملوك اسرة آل كابيه الفرنسية وهنشتاوفن في جانب وملوك إنجلترا والإقطاعيين في فرنسا وألمانيا في الجانب الآخر، تلعب دوراً عظيماً في السياسة الأوروبية حتى سنة 1214م، على أن جهود الملك فيليب أوغسطس ضد الملكية الإنجليزية لم تقف عند محالفة الهوهنشتاوفن في ألمانيا، وإنما استغل ملك فرنسا عقوق (هنري، وريتشارد، وجيوفري، وحنا) أبناء الملك هنري الثاني ملك إنجلترا، وأخذ يساعدهم ضد أبيهم ليضعف نفوذ الملكية عن طريق بث الشقاق بين ملك إنجلترا وأبنائه[137] .

ولم تتغير سياسة الملك فيليب أوغسطس تجاه إنجلترا حتى بعد اعتلاء ريتشارد الأول عرش إنجلترا (585-595هـ/1189-1199م) خلفاً لوالده هنري الثاني، حيث التقى الملك فيليب أوغسطس بالملك ريتشارد (قلب الأسد) في فرنسا، وهناك قام الملك الفرنسي بعرض مطالبه الملحة على الملك الإنجليزي، وكان أهمها رد مقاطعة جيسور إلى حوزة التاج الفرنسي، بالإضافة إلى العديد من القلاع الهامة فضلاً عن قيامه بدفع مبلغ عشرين ألف مارك المتفق عليها من قبل الملك هنري الثاني، وعلى الجانب الآخر اسقبل الملك ريتشارد تلك المطالب بشيء من التروي، ورأى أنه اذا لبى مطالب الملك الفرنسى ، فسيفقد الكثير من أملاكه، لذا اشترط الملك ريتشارد أن يدفع أربعة آلاف مارك عوضاً عن المبلغ المتفق عليه مع الملك السابق، مع بعض القلاع الخاصة بالتاج الفرنسي[138] .

بعد ذلك خرج الملك فيليب أوغسطس ليسهم في الحملة الصليبية الثالثة مع كل من الملك ريتشارد الأول والإمبراطور فريدريك بربروسا سنة 586هـ / 1190م، ولم تطل إقامة الملك فيليب أوغسطس بالأراضي المقدسة، إذ اعتذر بسوء حالته الصحية وعاد إلى بلاده سنة 587هـ / 1191م[139] .

---

(136) الشيخ، أوروبا في العصور الوسطى، صـ437.

(137) عاشور، المرجع السابق، صـ260.

(138) Roger of Hoveden Annals, Comprising the History of England and other countries of Europe from A. D 732 to 1201, 2 vols., from the Latin in with notes and illustration by Henry T. Relley, London, 1853, pp. 87-88.

(139) الشيخ، أوروبا في العصور الوسطى، صـ438.

أما موقف الملك فيليب من الكنيسة فيلاحظ أن صداقته مع البابوية لم تمنعه من تشديد قبضته على الكنيسة في بلاده، فأخذ يعمل جاهداً للحد من تدخل البابا في شئون الكنيسة كما ألزم رجالها بدفع ما عليهم من ضرائب والتزامات[140] .

وهكذا أعطى الملك فيليب أوغسطس فرنسا الكثير وجعل منها دولة عظمى ومنح الملكية الفرنسية قوة وازدهاراً تضاءلت إلى جانبها قوة الأمراء الإقطاعيين، فضلاً عن إصلاحاته الأخرى في مجال الإدارة والتعليم والكنيسة وغير ذلك من أوجه الإصلاح، وترك المملكة الفرنسية قوية الجانب[141] .

2. إنجلترا:

أعقبت وفاة الملك هنري الأول فترة نزاع وحروب أهلية سببها الخلاف حول وراثة العرش حتى انتهت بقيام هنري الثاني في الحكم (549–584هـ / 1154–1189م) وامتاز هذه الملك بالذكاء والطموح وقوة العزيمة، فنشر الأمن في إنجلترا ومنع الأمراء من شحن حصونهم بالرجال والسلاح، كما حطم كثيراً من هذه الحصون الإقطاعية، كذلك أدخل الملك هنري الثاني بعض الإصلاحات المالية والقضائية، منها تعيين القضاة في جميع أرجاء المملكة، كذلك أدخل الملك هنري الثاني التوسع في تحليف الأهالي عند الإدلاء بشهادتهم أمام القضاء، فكان اثنا عشر رجلاً يقسمون مشتركين على التصريح بما يعرفونه من الجرائم المحلية، مما يعتبر أصلاً لنظام المحلفين الذي اشتهر به القضاء الإنجليزي[142] .

لقد كان الملك هنري الثاني يعاني من مشاكل داخلية، أهمها ازدياد نفوذ رجال الدين؛ ذلك أن الكنيسة في إنجلترا استغلت فرصة الحروب التي أعقبت وفاة هنري الأول وضاعفت من نفوذها وممتلكاتها، مما زاد من سلطة الكنيسة وأن رجال

---

(140) عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، صـ270.

(141) الشيخ، المرجع السابق، صـ448.

(142) زكار، الموسوعة الشامية، ج30، صـ96؛ عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، صـ270.

الدين أصروا ألا يحاكموا إلا أمام المحاكم الكنسية وحدها[143] . لذلك اختار الملك هنري الثاني لمنصب أساقفة كانتربري صديقه ومستشاره توماس بكت، مؤملاً أن يؤدي هذا الاختيار إلى إحكام سيطرته على رجال الدين، على أن توماس بكت أصبح سنة 557هـ / 1162م رئيس أساقفة كنيسة كانتربري، وبتوليه هذا المنصب، أصبح المدافع الأول عن حقوق الكنيسة، وتمسك بعدم محاكمة رجال الدين أمام المحكمة المدنية ، ومن هنا كان الصدام مع الملك هنري[144] .

وكان الملك هنري الثاني يرى بسط سلطاته على جميع الطبقات بمن فيهم رجال الدين خاصة عندما وجد أن المحاكم الكنسية لا تعاقب رجال الدين على ما يرتكبونه من جرائم، ولهذا السبب استدعى الملك هنري الأشراف ورجال الدين إلى اجتماع عقد في مدينة كلارتدون الواقعة إلى الجنوب الشرقي من إنجلترا سنة 559هـ / 1164م ، وأجبر الملك هنري الحاضرين على توقيع دستور كلارتدون[145] الذي يقضي على الكثير من المزايا التي يتمتع بها رجال الدين[146] .

اعترض توماس بكت على هذا الإجراء، ولكن الملك هنري صمم على هذه القرارات وقدم توماس بكت ليحاكم أمام المحكمة الملكية، وليس أمام المحكمة الكنسية، وكان لدى توماس بكت من الشجاعة ما جعله يمثل أمام المحكمة، ويعارض رجال الدين الذين ساندوا الملك، فأعلنوا أنه مذنب لخروجه على الملك باعتباره سيدهم الإقطاعي ، ولقد غادر توماس بكت قاعة المحكمة وأعلن أنه سيستأنف الحكم أمام البابا[147] .

وفي الليلة التالية ترك توماس بكت إنجلترا إلى شمال فرنسا، واستقر في ديرسانت الواقع في إقليم فلاندرز الفرنسية، ومن هناك أرسل استقالته إلى البابا إسكندر الثالث 1159-1181م ولكنه رفض قبول استقالته، وطلب منه التوجه إلى

---

(143) عاشور، المرجع السابق، صـــ471.

(144) زكار، المرجع السابق، ج30، صـــ120.

(145) أنظر إلى : دستور كلارتدون في الملحق رقم (13) صـــ 205.

(146) مفيد، المرجع السابق، صـــ259.

(147) زكار، المرجع السابق،ج30 صـــ120.

دير[*] بونتغني Pontigny الفرنسي ، ولقد ظل الحال على هذا الوضع خمس سنوات[148].

وفي عام 564هـ / 1169 دخل لويس السابع ملك فرنسا والبابا اسكندر الثالث، وطلب البابا من الملك هنري إعادة توماس بكت رئيس الأساقفة إلى منصبه، ولم يكن أمام الملك هنري سوى الرضوخ لأوامر البابا، وعاد توماس بكت إلى إنجلترا مكرماً في 565هـ / 1170م، وما أن وطأت قدماه الأراضي الإنجليزية حتى أعلن قرار الحرمان على رجال الدين الذين ساندوا الملك، وعندما علم الملك هنري الثاني بهذا الخبر اعتراه الغضب ودفعته ثورته إلى توجيه اللوم إلى فرسان بلاطه، وكان أن استثارت تلك الألفاظ أربعة من فرسان الملك فهجموا على توماس بكت عند كنيسة كانتربري في 29 ديسمبر وقتلوه 565هـ/1170م[149].

اهتز العالم المسيحي لهذه الحادثة، حيث اعتبروه قديساً وشهيداً، وتجرأ الباب الإسكندر الثالث على اتخاذه الخطوة التي لم يكن باستطاعته إعلانها، وهي إقرار عقوبة اللعنة على الممتلكات الإنجليزية في فرنسا، ومنع الملك من دخول الكنيسة، بالإضافة إلى إنزال اللعنة ضد الذين شاركوا بأية طريقة في اغتيال توماس بكت[150]

.

ولكن الملك هنري أنكر مشاركته في عملية القتل، وقام بتقديم مبلغ كبير من المال لإعانة مائتي فارس لمدة عام في الأراضي المقدسة، واعتزم اتخاذ صليب في عيد الميلاد 568هـ/1173م، وهو الموعد الذي استبدل فيما بعد بتأسيس ثلاثة بيوت دينية وعودة جميع المنفيين من أتباع توماس واستعاد جميع ممتلكات كنيسة

---

[*] دير : هو أحد أماكن العبادة التي يسكنها الرهبان ، يعيشون فيها عيشة مشتركة ،انظر الى اليسوعي ، المرجع السابق ، صـ 218 .

[148]المرجع نفسة،ج30 ص.صـ491-494.

[149] عاشور، المرجع السابق، صـ472؛ مفيد، المرجع السابق، صـ255.

[150] عبد القوي، (زينب عبد المجيد)، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من 189-1291م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1996، صـ65.

كانتربري وإلغاء مرسوم كلارندون[151] .

أما سياسة الملك هنري الثاني الخارجية فلم يوفق فيها حيث أجبر سكان ويلز على الاعتراف بسلطة الملك وسيادته، ولكنه فشل في السيطرة على نبلاء أيرلندا، إلا أن الحدث المهم في سياسته الخارجية هي زواج بناته الثلاث من هنري دوق سكسونيا والملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة ووليم الثاني ملك صقلية على التوالي، مما أدى إلى نتائج بعيدة المدى في السياسة الأوروبية[152] .

أما في نزاعه مع فرنسا، فإن الملك هنري اضطر إلى إخضاع الأمراء الإقطاعيين، وقد لجأ الملك هنري الثاني إلى تقسيم ملكه بين أبنائه[153] على أن تكون إنجلترا ونورمنديا في شمال فرنسا لابنه الأكبر هنري، واكوتين لابنه الثاني ريتشارد، في حين تزوج ابنه الثالث جيوفري من وريثة بريتاني، أما ابنه جوان فإنه لم يعطه شيئا[154] .

ولكن حدث سنة 568هـ / 1173م أن ثار أبناء الملك هنري الثاني وهم هنري وريتشارد وجيوفري ضد أبيهم، وشاركهم في ثورتهم كثير من أمراء إنجلترا والممتلكات الإنجليزية في فرنسا، ولكن الملك هنري الثاني أخضع أمراء إنجلترا الثائرين وقبض على ملك اسكتلندا وليم وجرى عقد هدنة في 569هـ / 1174م وأجبره على الدخول في تبعية التاج الإنجليزي[155] .

أما صراع الملك هنري الثاني مع أبنائه فقد صالحهم حتى توفي كل من هنري الابن الأكبر، وجيوفري في حين عاد ريتشارد إلى ثورته ضد الملك هنري الثاني بمساعدة الملك فيليب أوغسطس ملك فرنسا سنة 584هـ / 1188م، وانتهت هذه الثورة بالصلح، وكان أهم شروطه هي التنازل عن الجزء الجنوبي في المملكة

---

(151)المرجع نفسة، ص.صـ65-66.

(152) عاشور، المرجع السابق، صـ472.

(153) انظر إلى : أبناء هنري في ملحق رقم (1) صـ 193.

(154) زكار ، المرجع السابق ، ج30 ، ص.صـ 136-137.

(155) زكار، المرجع السابق ، ج30، صـ140 ؛ عاشور ، المرجع نفسه ، صـ472.

لابنـه ريتشـارد الـذي يعترف بالسـيادة الإقطاعيـة للملـك الفرنسـي، كذلك اجبره علـى تحديد موعد للقيام بالحملـة الصليبية التـي وعد بهـا، وربما كـان هذا البند هو إرضـاء للسلطة الدينية (البابوية)[156] .

توفي الملك هنري الثاني في قلعة لاشابل إحدى قلاع قلعة شينون التـي تبعد اثنـين وأربعين كيلـو متـراً إلـى جنـوب غـرب مدينـة تـورز الفرنسـية يـوم الثلاثـاء 21 جمـادي أول 585هـ / 6 يوليـو 1189ك ودفـن فـي كنيسـة نـونس عـن عمـر ينـاهز السادسة والخمسين، بعدما حكم مملكة إنجلترا أربعاً وثلاثين سنة وسبعة أشـهر وأربعـة أيام[157] .

تولى ريتشارد الأول حكم إنجلترا بعد أبيه، ويعرف باسم ريتشارد(قلب الأسد)، وقد ولـد فـي مدينـة اكسفورد 552هـ / 1157م وعرف الملك ريتشـارد بشـجاعته وحبـه لأعمال البطولـة والقتال مع اتصـافه بـالعنف والقسوة، وفـي خـلال حكمـه الذي استمر لعشر سنوات لم يقض في إنجلترا أكثر من سنة، إذ تردد عليها مرتين، قضى في كل مرة بضـعة أشـهر لجمـع الأموال[158] ؛ حيـث عـاش أكثـر عمره فـي مقاطعـة اكـوتين ليصرف شؤون المقاطعة بدلاً من أمه الملكة إليانور، وكان لتواجده في اكوتين أثر كبيـر علـى ثقافتـه، وتـأثر بالثقافـة الفرنسـية الجنوبيـة، خاصـة الشـعر والغنـاء وحـب المغـامرات وعنـدما تـولى حكـم إنجلترا اضـطر للعمل بالسياسـة وهو بعيد عنهـا[159]. ذلـك أن الملـك ريتشـارد عنـدما جـاء أعيـان اليهـود لمقابلتـه، طـردوا بوقاحـة مـن قبـل حراسة القصر، فانتشرت بأن الملك أمر بذبح اليهود، فقام جمهـور من الناس بـالهجوم علـى اليهـود الزائـرين وضـربوهم حتـى المـوت، وكانـت هـذه أول الأحـداث بعد تتـويج

---

(156) **حسن (ممد دسوقي محمد)، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحرب الصليبية فـي المشرق والمغرب الإسلاميين (531-620هـ / 1137-1223م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليـة الآداب، جامعة الإسكندرية، فرع دمنهور، 2006م، صـ181.**

(157) **حسين، المرجع السابق، صـ182.**

(158) **عاشور، المرجع السابق، صـ472.**

(159) **مفيد، المرجع السابق، صـ257.**

الملك[160] .

وانشغل منذ توليه عرش إنجلترا بالاستعداد للقيام بالحملة الصليبية الثالثة، ومن أجل هذه الحرب اضطر للمال، ولم يكفه ما تركه والده, ولكي يحصل على الأموال فصل عدداً كبيراً من موظفي الدولة، ثم أعاد تعيينهم مقابل الأموال، وكذلك حصل على مبلغ هزيل ليعترف باستقلال اسكتلندا[161] .

أبحر الملك بعد ذلك إلى الأراضي المقدسة ليشارك في الجملة الصليبية الثالثة، ثم عاد بعد ذلك إلى إنجلترا ليجمع الأموال ويستعد للنزال مع ملك فرنسا، وعندما أكمل الملك ريتشارد استعداداته أبحر إلى فرنسا حيث نجح في استعادة أملاكه بعد حرب دامت خمس سنوات على الأراضي الفرنسية، وفي 26 مارس 1199م مات الملك ريتشارد في مدينة ليموزين بسهم انطلق من قلعة أحد الإقطاعيين الذين تصارع معهم الملك ريتشارد[162] .

3. ألمانيا:

تولى فريدريك الأول بربروسا ألمانيا خلفاً لعمه كونراد الثالث سنة 547هـ / 1152م وهو ابن فريدريك دوق سوابيا ، وأمه جودث أخت هنري المتكبر وعمه هنري الأسد وتوج إمبراطوراً في 547هـ / 9 مارس 1152م بواسطة أرنولد رئيس أساقفة كولون، وكان شجاعاً وفصيحاً وسريع الغضب والإيمان المطلق بعظمة الوظيفة الإمبراطورية وسموها[163] .

---

[160] **شاهين (رياض مصطفى أحمد)، أوضاع اليهود وموقفهم من الغزو الصليبي لبلاد الشام (491-690هـ / 1098-1291م)، في مجلة التاريخ والمستقبل، يناير، 2006، صـ97.**

[161] **مفيد، المرجع السابق، صـ257.**

[162] **عاشور، المرجع السابق، ص.صـ473-474.**

[163] **فشر، المرجع السابق، صـ148.**

وبعد أن أصبح فريدريك إمبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية المقدسة(*) لذلك بدأ بعقده معاهدة كونستانس مع البابا (ايوجنيوس الثالث . 11451-1153م) سنة 548هـ / 1153م وفيها تعهد فريدريك الأول بعدم عقد صلح مع روجر الثاني ملك صقلية دون موافقة البابا، وأن يقوم فريدريك بإخضاع أعداء البابا مقابل تتويج البابا له، إمبراطوراً ومساندته ضد خصومه في ألمانيا(164) .

قبل أن يذهب إلى إيطاليا كان على الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) تسوية الأمور في ألمانيا حيث رد إقليم بافاريا إلى هنري الأسد زعيم الجولفيين(**) وأعطاه حكم شبه مطلق على دوقية سكسونيا، وبعد اتخاذ هذه الإجراءات ذهب إلى إيطاليا لمساعدة البابوية ضد أعدائها النورمان في الجنوب، في حين استطاعت المدن اللمباردية في شمال إيطاليا أن تتحرر من نفوذ الأمراء الإقطاعيين لتصبح قومونات(***) مستقلة في إدارة شئونها(165) .

(*) **إن اللقب الأساسي لهذه الإمبراطورية هو الرومانية فقط نسبة إلى الإمبراطورية الرومانية القديمة، أما صفة المقدسة فقد ظهرت لأول مرة على عهد الإمبراطور فريدريك الأول سنة 1157م، وبعد ذلك اتخذ الخلفاء هذا اللقب، وأصبح لقب شائع، على أن استعمال هذا اللقب في وصف الإمبراطورية لا يعني أي تغيير في وضعها السياسي، لأن هذه الإمبراطورية بمعناها العالمي الواسع وضع أساسها شارلمان وبمعناها الضيق أي في حدود ألمانيا وإيطاليا يرجع تأسيسها إلى أوتو العظيم انظر الى حمزة، (عادل عبد الحافظ)، العلاقات السياسية بين الدول الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، صـ7.**

(164) **عاشور، المرجع السابق، صـ372.**

(**) **الجولفيين: تملأ هذه الأسماء تاريخ ألمانيا وإيطاليا في العصور الوسطى وهي صيغة إيطالي لاسم ألماني هو اسم دوق من دوقات سكسونيا بشمال ألمانيا أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ثم أضحى علماً على دوقات هذا الإقليم ولقد اقتصر استعمال الجولفيين بصيغتها الألمانية في تاريخ ألمانيا في حوادث التنافس على التاج الألماني انظر الى فشر، المرجع السابق، صـ196، هامش رقم 1.**

(***) **قومونات: وهذا اللفظ ترجمة حرفية لكلمة Commune وكان استعمالها في العصور الوسطى للدلالة على المدن الإيطالية وكذلك الفرنسية، التي استطاعت بفضل ثروتها الاقتصادية الجديرة بأن تحصل على براءات Charters تخولها الهيمنة على شؤونها الداخلية، وأن تصبح الحكومة فيها بيد غير أرباب الإقطاع، أي طبقة التجار وأرباب المهن، مع ملاحظة ما لهذا اللفظ في العصور الوسطى من معنى مخالف لمعناه في العصور الحديثة انظر الى فشر، المرجع السابق، صـ199، هامش رقم 2.**

(165) **عاشور، المرجع السابق، صـ373.**

ولقد استطاع الإمبراطور فريدريك الأول (بربروسا) أن يخضع المدن اللمباردية بجيش صغير، فاعترفت بالسيادة له، بعد ذلك اتجه الإمبراطور إلى مدينة روما حيث توج من قبل البابا أدريان الرابع (1154-1159م) في 18 يونيه 1156م وأعلن نفسه إمبراطور إيطاليا بقوله: "أنا خليفة شارلمان والفاتح أنا ملك روما شرعاً"[166] .

ثم طلبت منه البابوية في هذه السنة مساعدتها ضد المدن اللمباردية، إلا أن الظروف في ألمانيا كانت تستدعي وجوده بها، مما اضطر البابا أدريان الرابع إلى مصالحة أهالي مدينة روما على أساس الاعتراف بمدينتهم قومونا مثل غيرها من المدن الإيطالية، أما بالنسبة إلى الإمبراطور فريدريك الأول فقد استطاع تقوية سلطانه في ألمانيا وخارجها حيث أن بولسلاف الرابع صاحب بوهيميا دان له بالتبعية، فضلاً عن اعتراف هنري الثاني ملك إنجلترا بسيادته[167] .

وهكذا يبدو أن كلاً من البابا أدريان الرابع والإمبراطور فريدريك الأول استطاع أن يمكن لنفسه ويقوي مركزه في بلاده، ولم يبق بعد ذلك سوى أن يواجه كل منهما الآخر، وسنحت الفرصة للإمبراطور للتدخل للمرة الثانية في شئون إيطاليا مستغلاً الخلافات الداخلية بين المدن اللمباردية حيث وقف الإمبراطور مع حزب كريمونا وبافيا ضد الحزب الآخر الذي تزعمته مدينة ميلان، وكان قد عبر الإمبراطور جبال الألب في يوليه سنة 1158م فخضعت له مدينة ميلان بعد مقاومة عنيفة، ثم عقد في نوفمبر سنة 1158م مؤتمراً في رونساجليا، وقد أعلن فيه فريدريك الأول حقوقه بشأن تعيين الحكام الإمبراطوريين في المدن اللمباردية[168] .

وفى سنة 1159 م توفى البابا الرابع وتولى مكانه البابا اسكندر الثالث (1159-1181م) فتجددت ثورة المدن اللمباردية وعلى رأسها مدينة ميلان بتحريض من البابوية، وهنا تحرك الإمبراطور فريدريك للمرة الثالثة وأخذ يحاصر المدن الثائرة

---

(166) **حمزة، المرجع السابق، صـ77.**

(167) **عاشور، المرجع السابق، صـ375.**

(168) **المرجع نفسة، صـ376؛ حمزة، المرجع السابق، صـ78.**

ويدمرها، أما مدينة ميلان فقد صمدت لمدة ثلاث سنوات حتى أرغمتها المجاعة على الاستسلام سنة 1162م[169] .

بعد أن وقف البابا اسكندر الثالث ضد الإمبراطور فريدريك عين الأخير بابا جديد تحت اسم (فيكتور الرابع . 1159–1164م)، وإذا كان البابا اسكندر الثالث قد اضطر إلى الانسحاب من مدينة روما، إلا أنه ظل متمسكاً بموقفه لاسيما بعد أن تم عقد مجمع ديني[*] تحت رعاية لويس السابع ملك فرنسا وهنري الثاني ملك إنجلترا، وقرر كبار الأساقفة في هذا المجمع الاعتراف ببابوية اسكندر الثالث والوقوف إلى جانبه[170] ؛ ولكن ما لبث البابا فيكتور الرابع أن توفي أثناء زيارة الإمبراطور للمرة الرابعة لإيطاليا سنة 1164م[171] .

فاختار الإمبراطور فريدريك الأول البابا باسكال الثالث ليحل محل البابا فكتور الرابع (1164–1168م) وأول المواجهات التي واجهت البابا الجديد هي تألف حلف فيرونا سنة 1164م ولم يستطع البابا الجديد الاحتفاظ بمركزه في مدينة روما، مما شجع البابا اسكندر الثالث على العودة إلى مدينة روما سنة 1165م، وأصدر قرار الحرمان ضد الإمبراطور[172] ، مما اضطر الإمبراطور فريدريك الأول إلى الزحف للمرة الخامسة على مدينة روما مباشرة وحاصرها حصاراً عنيفاً حتى سقطت في يده سنة 1167م، وفر البابا اسكندر الثالث جنوباً نحو حلفائه النورمان، بعد أن توج الإمبراطور فريدريك الأول للمرة الثانية على يد البابا باسكال الثالث، ولكن كان من حسن حظ البابا اسكندر الثالث أن انتشر مرض الطاعون في الجيش الألماني، مما اضطر الإمبراطور فريدريك الأول إلى النجاة بنفسه عبر جبال الألب في ربيع سنة

---

(169) فشر، المرجع السابق، صـ202؛ عاشور، المرجع السابق، صـ380.

(*) مجمع ديني : هو المجلس الذي يبحث فيه الرهبان شئون حياتهم ، وهناك المجمع العام يضم ممثلين عن كل الرهبان والمجمع الإقليمي ويضم ممثلين عن أحد الأقاليم الرهبانية ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق ، صـ218 .

Ency , mid , Age , Op.Cit , P.182 .

(170) عاشور، المرجع السابق، صـ380.

(171) حمزة، المرجع السابق، صـ78.

(172) عاشور، المرجع السابق، صـ381.

1168م[173] .

لم يستطع الإمبراطور فريدريك أن يفيق من تلك الضربة التي سددتها إليه المقادير، حتى غزا إيطاليا للمرة السادسة سنة 1174م بجيش صغير، فتأهبت المدن اللمباردية للدخول في صراع جديد انتهى بموقعة لينانو فى الشمال الغربي من مدينة ميلان، وهي الموقعة الفاصلة بين جيوش مدن الحلف اللمباردي من جهة والجيوش الإمبراطورية من جهة أخرى، انتهت بهزيمة الأمبراطور فريدريك الأول في 29 مايو 1176م، مما اضطر الامبراطور فريدريك إلى الفرار ونجاة بنفسة إلى مقاطعة بافيا الا بمشقة بالغة[174] .

وكان من نتيجة هزيمة هذه ان اخذ يفكر فى عقد صلح مع البابا اسكندر الثالث، أرسل الإمبراطور سفارته إلى البابا في أناجني لمناقشة بنود اتفاقية سلام، اتفقوا بعد ذلك على البنود وأدخلت مدينة البندقية معاهدة الصلح[175] .

وفي كنيسة القديس مرقص في مدينة البندقية قدم الإمبراطور فريدريك الأول فروض الولاء والطاعة وطلب الصفح والغفران من البابا اسكندر الثالث، مثلما فعل هنري الرابع مع البابا جريجوري السابع قبل مئة عام في كانوس 1077م[176] .

بعد ذلك عقدت اتفاقيات بين البابا والإمبراطور ثم عرفت باسم اتفاقية البندقية في 24 يوليو سنة 1177م، نصت على ان يرد الامبراطورفريدريك الأول جميع الأراضي المغتصبة من البابوية، وتعد كل من الطرفين بمساعدة الطرف الثاني ضد أي عدو يهدده، وعمل الإمبراطور صلحاً مع المدن اللمباردية مدته ست سنوات، وصلحاً مع وليم الثاني ملك صقلية لمدة خمس عشرة سنة[177] .

---

(173) **فشر، المرجع السابق، صـــ203.**

(174) **عاشور، المرجع السابق، صـــ384؛ حمزة، المرجع السابق، صـــ78.**

(175) **حمزة، المرجع السابق، صـــ78.**

(176) **مفيد، المرجع السابق، صـــ292.**

(177) **عاشور، المرجع السابق، صـــ385.**

وكان من نتيجة تلك الاتفاقية أن فقدت الإمبراطورية الرومانية المقدسة نفوذها في إيطاليا، مما مهد للانفصال بين ألمانيا وإيطاليا[178] ، بعد هذه الاتفاقية كان على الإمبراطور فريدريك الأول التوجه نحو شئوون ألمانيا، وكان الخطر الأساسي في ألمانيا متمثلا في هنري الأسد دوق سكسونيا وبافاريا الذي استغل فرصة انشغال الإمبراطور في صراعه مع البابوية ليحصل على امتيازات واسعة، ويزيد من أملاكه على حساب جيرانه، فضلاً عن زواج هنري الأسد من ماتيلدا ابنة هنري الثاني ملك إنجلترا[179] . كما كان لهنري الأسد مشروع ضم الدنمارك لربط العلاقات الدبلوماسية بينه وبين الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، على الرغم من العداء الشديد بين هذا الإمبراطور والإمبراطور فريدريك الأول[180] .

فوجه الإمبراطور فريدرك الأول جهوده نحو هنري الأسد، وأنزل به الهزيمة سنة 1180م، فجاء إلى الإمبراطور خاضعاً، فعاقبه ونفاه عن ألمانيا وأرضها، وقسم سكسونيا وبافاريا بين عدد من الإقطاعيين[181] .

لقد أحرز الإمبراطور فريدريك الأول نصراً سياسياً سنة 1184م عندما وضع مشروعاً لزواج ابنه وخليفته هنري السادس (1190-1197م) من الأميرة كونستانس وريثة مملكة صقلية مما يجعل التوحيد بين الإمبراطورية ومملكة صقلية وهذا يؤدي إلى جعل الأملاك البابوية في وسط إيطاليا تقع بين شقي الرحى[182] .

عندما أراد الإمبراطور فريدريك الأول تتويج ابنه هنري السادس بدأ البابا لوكيوس الثالث (1181-1185م) يماطل في التتويج، وانتهت هذه الفترة بصلح كونستانس 25 يناير سنة 1182م ودخل في الصلح كل من الإمبراطور والبابا

---

(178) **حمزة، المرجع السابق، صـــ79.**

(179) **فشر، المرجع السابق، صـــ204.**

(180) **عاشور، المرجع السابق، صـــ386.**

(181) **فشر، المرجع السابق، صـــ205.**

(182) **عاشور، المرجع السابق، صـــ386.**

والمدن اللمباردية، كما اعترف البابا بالسيادة الإمبراطورية لإيطاليا[183] .

ثم تجدد النزاع فعلاً في عهد البابا أوربان الثالث (1185–1187م) حاول البابا إصدار قرار الحرمان ضد الإمبراطورية في الوقت الذي جاءت الأخبار من الشرق بانتصارات صلاح الدين على الصليبيين بالأراضي المقدسة سنة 1187م، بعد ذلك توفي البابا أوربان الثالث فعمل خليفته جريجوري الثامن استعداده للقيام بالحملة الصليبية الثالثة[184] ، لذلك أخذ الإمبراطور فريدريك الأول الصليب في مدينة ماينز سنة 584هـ / 1188م، وفي سنة 585هـ / 1189 بدأ حملته إلى الأراضي المقدسة وفي 586هـ / 10 يونيو سنة 1190م مات وهو يعبر نهر سالف في آسيا الصغرى[185] .

---

[183] لانجر (وليم)، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، ج2، القاهرة، 1956، صـ577.

[184] عاشور، المرجع السابق، صـ387.

[185] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص.صـ665–668.

الفصل الثاني
انطلاق الحلمة الصليبية الثالثة إلى الأراضي المقدسة

** ***المبحث الأول : أسباب ودور البابوية في الدعوة الى الحملة.***

1. أسباب الحملة

أ. استرداد بيت المقدس

ب. سفارة جوسياس إلى الغرب الأوروبي

2. دور البابوية في الدعوة إلى الحملة .

** ***المبحث الثاني : سير الحملة.***

1. الجيش الألماني .
2. الجيش الإنجليزي الفرنسي

المبحث الأول : أسباب ودور البابوية في الدعوة إلى الحملة :

1- أسباب الحملة :-

أ – استرداد بيت المقدس :

لقد أدت الهزيمة التي لقيها الصليبيون في معركة حطين ثم سقوط مدينة بيت المقدس وما نتج عنها من استيلاء المسلمين على معظم المدن الشامية أدى إلى رد فعل عنيف من الغرب الأوربي وهو قيام ما يسمى بالحملة الصليبية الثالثة بذلك يعتبر هو السبب المباشرة لقيام هذه الحملة [186].

ب- سفارة جوسياس إلى الغرب الأوربي 583 هـ / 1187 م :

لقد كان لمدينة صور وحاكمها كونراد دى مونتفرات[*] , دور كبير في الحث على الحملة الصليبية الثالثة حيث أرسل سفارة برناسة جوسياس رئيس أساقفة صور (582 – 598 هـ / 1186 – 1202 م) ولقد استقلت سفينة ذات أشرعة سوداء حتى إذا ما قاربت على الرسو في مكان أدرك من يراها أنها تحمل أخبارا محزنة , كذلك حمل جوسياس لوحة كبيرة[**].[187] ولقد كان لهدف كونراد دي مونتفرات من إرسال

---

[186] الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص379

[*] كونراد دي مونتفرات : هو ابن المركيز مونتفرات أغنى أمراء شمال إيطاليا وشقيق وليم مونتفرات الذي كان زوج الأميرة سيبيلا وريثة مملكة بيت المقدس ، ويتصل بصلة قرابة بالإمبراطور الألماني فردريك بربروسا ، وهرب من القسطنطينية التي كان مقيم فيها إلى مدينة عكا في 23 يوليو 1187 م ، إذ وجد المسلمون يحتلون المدينة ويحكمها الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي ، وإذا كانت الرياح قد دفعت كونراد داخل ميناء عكا ، فإن المسلمين لم يتعرضوا له بسوء حتى تمكن من الإقلاع بسرعة إلى مدينة صور ،على أن أهل صور كانوا يفتقرون إلى القيادة الرشيدة تنظم عملية المقاومة ،انظر الى باركر ، المرجع السابق ، صـ 86 ؛ زيان (حامد) , الإمبراطور فريدريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة , القاهرة , دار الثقافة , 1977 م , صـ صـ 5 – 7 .

[**] كانت تحتوى هذه لوحة على " وقد صورة المسيح عليه السلام , وجعلوا معة صورة رجل عربي يعذبة بعصا , وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح , وقالوا : هذا المسيح يضربة محمد نبي المسلمين , وقد جرحة وقتله " وذكر البعض أن اللوحة كانت تحتوى على صورة القيامة والقبر المقدس الذي بال عليه فرسا يمتطيه فارس مسلم ,انظر الى ابن شداد , المصدر السابق , ص –ص 136 – 137 ؛ ابن واصل , المصدر السابق , ج2 , ص288 ؛ سعداوي (نظيرة حسان) , الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي , القاهرة , 1961 م , ص 20..

[187] غنيم (إسنمت), الدولة الأيوبية والصليبيون, الإسكندرية ,1990 ,ص 46 ؛ باركر المرجع السابق , ص86.

هذه اللوحة الى الغرب الاوربي طلب النجدة , وإثارة عاطفة أهالي غرب أوروبا , ودفعهم الى المشاركة في الحملة الصليبية من إجل إنقاد صليبي الشرق , واسترجاع مدينة بيت المقدس [188].

2- دور البابوية في الدعوة للحملة الصليبية الثالثة:

كان البابا أوربان الثالث[*] على كرسي البابوية عند انتصار صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين، ووصله الخبر عن طريق تركيوس، رئيس الداوية في الشرق، في 583هـ / أغسطس 1187م، الذي طلب منه المساعدة لإنقاذ الصليبيين في الشرق، وإنقاذ ما تبقى من مدنهم الصليبية[189] ، وذكر مكسيموس موندوند وسيد علي الحريري، أن البابا أوربان الثالث كان في مدينة البندقية قبل أن تصل إليه أخبار سقوط بيت المقدس، وحرض أهلها على الإسراع في تجهيز المراكب، وإرسالها إلى فلسطين لمساعدة إخوانهم الصليبيين هناك[190] .

---

[188] ابن واصل , المصدر السابق , ج2 , ص 288 ؛ باركر , المرجع السابق , ص86 ؛ زيان ، المرجع السابق , ص 9

[*] أوربان الثالث: هو ومبيرتو كريفيلي Umbereo Crivelli، ولد في ميلان Milan، وهو من عائلة ارستقراطية في ميلان، وكان رئيس الشمامسة Archeacan في بورج Bourges؛ ثم في ميلان قبل أن يرقى إلى كاردينال من قبل البابا لوكيوس الثالث 578هـ / 1182م، ثم أصبح رئيس أساقفة ميلان 580هـ/9 يناير 1185م، وانتخب بابا في اليوم الذي مات فيه البابا لوكيوس الثالث 581هـ/25 نوفمبر 1185م باسم أوروبان الثالث، ودخل في نزاع مع الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا، ومما أدى إلى توتر النزاع بين الطرفين، زواج هنري السادس Henry VI بن فريدريك (1190-1197م) من كونستانس Constance وريثة مملكة صقلية sicily في ميلان في 581هـ / 2 يناير 1186م، الأمر الذي أدى إلى فقدان البابوية دعم النورمان الذين كانت تعتمد عليهم في نزاعها مع الإمبراطورية، وقام فريدريك بدخول الأسقفية الألمانية الشاغرة وقمع دير للرهبان، ومات في فيرارا Ferrara في 583هـ/20 أكتوبر 1187م

انظر الى Kelly (J. N. D) The Oxford Dictionary of popes (Oxford 1996), pp. 181-182.

[189] Terricus master of the temple "Letter to pope Urban III and to all Christians, August 1187", in Benedict of peter borough, the chronicle eigns of henry ii and Richard ad 1169-1192 edited from the cotton mss by stubbs w-m-a-vol ii lonon 1867, pp. 13-14.

[190] مكسيموس موندوند، تاريخ الحروب الصليبية المقدسة المدعوة حرب المقدس، ترجمة مكسيموس مظلوم، ج2، القدس، 1862م، ص98؛كتاب الأخبار السنية فى الحروب الصليبية, دار الفكر, ص 163.

لم يفعل البابا أوربان الثالث أكثر من ذلك لمساعدة الصليبيين في الشرق بعد هزيمتهم في معركة حطين، على الرغم من طلب المساعدة منه، وربما يرجع ذلك لنزاعه مع الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا[191] .

وصل خبر استرداد السلطان صلاح الدين لبيت المقدس إلى البابا عن طريق جوسياس رئيس أساقفة صور، الذي قابله في مدينة فيراري بايطاليا في 583هـ / أكتوبر 1187م، كما وصله الخبر عن طريق تقرير حمله إليه أحد تجار جنوه هو أتريكو دي تيسالف Atricusde Tselver، فما لبث أن أصيب البابا بالحمى الشديدة تأثراً بما سمع من أخبار محزنة[192] ، ولم يفعل البابا أوربان الثالث شيئاً يذكر لمساعدة الصليبيين في الشرق من أجل استرداد بيت المقدس من المسلمين؛ لأنه لم يعش سوى ثمانية عشر يوماً بعد سقوط بيت المقدس، ومات في مدينة فيراري في 14 شعبان 583هـ / 20 أكتوبر 1187م[193] .

تولى البابا جريجوري الثامن Gregory VIII[*] 15 شعبان 583هـ/21 أكتوبر 1187م، وقابل جوسياس، فحمل على عاتقه مسئولية انتشال الغرب الأوروبي من

---

[191] عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، صـ387.

[192] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ37؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ663؛ عبد الوهاب، ياسر مصطفى , العلاقات الامارات الصليبية فى بلاد الشام وغرب اوروبا(583-690ه/ 1187-1291م), رسالة دكتورة غير منشورة, جامعة طنطنا, سنة 2005 ,صـ49.

[193] ماير (إتش)، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة فتحي الشاعر، ج1، القاهرة، 1999، صـ188؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ663-664؛ عبد الحميد (رأفت)، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1998، صـ38.

[*] جريجوري الثامن: هو أبرت دي مورا Alberto de Morra، ولد في بينفنتو Benevento سنة 504هـ/1110م، وهو من عائلة نبيلة، تربى تربية جيدة، وأصبح راهب في عمر مبكر، فقد عينه البابا أدريان الرابع Adrian IV (1154-1159م) كاردينالاً لكنيسة لورنزو Lorenzo بليكينا Lucina وعينه الباب ألكسندر الثالث ممثلاً بابوياً في إنجلترا والبرتغال، وعمل أستاذ للقانون في بولونيا، وشغل وظيفة مدير القضاء في الكنيسة الرومانية، وكان ألبرت دي مورا ناسكاً وأديباً ومثقفاً، عرف بتقواه وتدينه وزهده وتقشفه وعفته وحبه للعمل والفقر والرأفة والحنان وصفاء أخلاقه وأفكاره ووضعت الأيقونات والعصا البابوية والقوانين والتشريعات التي كتبها خلال إقامته في بينفنتو في عهدته، وذلك بناء على طلب مجلس الكهنة القانونيين، واختاره الكاردينالات بابا بالإجماع في 21 أكتوبر 1187م، واتخذ اسم جريجوري الثامن، ودعا إلى حملة صليبية جديدة عند استرداد صلاح الدين للقدس، ومرض

وهرة الحزن، وحث الناس على حمل الصليب والسلاح لإنقاذ الإمارات الصليبية المتداعية في الشرق[194] ؛ وبالفعل أصدر مرسوماً في 23 شعبان 583هـ/29 أكتوبر 1187م أطلق عليه "مرسوم الوصايا . Audita Tremendi، وجاء في هذا المنشور ما يلي:

1. أنه موجه من البابا جريجوري الثامن إلى كل المؤمنين بالمسيح، وإلى كل من يصله ذلك المنشور ويبلغهم فيه سلامه.
2. ويتحدث عن معركة حطين، وكيف تصدى ملك مملكة بيت المقدس والأساقفة وجنود والأسبتارية[*] والشعب لصلاح الدين، وهم يحملون صليب الرب الذي يذكرهم بآلام المسيح الذي ربط عليه، كما ينظرون إليه على أنه الحصن الحصين ضد هجمات الكفار (المسلمين)، ويذكر كيف انهزم الصليبيون في المعركةو أسر الملك، ورفع الصليب المقدس بأيدي الأعداء (المسلمين)، وذبح الأساقفة، واستعبد كثير من المسيحيين، والذين نجوا من المعركة ذكروا

بالحمى ومات في 17 ديسمبر سنة 1187م. انظر إلى Kelly: Oxford Dictionary of popes op cit, pp. 182-183. :

(194) رنسيمان المرجع السابق، ج3، صـ37؛ غانم،(حامد زيان)،العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام ابان الحروب الصليبية،رسالةدكتوراة غير منشورة،جامعة القاهرة،1975 ، صـ11؛ ضبيع، صلاح محمد،دور الالمان فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام 626-540 / 1145-1229م ص صـ140-141.

(*) الاسبتارية : من اقدم الهيئات الدينية الحربية التى ولدت على الارض المقدسة ،قيل أن البابـاجريجورى العظيم ارسل احد رؤساءالاديرة يدعى رويوس اللارض المقدس،وكلفة بتأسيس نزل فى بيت المقدس لخدمة الحجاج ،وقيل أن تجارا من امالفى اسسوا مستشفى فى بيت المقدس سنة(414 ه/1023م)واطلقوا عليها اسم مستشفى القديس يوحنا بطريرك الاسكندرية فى القرن السابع الميلادى , وبعد احتلال الصليبيين بيت المقدس سنة (492ه/1099م) تطورت الهيئة الى منظمة دينية دولية عرفت باسم الاسبتار HOSPiTaHers وحرفت بالعربية الاسبتارية ,وبعد وفاة جيراد مؤسس تلك الهيئة حوالى سنة (514هـ/1120م) انتخب ريموند دى بى رئيس للهيئة وتكونت من الرهبان والاخوة الخدمةوجماعة الاخوة الفرسان،ومن المناصب الادرية فى الهيئة ,المقدم والمارشال والتركوبولى قائد الخيالة الخفيفة وكان افراد الهيئة يرتدون رداء اسود مطرزعلى الصدر بصليب ابيض ومن قلاعهم قلعة بيت نوبة , قرية بيت جبرين فى مملكة بيت المقدس ,وحصن الاكراد فى امارة طرابلس ,وانتقلوا الى عكا بعد سقوط بيت المقدس ,وبعد سقوط عكا فى سنة 690ه/1291 م اتخذومن جزيرة قبرص مقرا لهم ,انظر الى حاطوم (نور الدين),تاريخ العصرالوسيط فى اوربه, ج2,دمشق,1982,ص231.

أن كل الأسبتارية والدوية قد قتلوا، وذكر أنه بعد أن انتصر المسلمون على الصليبيين، انتشروا في كل مملكة بيت المقدس، واستولوا على معظم المدن، ولم يبق إلا بعض المدن التي ماتزال تقاوم.

3. وأوضح أن خبر استرداد المسلمين لبيت المقدس سبب له ألماً شديداً، وأن خسارة القدس تمت بسبب الانقسامات الداخلية بين الصليبيين في الأرض المقدسة[195] . وأنه حزين جداً على ما حل بالأرض المقدسة، وأنه يجب أن لا ننسب الكارثة إلى ظلم الرب وإنما لإثم الشعب الذي أخطأ، لذلك يجب العمل بسرعة من أجل محو الخطايا بتوبة إرادية وتقوى حقيقية[196] .

4. ويطالب البابا جريجوري الثامن المسيحيين بإيقاف زحف المسلمين الذين يقودهم صلاح الدين ، وإلا تلاشت وذهبت مع رياح العدوان العاتية، ولابد أن ننصر اولئك الناس وننقذ تلك الأرض الطيبة ... فهل نستجيب لإرادة الرب أم لإرادة الأعداء"[197] . كما يطلب منهم الابتعاد عن الهزيمة والانقسام، وأن يظهروا الشجاعة، ويذكرهم أن النكبة التي أصابتهم هي نتيجة غضب الرب عليهم بسبب كثرة خطاياهم، وأنه من أجل الحصول على الغفران يجب البكاء، وأنه عندما يتوب الرب عليهم فإن رحمته ستجعلهم أكثر رحمة، وأنه يجب عليهم أن يبكوا مع المتألمين لأن مبادئ دينهم تعلمهم ذلك، وأيضاً لأسباب إنسانية، ولأن البرابرة (المسلمين) قاموا بتدنيس الأماكن المقدسة، وهم يريدون محو اسم المسيح من الأرض التي ولد فيها[198] .

5. وعد البابا جميع المشتركين في الحملة الصليبية "بغفران خطاياهم وبالحياة الأبدية التي ستلي ذلك إذا ما ماتوا، وإذا عادوا فليعلموا أنه بواسطة الرب

---

(195) Gregory VIII: "Letter to all faithful, October 29, 1187 in Benedict of peterborugh: the chronicle reigns of Henry II and Richard I. A. D. 1169-1192 edited, from the cotton MSS By stubbs W. M. A., vol. II (New York 11990), pp. 15-16.

(196) Michaud (M), Histoire Des Croisades, vol. 2, (Pavis 1849), pp. 633-634.

(197) Benedict of peterboruy, op. cit, pp. 16-17.

(198) Michaud, op. cit, vol. 2, pp. 632-635.

القوي وسلطة الرسل القديمين بطرس وبولس وسلطتنا هم معفوون من أي توبة أخرى تفرض عليهم على أساس أن يعترفوا اعترافاً كاملاً بخطاياهم، كما أن ممتلكات الصليبيين وعائلاتهم ستبقى تحت الحماية الخاصة لرؤساء الأساقفة والأحبار، ويؤجل النظر في الأمور القانونية الخاصة بممتلكات أي صليبي حتى عودته أو وفاته، كما أن الصليبي لن يجبر على دفع فوائد عن ديونه إذا كان مديناً بأموال لأحد"[199] .

6. واختتم البابا جريجوري الثامن منشوره ببعض الشروط التي يجب على الصليبيين المشاركين في الحملة الصليبية إتباعها، فقال: "إن الصليبيين لن يمشوا وهم يلبسون ملابس فاخرة، ومعهم كلاب أو صقور[*] أو أشياء أخرى مشابهةوالتي تظهرى الفخامة والمظهرية، بل يجب عليهم أن يلبسوا ملابس بسيطة، وكأنهم رجال يقومون بالتوبة وليس رجالاً يبحثون عن المجد الباطل"[200] .

ووجه البابا جريجوري الثامن منشوراً آخر إلى كل المؤمنين بالمسيح في 23 شعبان 583هـ/29 أكتوبر 1187م، طالبهم فيه بالصوم يوم الجمعة ولمدة خمس سنوات تالية، والامتناع عن أكل اللحوم أيام الأربعاء والسبت، وأخبرهم أن الذين تحت إمرته، وكذلك الذين تحت إمرة كاردينالاته سوف يصومون أيام الاثنين أيضاً[201] .

---

[199] رنسيمان المرجع السابق، ج3، صـ37؛ زيدان، المرجع السابق، صـ208.

[*] ومع ذلك فلم يلتزم المشاركون في الحملة بعدم حمل الكلاب والطيور معهم، فقد أشار ابن شداد إلى قصة الباز الذي حمله فيليب أغسطس معه في الحملة الصليبية الثالثة في أثناء حصار عكا، ووقع في أيدي المسلمين، وعرض عليهم ألف دينار لاستعادته ورفضوا العرض ،انظر الى ابن شداد، المصدر السابق، صـ157.

[200] Michaud, op. cit, vol. 2, p. 636.

موندوند المرجع السابق، ج2، صـ22؛ الحريري، المرجع السابق، ص صـ163-164.

[201] عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ51؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ37.

أرسل البابا جريجوري خطاباً إلى كانوت Canute ملك الدنمارك Denmark أطلعه فيه على الكارثة التي حلت بالصليبيين في الشرق، وطلب منه المشاركة في الحملة الصليبية، ورداً على طلب البابا جريجوري الثامن، عقد الملك كانون مجمعاً في الميلاد Christmas وقرأ فيه الوكلاء البابويين خطاباً للبابا، وتقرر في المجمع نشر أخبار الحملة الصليبية في الميادين العامة، والتبشير بها في الكنائس من أجل التعبئة وحشد الجنود لها[202] .

واتبع البابا جريجوري الثامن سياسة التهدئة من أجل جمع كل القوى المسيحية في الحملة الصليبية لمنع السلطان صلاح الدين من الاستيلاء على باقي المدن الصليبية في الشرق[203] ، وقام بعدد من الإجراءات، هي:

1. عين هنري البانو Henry of Albano[*] ممثلاً أو وكيلاً بابوياً بعد إصداره النشرة البابوية التي دعا فيها إلى حملة صليبية جديدة، أي بعد 23 شعبان

---

[202] زيدان،(عبدالسلام محمد)الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام(1095 –1189م)رسالة دكتوراة غير منشورة,كلية الاداب, جامعة حلب،2004, صــ208.

[203] عبد الوهاب، المرجع السابق، صــ51.

[*] هنري من ألبانو: ولد هنري أسقف ألبانون في مارس Marcy 532هـ/1140م، ودخل دير كليرفو 550–551هـ/1155–1156م، وترقى حتى وصل إلى رتبة رئيس دير هيتكومب Hautecombe سنة 556هـ/1160م، ثم رئيس دير كليوفو سنة 572–573هـ/1176–1177م قاوم البدع والهراطقة في جنوب فرنسا، وأخبر البابا ألكسندر الثالث بأعمال الهرطقة التي قمعها خلال رحلته التبشيرية التي قام بها، ووافق البابا على هذه الأعمال، وترفع على كاردينال في مجمع اللاتيران الثالث، الذي عقد 575هـ/مارس 1179م، ودخل فرنسا كوكيل أو ممثل بابوي في نهاية سنة 1179م، وبداية 1181م، للقضاء على الهرطقة، وقاد حملة مسلحة ضد لافوار Lavaur في 576هـ/ ربيع سنة 1181م للقضاء على روجر الثاني Roger II كونت بيتريرس Beziers وزوجته أديلاد Adelaide وغيرهم من المهرطقين، ودعا إلى حملة صليبية إلى الشرق بعد وفاة البابا أوربان الثالث، وبارك انتخاب البابا جريجوري الثامن، وبشر للحملة الصليبية في المانيا، وصالح بين فيليب أوغسطس ملك فرنسا وهنري الثاني ملك إنجلترا في جيسور 583/ يناير 1180م، توفي في 584هـ/ يناير 1189م ،انظر الى زيدان، المرجع السابق، صــ209.

583هـ/29 أكتوبر 1187م، وكلفه بالتبشير للحملة الصليبية في ألمانيا وفرنسا[204] .

2. أرسل البابا جريجوري الثامن رسل من مدينة روما إلى كافة حكام أوروبا يطالبهم بعقد هدنة مدتها سبع سنوات[205] ، وقد علق المؤرخ ماير اتش على مطالبة هذة اعتبرة غير واقعيا[206] .

3. وناشد البابا جريجوري الثامن دوق البندقية بوقف هجومه على مدينة زارا سنة 586هـ/1187م، وطالبه بتوجيه قواته ضد صلاح الدين[207] .

4. وأقام البابا جريجوري الثامن علاقات صداقة مع الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا[208] .

فقد أرسل خطاباً إلى كل الأساقفة والمطارنة[*] الألمان في 21 شعبان 583هـ/ 27 أكتوبر 1187م، يخبرهم فيه باختياره، ويطلب منهم الانضمام والولاء للكنيسة الرومانية، ويحث ابنه العزيز جداً الإمبراطور فريدريك بربروسا، والأمراء، وكل الشعب الألماني، أن يأتوا لمساعدة الكنيسة الشرقية[209] .

---

(204) **عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ51.**

(205) **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ37؛ عمران، المرجع السابق، صـ147.**

(206) **المرجع نفسة، ج1، صـ188.**

(207) **عاشور (فايد حماد محمد) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، القاهرة، دار المعارف، 1980، صـ155.**

(208) **غانم، المرجع السابق، صـ11.**

(*) **مطران : هي مأخوذة من كلمة متروبوليت اليونانية وتعني لقب بعض رؤوس الأساقفة الشرقيين تختلف سلطتهم باختلاف تنظيم الكنيسة التي ينتمون إليها ، ففي القانون الكنائس الشرقية المتحدة بروما فهو اسقف خاضع أو غير خاضع لبطريك والذي على رأس منطقة كنيسة ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق، صـ صـ 429 ، 468 .**

(209) **ضبيع، المرجع السابق، صـ140.**

وأرسل البابا جريجورى خطاباً آخر إلى الامبراطور فريدريك بربروسا في 583هـ/29 نوفمبر 1187م من أجل تجديد السلام بين الطرفين، وقد لاقى ذلك قبولاً لدى فريدريك بربروسا[210] . كما أرسل البابا جريجور الثامن خطاباً إلى هنري بن فريدريك بربروسا مؤرخ في مدينة بارما 583هـ/29 نوفمبر 1187م، ومنح هنري لقب الإمبراطور المختار أو المصطفى، وربما يدل ذلك على التصالح بين البابوية والإمبراطور، وأن البابا أراد تأييد فريدريك بربروسا الذي أعطى مقدما لقب إمبراطور إلى ابنه[211] .

على أن البابا جريجوري الثامن واصل جهوده، وأرسل مندوبيه إلى معظم أرجاء أوروبا لنشر دعوته للحملة الصليبية المرتقبة[*][212] .

5. عمل البابا جريجوري الثامن على المصالحة بين مدينتى جنوا وبيزا، بهدف الاستفادة من أسطولهم، من أجل حملة صليبية وشيكة الحدوث، وحشد المسيحيين من أجل استعادة الأراضي المقدسة[213] .

فقد غادر البابا جريجوري الثامن مدينة فيراري في 583هـ/ منتصف نوفمبر 1187م، ثم ذهب بالتعاقب إلى المدن مودين Modene وبارما Parma ولوكيوس Lucques؛ ثم وصل إلى مدينة بيزا في 4 شوال 583هـ/ 10 ديسمبر سنة 1187م، واستقبل بترحاب في المدن بيزا وجنوا، وتحدث إليهم بالحكمة التي أدت إلى التصالح بين الطرفين[214].

---

(210) **عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ52.**

(211) **زيدان، المرجع السابق، صـ210.**

(*) **كتب البابا إلى أحد أمراء الغرب، وهو هتكوأوف سيروتين Hinco of Sreotin قائلاً: "لأنك قد حملت الصليب وعزمت على التوجه إلى الأراضي المقدسة، فإننا فقط شخصك وتكون تحت حماية الكنيسة أنت وأتباعك وما تملكه وسيظل كل شيء كاملاً غير منقوص منذ رحيلك عبر البحار للأراضي المقدسة، وحتى عودتك أو وفاتك" انظر إلى عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ51.**

(212) **عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ51.**

(213) **ضبيع، المرجع السابق، صـ141.**

(214) **زيدان، المرجع السابق، صـ210.**

ولم يقدر للبابا جريجوري الثامن أن يشهد نتائج جهوده من أجل قيام الحملة الصليبية؛ لأنه مات بالحمى في مدينة بيزا في 11 شوال 583هـ/17 ديسمبر 1187م، وتمت مراسم دفنه في كاتدرائية(**) بيزا(215) .

وتابع البابا كلمنت الثالث Clement III (1187-1191م)(*) جهود البابا جريجوري الثامن في حث المسيحيين من أجل استعادة الأرض المقدسة(216) . فقد أبرم اتفاق سلام مع الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا في 585هـ/9 أبريل 1189م ، ودعاه إلى التوجه إلى الشرق لاسترجاع مدينة بيت المقدس(217) .

ويرى رأفت عبد الحميد أن هدف البابا كلمنت الثالث من دعوة السلام مع الامبراطور الالمانى فريدريك هى لإبعاده عن الساحة الأوروبية، ولو إلى حين؛ لأنه كان يؤمن بأنه إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ أي أنه سيد العالم، وهذا لا يعجب الفكر البابوي القائل هو الآخر بسيادة العالم(218) .

(**) كاتدرائية : كنيسة فيها كرسي الأسقف المحلي ،انظر الى اليسوعي ، المرجع السابق ، صـ 9.

(215) رنسيمان المرجع السابق، صـ37؛ غانم، المرجع السابق، صـ17.

(*) كلمت الثالث: هو باول سكولاري Paul Scolari تاريخ ميلاده غير معروف؛ ولكنه روماني الأصل، وكان أسقفاً لبريفيست Praeveste بالينزينا Palestrina حالياً قبل أن ينتخبه الكاردينالات في بيزا بابا باسم كلمنت الثالث خلفاً للبابا جريجوري الثامن 583هـ/19 ديسمبر سنة 1187م، كان محباً للسلام، وأقام سلاماً مع الرومان للقضاء على الخصومات والمنازعات التي فرقت المدن الإيطالية؛ حيث أرسل مندوبه إلى روما في 584هـ/16 يناير 1188م لإبرام السلام؛ ثم وصل إلى روما في بداية فبراير ووقع اتفاق السلام مع الرومان في 31 مايو 1188م، وأبرم اتفاق سلام مع الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا في 585هـ/3 أبريل 1189م، وصالح بين جنوا وبيزا، ودخل في نزاع مع هنري السادس Henry VI (1190-1197م) ابن ووريث فريدريك بربروسا، الذي ادعى حقه في مملكة صقلية لزواجه من كونستانس؛ لأنه بعد وفاة وليم الثاني William II ملك صقلية 585هـ/ أواخر سنة 1189م، تولى عرش صقلية تانكريد Tancred، وأيده البابا كلمنت الثالث على الرغم أنه حاكم غير شرعي أما كونستاسن فهي المتبقية الشرعية الوحيدة من عائلة روجر، ودعا البابا كلمنت الثالث الحملة الصليبية الثالثة، ومات في 587هـ/ أواخر مارس 1191م.

انظر الى Kelly: Op. cit, pp. 183-184.

(216) غانم، المرجع السابق، صـ17.

(217) حمزة، المرجع السابق، صـ135.

(218) عبد الحميد، المرجع السابق، ص صـ44-45.

وبذلك تم عقد السلام مع الرومان في 584هـ/31 مايو 1188م ليتفرغ لإعداد وتنظيم الحملة الصليبية[219] . وعين البابا كلمنت الثالث جوسياس رئيس أساقفة صور وهنري ألبانو مندوبين عنه في الدعوة للحملة الصليبية[220] من أجل استرجاع الأرض المقدسة، وقام هؤلاء المبشرون بجهود كبيرة أدت إلى خروج الحملة الصليبية، وكان الناس يلعنون السلطان صلاح الدين بعد أن يستمعوا إليهم[221] .

وفى عام 584هـ/1188م أصدر البابا كلمت الثالث مرسوماً منح فيه الغفران الكنسي للذين يشاركون في الحملة الصليبية، وجددت الامتيازات المعطاة بواسطة أسلافه لأولئك الذين يذهبون إلى الأراضي المقدسة، وسمح للأساقفة في إنجلترا وفرنسا أن يمنحوا غفراناً كاملاً للذين يشاركون في الحملة الصليبية، ونصف الغفران للذين لم يشاركوا في الحملة الصليبية؛ ولكن أعطوا نصف ممتلكاتهم لتجهيز الحملة الصليبية[222] .

وأرسل البابا كلمنت الثالث إلى رجال الدين في مدينة كانتربري Canterbury، وفي مدينة جنوا سنة 584هـ/1188م، يطلب منهم تخصيص جزء من ثروتهم لدعم الحرب الصليبية، أمر كل الأساقفة بتعيين كهنة[*] لتحصيل الأموال وإنفاقها على الجيش الصليبي[223] .

---

[219] **زيدان، المرجع السابق، صـ211.**

[220]**موندوند، المرجع السابق، ج2، صـ99؛ الحريري، المرجع السابق، صـ164.**

[221] **زابوروف (ميخائيل)، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، موسكو، دار التقدم، 1986، صـ194؛ عمران، المرجع السابق، ص صـ147-148.**

[222] **ضبيع، المرجع السابق، ص صـ141-142؛ زيدان، المرجع السابق، صـ212.**

[*] **الكهنة : هم أصحاب الوظائف التي كانت لهم امتيازات مقدسة أو بعض صلالات العامة بالألوهية وتقريب الذبائح والصلاة باسم الشعب أو تبليغ الشعب بعض تعاليم الله وبركاته ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق ، صـ405 .**

[223] **سميث (جوفا ثان ريلي)، ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، 1999، ص صـ70-72.**

وفي عام 584هـ/27 مايو 1188م طلب من رئيس أساقفة مدينة جنوا أن يقدم المساعدات والمعونات على شاطئ البحر من أجل الحملة الصليبية[224] .

وبالرغم من جهود البابوية تم التوجهات بإرسال الحملة الصليبية إلى الشرق، إلا إنها تعرضت لكثير من النقد واللوم، خاصة من قبل شعراء التروبادور Trobadors[*] المنتشرين في أوروبا في تلك الفترة، فمثلاً وجدنا الشاعر جيرودي برونيل Giroutde Bornely ينقد البابا جريجوري الثامن نقداً لاذعاً، قائلاً أن ما فعله لا يعد شيئاً مقارنة بحجم الكارثة التي حلت بالصليبيين نتيجة لا مبالاة البابوية بمصير الإمارات الصليبية، وأن بوادر هذا الأمر بدأت منذ فترة ترجع إلى ما بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى في الشرق؛ بل إن أحد المؤرخين يرى أن البابا جريجوري لم يفعل أكثر من توجيه دعوة عامة واهنة، كالتي أطلقها في نهايات عمره، وأن كليمنت الثالث لم يفعل أكثر من توجيه نداء إلى الإمبراطور فريدريك بربروسا بالمشاركة في الحملة[225] .

دعا جوسياس رئيس أساقفة صور وهنري ألبانو لحملة صليبية جديدة في اجتماع جيسور[*] في الفترة من 12-18 ذي القعدة 583هـ/13-19 يناير 1188م[226] . وشرحا في الاجتماع كيف استولى المسلمون على بيت المقدس[227]

---

[224] **زيدان، المرجع السابق، صـ212.**

[*] **يطلق على شعراء التروبادور أيضاً شعراء التروبادور البروفانسيون نسبة إلى بروفانس في جنوب فرنسا، وشعرهم أقدم شعر غنائي عرفته أوروبا، فهو شعر منظم ليغنى لا لينشد وحسب، وأول هؤلاء الشعراء وليم التاسع Giuom IX دوق أكيتانيا وكونت بواتيه (1071-1177م)، وقد قام شعراء التروبادور بدور مهم في إثارة الرأي العام، الأوروبي طوال فترة الحروب الصليبية انظر الى عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ52.**

[225] **عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ53.**

[*] **وحضر اجتماع جيسور فيليب أوغسطس ملك فرنسا، وهنري الثاني ملك إنجلترا، وفيليب كونت فلاندرز، وريتشارد كونت بواتو وهنري كونت شبامبانيا وتيبون كونت بلويز وأمراء سوسون، ونافار وغيرهم، وكان الهدف من عقد المجمع تسوية الخلافات بين فرنسا وإنجلترا، ولترتيب زواج ريتشارد بن هنري الثاني من الأميرة أليس Alice أخت أخت فيليب أوغسطس انظر الى موتروند، المرجع السابق، ج2، ص صـ100-101.**

[226] **موندوند، المرجع السابق، ج2، ص صـ100-101.**

، وأخذهم الجزية من سكان المدينة الذين أصبحوا يباعون في الأسواق كالعبيد، وأنه لم يبق من الإمارات الصليبية في الشرق إلا ثلاث مدن، هي: أنطاكية، وطرابلس، وصور، ثم تلى عليهم منشور البابا جريجوري الثامن[228] ، ثم خاطب جوسياس الأمراء والفرسان قائلاً:

"لكي أصل إليكم لابد أن أعبر حاجز الشجاعة، وأتوسم في مجلسكم المشاركة في وضع اللازم، أرى عجلة الحرب تدور رحاها؛ لذلك عليكم أن تنقذوا دماءكم وتضحوا بأنفسكم ... حاربوا جميعكم ولا تخشوا أحداً، ومن لم يخلص لنا لا يستحق العيش بيننا، لابد من غزو مملكة الرب واسترجاع حقوقنا والحفاظ على صليب يسوع المسيح، ولابد من التجول في كل مكان حتى شوارع بغداد، أتنسون كل ما فعله آباؤكم لإقامة المملكة المقدسة، المملكة التي أنشأناها في وسط الأمم الإسلامية"[229].

ونجح جوسياس وهنري ألبانو في إقناع فيليب أوغسطس ملك فرنسا، وهنري الثاني ملك إنجلترا، بإقامة السلام بينهم، والموافقة على الاشتراك في الحملة الصليبية لاسترداد بيت المقدس، كما وافق على الاشتراك في الحملة الصليبية فيليب كونت فلاندرز، وعدد كبير من النبلاء الذين كانوا في المجمع[230] .

وتم الاتفاق على أن يضع الإنجليز صلباناً بيضاء، والفرنسيون صلباناً حمراء، والفلمنكيون صلباناً خضراء[231] . وأن يتم السفر بعد 21 مارس 1189م، وأن يسلكوا طريق البر[232] . وأمر هنري الثاني ملك إنجلترا بعقد مجلسه الملكي في

---

[227] الحريري، المرجع السابق، ص صـ164-165.

[228]المرجع نفسه، صـ165.

[229] Michaud, op. cit, vol. 2, p. 357.

[230] المورخ المجهول, الحرب الصليبية صلاح الدين وريتشارد, مجموعة اوراق جمعها وليم ستابز, ترجمة وتعليق حسن حبشى, ج1, القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب ,2000، ، ص صـ183-184؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ664.

[231] عبد القوي، المرجع السابق، صـ109.

[232] إتش ماير، المرجع السابق، صـ189.

مدينة لي مان La Mans الانجليزة في أواسط ذي القعدة 583هـ/ أواخر يناير 1188م، وأقر في هذا المجلس مرسوم ضريبة عشر صلاح الدين(*) ، وصادق على هذه الضريبة في المجمع الكنسي الذي عقد في جيدنجتون Geddington في مقاطعة نورثمباتون Northampton الانجليزة في 584هـ/11 فبراير 1188م(233) . وعقد فيليب أوغسطس ملك فرنسا مجمعاً كنسياً في باريس 584هـ/1188م قرر فيه عشر صلاح الدين في فرنسا؛ واستثنى من هذه الضريبة كل من الرهبان الشارترين Chartreux والرهبان البندكتين والسيسترشيات وطائفة فونتيفرولت Fontevrult والمصابين بالجذام والبرص، ولم تفرض ضريبة عشر صلاح الدين في ألمانيا، وإنما كان الإمبراطور فريدريك بربروسا يدفع ثلاث ماركات لكل فارس(234) .

وقام هنري الثاني ملك إنجلترا ببعض الاستعدادات من أجل الحملة الصليبية المزمع القيام بها، فقد فرض عشر صلاح الدين في إنجلترا لتغطية نفقات الحملة، كما بينا، وأقر في مجمع جيدنجتون أنه يجب أن لا تذهب النساء في الحملة

(*) **ويدفع ضريبة عشر صلاح الدين كل شخص لا يشترك بالحملة الصليبية، وهي عشرة بالمائة على الدخول والمنقولات ولمدة سنة فقط، ويستثنى من هذه الضريبة أسلحة وخيول وملابس الفرسان وخيول وكتب وملابس رجال الدين، وكل الأواني المقدسة الخاصة بالكهنة، وكل المجوهرات الخاصة برجال الدين والعمانيين، ويعفى من دفع هذه الضريبة رجال الدين والفرسان الذين سيشتركون في الحملة الصليبية، وتحصل الضريبة في أبرشية في حضور قس الأبرشية ونائب المطران، وأحد جماعة الداوية وأحد جماعة الأسبتارية وأحد أعضاء خاصة الملك، وكاتب الملك، وكاتب الأسقف، وتقرر أنه سيصدر قرار الحرمان ضد الذي يرفض دفع الضريبة، وأنه إذا دفع شخص أقل مما يجب أن يدفعه، يتم اختيار أربعة أو ستة رجال معترف بهم من أهل الأبرشية، ويقسموا أنهم سيقدرون المبلغ الذي كان يجب عليه أن يقدره بنفسه، وأن يدفع المبلغ الذي أنقصه وكان على القساوسة أن يكتبوا إلى كل أبرشيات أسقفياتهم في عيد القديس ستيفن في 26 ديسمبر وعيد القديس حنا في 24 يونيو أنه ينبغي على المكلفين بجمع عشر صلاح الدين أن يحضروا الضريبة في بيوتهم قبل عيد القديسة مريم في 2 فبراير 1189م، وفي اليوم التالي يدفعون تلك الضريبة إلى الأشخاص الذين تم ذكرهم سابقاً وفي المكان الذي يتم استدعاءهم إليه انظر الى عطية (حسين محمد)، "عشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوروبا ومملكة بيت المقدس"، في مجلة المؤرخ المصري، العدد السادس، يناير 1991م، ص صـ115-176.**

(233) **عبد القوي المرجع السابق، صـ110.**

(234) **زيدان، المرجع السابق، صـ216.**

الصليبية، باستثناء الغسالات ذوات السمعة الطيبة، لتجنب حدوث البلبلة في صفوف الصليبيين، كما حدث في الحملتين السابقتين[235] .

هذا وقد تم الإقرار على أن الصليبي الذي يتوفى أثناء الرحلة تقسم أمواله على الحملة الصليبية وعلى الفقراء، وسمح للصليبيين من العلمانيين ورجال الدين برهن أملاكهم[236] . وكلف هنري الثاني بلدوين رئيس أساقفة كنسية كانتربري بالدعوة للحملة الصليبية في ويلز Wales[237] . وأرسل ريتشارد باري Richard Barre إلى الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا وملك هنغاريا بيلا الثالث Bella III (1173–1196) والإمبراطور البيزنطي إسحاق الثاني أنجيلوس Angelus Isaac II (1185–1195م) ليخبرهم عن عزم هنري الثاني وفيليب أوغسطس التوجه إلى الأرض المقدسة وضرورة السماح لهما بالمرور عبر أراضيهم ودخول الأسواق[238] .

ورغم الموافقة على مطالب الملك هنري الثاني؛ إلا أن الإنجليز والفرنسيين قرروا الرحيل إلى الأرض المقدسة عن طريق البحر؛ لأن فريدريك بربروسا أخذ الطريق البري، ولا يريدون أن يتكرر ما حدث من قبل، أي التنافس الفرنجي الألماني من أجل الحصول على الإمدادات[239] .

وأرسل البابا كلمنت الثالث هنري ألبانو إلى الملكين فيليب أوغسطس وهنري الثاني في خريف سنة 1188م، ليطالبهما بعقد السلام إثر تجدد النزاع بينهما طوال الصيف والخريف سنة 584هـ/1188م، وبعد وفاة هنري ألبانو أرسل البابا كلمنت الثالث الكاردينال جون أوف أناني إلى الملكين لنفس الغرض 585هـ/ ربيع 1189م[240] . ووافق فيليب أوغسطس على المشاركة في الحملة الصليبية؛ لأن

---

[235] عبد القوي، المرجع السابق، صـ110.

[236]المرجع نفسة، صـ110.

[237] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ138.

[238] عبد القوي، المرجع السابق، صـ111.

[239]عبدالقوى، المرجع نفسه، صـ111.

[240] رنسيمان المرجع السابق، ج3، صـ39.

مفاهيم الشرف الإقطاعية لم تسمح له بأن يواجه مبادرة البابا بعدم الاكتراث؛ ولأن الحملة الصليبية تبدو له وسيلة مناسبة لإصلاح شؤون السلطة الملكية؛ أي رفع مكانتها وسمعتها في داخل البلد وخارجه، وتكريس كل الموارد لتوجيه ضربة قوية لأسرة بلانتجينت الإنجليزية لتوحيد الأراضي الفرنسية التي كان قسم كبير منها خاضع للسيادة الإنجليزية[241] .

واهتم الملك الإنجليزي هنري الثاني بالحرب الصليبية؛ لأنه توجد صلة قرابة بين أسرة بلانتجينت الإنجليزية والأسرة الأنجوية في بيت المقدس[242] . إلا أن تمرد أبنائه عليه وتجدد نزاعه مع فيليب أوغسطس ملك فرنسا ونزاعه مع توماس بيكت في الفترة الممتدة من 559-568هـ/1164-1172م، ونزاعه مع أيرلندا، وحروبه مع اسكتلندا جعله يتناس أمر الحملة الصليبية ، فضلاً عن تجدد نزاعه مع الملك فيليب اغسطس [243] .

وما لبث الملك هنري الثاني أن توفي 585هـ/1189م في مدينة شينون Chinon ، ودفن في كنيسة نونس Nuns في فونتفرود Fonteverou بعد حكم دام أربعة وثلاثين عاماً وسبعة أشهر وأربعة أيام[244]. وما أن مات هنري حتى اعتلى عرش إنجلترا ابنه ريتشارد كونت بواتييه المعروف بريتشارد (قلب الأسد) ؛ وذلك في 20 رجب 585هـ/3 سبتمبر 1189م[245] .

وتحسن موقف الغرب الأوروبي في القضية الصليبية؛ لأن ريتشارد كان من أوائل من حملوا الصليب عقب معركة حطين، وما حل بالصليبيين في بلاد الشام[246]؛ ولأنه كان جاداً في عزمه على الخروج بحملة صليبية، ومع أنه ورث عن

---

[241] زابوروف، المرجع السابق، ص صـ198-199.

[242]، المرجع نفسه، صـ196؛ عبد القوي، المرجع السابق، صـ99.

[243]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ39؛ عبد القوي، المرجع السابق، ص صـ111-116.

[244] بطران، المرجع السابق, ص100

[245]المرجع نفسه، صـ178.

[246] عبد القوي، المرجع السابق، صـ117.

والده نضاله ضد فرنسا، إلا أنه كان مستعداً لعقد أية تسوية معها تتيح له أن يتجه إلى بلاد الشام، لاسيما إذا اشترك فيليب ملك فرنسا في تلك الحملة، متناسيا ما كان بين إنجلترا وفرنسا من تنافس سياسي واقتصادي (247) .

وأدرك الملك فيليب أنه ليس من حسن السياسة إرجاء توجيه الحملة أكثر من ذلك، هذا بالإضافة إلى رغبته في إعلاء شأن أسرة آل كابييه الفرنسية بين الأسرات الأوروبية الحاكمة(248) . وبالفعل وصل إلى مدينة لندن في رمضان 585هـ/ أكتوبر 1189م رسول الملك فيليب أوغسطس، والمدعو روترود كونت ابرشيه(*) Rotrod Count Perche التابعة للتاج الفرنسي، ومعه آخرون، لمقابلة الملك ريتشارد، وقام الرسل بإخبار الملك ريتشارد بأن الملك فيليب أوغسطس ونبلاء المملكة الفرنسية أقسموا جميعاً في اجتماع عام في مدينة باريس، أنهم بمشيئة الرب سوف يتجهون إلى الأراضي المقدسة بعد عيد الفصح القادم(249) .

وفي ذي الحجة 586هـ/ يناير 1190م عقد اجتماع بين الملك الفرنسي فيليب أوغسطس والملك ريتشارد وكونت فلاندرز بحضور الجميع تم الاتفاق أولاً على سرعة الرحيل إلى الأراضي المقدسة، والاتفاق على كيفية الرحيل، وبعد ذلك قام الملك فيليب أوغسطس والملك ريتشارد وبحضور فيليب كونت فلاندرز ورؤساء الأساقفة والنبلاء في المملكتين بالاتفاق على عقد سلام (250) .

وكانت شروط هذا السلام ألا تتعرض أملاك المملكتين لأي حرب، وذلك قبل مرور أربعين يوماً تعيش فيها البلاد في سلام بعد عودة الملكين من رحلتهما، وصدق على هذا القسم رؤساء الأساقفة في المملكتين، واتفق على تطبيق عقوبة

---

(247) عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ64.

(248) المرجع نفسه، صـ64,

(*) ابرشية : كلمة مشتقة من اليونلنية ((إيبارخية)) وتعني المنطقة الخاضعة لسطان أسقف ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق ، صـ 6 .

(249) بطران، المرجع السابق، صـ179.

(250)بطران, المرجع السابق، صـ179.

الحرمان الكنسي على كل من يتخاذل عن الذهاب إلى الأراضي المقدسة، وكل من ينقض هذا الاتفاق، فضلاً عن ذلك تقرر أنه في حالة وفاة الملكين أثناء الرحلة سيتولى الثاني . الذي مازال على قيد الحياة . شئون قوات الملك الراحل وكنوزه، لكي يقوم بإتمام المهمة التي اختاره الله لها[251] .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل زاد إلى أنه "إذا ما حاول أي إنسان إثارة حرب ضد أملاكنا أو أي جزء منها أثناء غيابنا في الشرق، وخرق العدالة القائمة، سينال عقوبة الحرمان من قبل البابوية على أملاكه، وسيطال ذلك ورثته بشكل أبدي".

وعلى ما يبدو أن الملكين لم يكونا قادرين على إنجاز الاتفاقية بصورتها النهائية في التاريخ المحدد لها؛ لذا فقد تأخر العمل بها حتى عيد القديس يوحنا المعمدان[*] Saint John the Baptist 19 جمادي أول 586هـ/24 يونيو 1190م حتى يجتمع الملكان، وكل المشتركين في الحملة في مدينة فيزلاي لمواصلة سير الحملة إلى الشرق[252] . وعلى ما يبدو أن هذه الاتفاقية قد أغفلت الحديث عن إتمام زواج أليس أخت الملك الفرنسي من الملك ريتشارد ملك إنجلترا[253] .

ويؤكد ذلك حسن حبشي أن الرسالة التي وصلت إلى الملك الفرنسي فيليب أوغسطس من الملك الإنجليزي ريتشارد يؤكد له فيها أنه مازال حديث عهد بالمملكة كملك، وأنه خارج على رأس جيشه إلى الأراضي المقدسة، وأنه يطلب منه تأجيل زواجه من أخته أليس حتى العودة من السفر، وأنه يؤكد التزامه بعهده، على أن يتم

---

[251] حسن ، المرجع السابق، ،، صـــ185.

[*] يوحنا المعمدان : ابن خالة اليسوع عليه السلام ، وقطع رأسه من قبل الإمبراطور هيرودوس انتياس ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق ، صـــ 552 .

[252] حسن ، المرجع السابق ، صـــ186.

[253] المرجع نفسه، 186.

الزواج بعد أربعين يوماً من عودته من الشرق، ولم يجد الملك فيليب بداً من الاستجابة لمطلبه من غير غضب[254] .

وفي الحقيقة كانت هناك دوافع عديدة وراء رغبة كل من ملكي فرنسا وإنجلترا في الإسراع بقيادة حملة صليبية تتجه إلى الشرق؛ فالملك الفرنسي فيليب أوغسطس أراد تدعيم نفوذ أسرة آل كابييه بين الأسرات الحاكمة في الغرب الأوروبي، وينبغي ألا نغفل أن فرنسا . بالذات . كانت ترى أن الإمارات الصليبية وليدة فكرة فرنسية خالصة، وأنه من الضروري مواجهة تدخل إنجلترا في هذا المجال باشتراك فرنسي فعال، يعكس الثقل السياسي لها، مع التنافس التقليدي بين الدولتين في ذلك العصر [255] .

واشترك الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد مع الملك الفرنسي في بعض الدوافع السابقة، كرغبته في جعل إنجلترا تسهم بفاعلية في المشروع الصليبي لإعلاء شأن بلاده الأوروبي، بالإضافة إلى الاستجابة للاستغاثات المتتالية التي خرجت من الشرق تستنجد بقوى الغرب، وخاصة ملكي إنجلترا وفرنسا.

ولا ينبغي أن نغفل أن سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية بمثل هذه الصورة، وهي الفرنسية التكوين والطابع كان إهانة بالغة للملك الفرنسي، وكان عليه أن يتدخل لإنقاذ الهيبة الفرنسية. مع ملاحظة أن تردد الملك الانجليز هنري الثاني في أمر المشاركة في حملة صليبية قابله . بعد ذلك . حماس من جانب ابنه وخليفته ريتشارد، ورغبة صادقة منه في المشاركة في حملة صليبية تتجه للشرق، وبالإضافة إلى أن الملك الفرنسي دلل على ذكائه السياسي بأن نجح في نقل الصراع وتوجيه حمية الملك الإنجليزي إلى الشرق[256] .

---

[254] **حبشي، المرجع السابق، ص صـ180-181.**

[255] **عبد الوهاب، المرجع السابق، صـ65.**

[256] **بطران، المرجع السابق، ص صـ180-181؛ عبدالوهاب, المرجع السابق, صـ65.**

أما في ألمانيا فقد كلف البابا جريجوري الثامن اسقف هنري ألبانو بالتبشير للحملة الصليبية في ألمانيا، ووافق على أن يدعو جوسياس رئيس أساقفة صور للحملة الصليبية في ألمانيا، وأن يعمل على إزالة الخلاف بين فريدريك بربروسا إمبراطور ألمانيا والبابوية[257] .

وقبل رحيل اسقف هنري ألبانو إلى ألمانيا أرسل خطاباً إلى الأمراء الألمان سنة 583هـ/1187م، دعاهم فيه لعقد مجمع فى مدينة المانى مينز عن القدس المفقودة في 584هـ/27 مارس 1188م، وأشار إلى الحالة المثيرة للشفقة في الأرض المقدسة، ومشاعر الحزن والأسى التي أصابت المسيحيين بسبب ذلك، وأكد أن الحزن والأسى يرجع لأهمية الأرض المقدسة كمكان لتجسيد المسيح وصلبه وتحريره أو إعتاقه، وأشار إلى الهزيمة النكراء التي حلت بالصليبيين في معركة حطين، وأن الهزيمة حلت بالصليبيين لعدم رضا الرب عنهم بسبب إثمهم، لذلك فإن الحملة الصليبية فرصة للإنقاذ والتحرير، وذكر أن أحدا لا يشك في أن الرب قادر على إنقاذ الأرض المقدسة[258] .

وتوجه اسقف هنري ألبانو وجوسياس ورئيس أساقفة صور بعد انتهاء اجتماع جيسور إلى ألمانيا لدعوة الإمبراطور فريدريك بربروسا والشعب الألماني للاشتراك في الحملة الصليبية، وكان فريدريك آنذاك يرأس مجلس الدايت Diet المعقود في مينز 584هـ/27 مارس 1188م، لمناقشة مسائل الحكومة الألمانية، فاستقبل فريدريك مندوبي البابا بحفاوة بالغة، وعندما طالباه بحمل الصليب والاشتراك في الحملة الصليبية لاسترداد بيت المقدس، أبدى استعداداً منقطع النظير[259] .

---

[257] موندوند، المرجع السابق، ج2، صــ107؛ الحريري، المرجع السابق، صــ166.

[258] زيدان، المرجع السابق، صــ225.

[259] موندوند، المرجع السابق، ج2، صــ107؛ الحريري، المرجع السابق، صــ166.

مما يذكر أن جودفري Godfrey رئيس القضاء في الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأسقف مدينة ورزبورج Wurzburg الألمانية هو الذي قام بالدعوة إلى الحملة الصليبية في مجلس الدايت في مدينة مينز، وليس هنري ألبانو[260] .

ولذا فلم يقم هنري ألبانو بعملية التبشير؛ لأنه لم يعرف اللغة الألمانية، واقتصر دوره على توزيع الصلبان، ورغم ذلك فإنه أعجب ببلاغة وفصاحة جودفري[261] .

ويذكر البعض أن الامبراطور فريدريك بربروسا تسلم الصليب من هنري ألبانو في مجلس الدايت في مدينة مينز 584هـ/27 مارس 1188م[262] ، وأعلن فريدريك بربروسا بعد أخذه الصليب أنه سوف ينتقم لما لحق بالصليبيين من إهانة، وأخذ الصليب معه ابنه فريدريك دوق سوابيا Frederick Duke of Swabia، والعديد من النبلاء من مختلف الرتب والأعمار، حتى بلغ عدد الذين حملوا الصليب في مدينة مينز حوالي ثلاثة عشر ألف رجل، وحدد فريدريك موعد رحيل الحملة فى عام585هـ/ مايو سنة 1187م[263].

ووافق الامبراطور فريدريك بربروسا على المشاركة في الحملة الصليبية لتقديم المساعدة إلى قريبه كونراد مونتفرات، الذي كان يتولى زعامة الصليبيين في مدينة صور، وما حدث له أثناء الحملة الصليبية الثانية في الشرق[264] ؛ ولأن الأجواء أصبحت مهيأة له للمشاركة بالحرب الصليبية، حيث تحسنت علاقاته مع النورمان بعد زواج ابنه هنري السادس من كونستانس ابنة وليم الثاني ملك صقلية والوريثة الشرعية لمملكة صقلية 582هـ/1186م[265] . وهدأت العلاقات بينه وبين البابوية[266] . وربما أراد الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا أن يقوي المستشفى

---

[260] **حمزة، المرجع السابق، صــ132.**

[261] **زيدان، المرجع السابق، صــ225.**

[262] **حمزة، المرجع السابق، صــ133؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ43.**

[263] **زيدان، المرجع السابق، صــ225.**

[264] **غانم، المرجع السابق، ص صــ19–20.**

[265] **زابوروف، المرجع السابق، صــ197؛ غانم، المرجع السابق، صــ19.**

[266] **الشيخ, عصر الحروب الصليبية.ص380**

الألمـاني ويدعمـه بعـد أن توقـف نشـاطه بسـبب سـقوط بيـت المقـدس، وربمـا أراد الامبراطور فريدريك بربروسا ترك جنود ألمانيين بالشرق حتى يكون لألمانيا نصيب في المنطقة المقدسة[267] .

لقـد كانـت هـذة الحملـة الصـليبية فرصـة مناسـبة لأجـل تحقيـق مشـاريع الامبراطورفريدريك العالمية[268] ، فوافق على المشاركة في الحملـة الصـليبية؛ لأن البابا كلمنت الثالث أقنعه بضرورة الإقلاع عن محاربة أعدائه في ألمانيا من أجل الانصراف إلى المشاركة في الحملـة الصليبية المزمع القيام بها، واستجابة لطلبات المساعدة الكثيرة القادمة من الشرق لاسترداد بيت المقدس من المسلمين[269] .

فقد طلب هرقل بطريرك[*] بيت المقدس، وأرنولد من توروجا مقدم الداوية، المساعدة من الامبرطور فريدريك بربروسا أثناء زيارتهم للغرب الأوروبي في شتاء سنة 1184-1185م[270] . وأرسل هرقل رسالة إلى الامبرطور فريدريك بربروسا سنة 581هـ/1185م طالبه فيها بتقديم المساعدة للأرض المقدسة[271] .

وأرسل كونراد دى مونتفرا ت زعيم الصليبية فى مدينة صور رسالة إلى الغرب الأوروبـي 584هــ/20 سـبتمبر 1188م، أشـار فيهـا إلـى التحـالف البيزنطـي الأيوبي[272] . وأرسلت سيبيلا زوجة ملك بيت المقدس السابق رسالة إلى الإمبراطور فريـدريك بربروسـا 585هـ/ صـيف 1189م أخبرتـه فيهـا عـن تحـالف الإمبراطـور البيزنطـي إسـحاق أنجيلـوس مـع السـلطان صـلاح الـدين، وأن هـذا التحـالف موجـه

---

[267] **حمزة، المرجع السابق، صـــ135.**

[268] **زابوروف، المرجع السابق، صـــ198.**

[269] **حمزة، المرجع السابق، صـــ135.**

[*] **بطريرك : لقب أطلق منذ القرن الخامس الميلادي على اساقفة كراسي المسيحية الأربعة الكبرى وهي : (روما – الإسكندرية – وانطاكية – والقدس) وامتد هذا اللقب في وقتٍ لاحق إلى كراسي هامة أخـرى ،انظر الى اليسويعي ، المرجع السابق ، صـ 111 .**

[270] **حمزة، المرجع السابق ، صـــ130.**

[271] **زيدان، المرجع السابق، صـــ226.**

[272] **حمزة، المرجع السابق، صـــ154.**

ضده[273] ، وأن الحزن والهوان قد لحق بالمقدسات المسيحية، وعم الحزن مدينة بيت المقدس، كما أن الإمبراطور البيزنطي لم يسمح بقطع القمح والسلع الضرورية إلى مدينة بيت المقدس، ولذلك فإن القمح الذي أرسلته أنت وآخرون قد أغلقت عليه الأبواب في مدينة القسطنطينية[274] .

ودعا اسقف هنري ألبانو وجوسياس رئيس الاساقفة فى صور إلى الحملة الصليبية في جميع كنائس ألمانيا بعد مجلس مدينة مينز؛ حيث طالب الناس الاشتراك مع الإمبراطور فريدريك بربروسا في الحملة الصليبية، وتحدثا عن المخاطر والإهانات التي تعرض لها إخوانهم المسيحيون في الشرق من جراء استرداد السلطان صلاح الدين للقدس[275] .

وقبل خروج الإمبراطور فريدريك بربروسا بالحملة الصليبية إلى الشرق، كلف ابنه الأكبر هنري السادس بتدبير أمور الإمبراطورية أثناء غيابه[276] . ولم يسمح لأحد الانضمام لجيشه والمشاركة بالحملة الصليبية إلا إذا كان معه ثلاث وزنات فضة؛ أي نحو ثلاثمائة درهم من الفضة، حتى لا يشارك المغامرون المتطفلون والرجال غير القادرين على القتال في الحملة الصليبية، لأنهم سيعطلون النظام، ولا حاجة إليهم[277] . ودفع فريدريك ثلاثة ماركات لكل فارس يشارك في الحملة الصليبية[278] .

وأرسل رسائل إلى حكام الدول التي سيمر بها جيشه، وطلب منهم السماح له بعبور أراضيهم، وتقديم المساعدات اللازمة لقواته، فأرسل رسالة إلى السلطان عزالدين قلج أرسلان ملكشاة (551-584هـ/1156-1188م) سلطان السلاجقة في

---

[273] **المرجع نفسه ، صـ156.**

[274] **زيدان، المرجع السابق، صـ227.**

[275] **ضبيع، المرجع السابق، صـ145.**

[276] **المورخ المجهول, المرجع السابق، صـ57.**

[277] **موندوند، المرجع السابق، ج2، صـ107؛ إتش ماير، المرجع السابق، صـ189؛ غانم، المرجع السابق، صـ22.**

[278] **زيدان، المرجع السابق، صـ227.**

قونية، وحمل الرسالة جودفري من ويسنباخ Godfrey of Wiesnbach، وأرسل فريدريك أيضاً رسالة إلى بيلا الثالث ملك هنغاريا، حملها الكاردينال رئيس أساقفة مدينة مينز. وأرسل الامبرطورفريدريك رسالة إلى ستيفن نيماني Stephen Nemanye حاكم الصرب (1167-1196م)، كما أرسل رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي إسحاق الثاني أنجيلوس بعد انتهاء مجلس الدايت الذي كان معقوداً في مدينة مينز[279] ، فرحب السلطان قلج أرسلان بالسفارة ترحيباً حاراً، ويبدو أن أخبار حملة الإمبراطور فريدريك سببت له الرعب، فما كان منه إلا أن أرسل سفارة ضخمة قدر عددها بحوالي ألف رجل وخمسمائة فرس، ووعدت هذه السفارة الامبراطورفريدريك أنه لن يكون هناك عوائق أثناء عبوره بحملته لآسيا الصغرى، وأن السلطان قلج أرسلان سوف يقدم له المؤن اللازمة لجيشه[280] .

ورد بيلا الثالث ملك هنغاريا على رسائل الامبراطور فريدريك بربروسا بالمثل 584هـ/1188م ووعداه بتقديم المساعدة المطلوبة[281] . كما أرسل اسحاق إنجليوس إمبراطور بيزنطة سفارة إلى ألمانيا، والتقى أعضاء السفارة مع الإمبراطور فريدريك بربروسا في مدينة نورسبورج للتفاهم حول مرور القوات الألمانية في الأراضي البيزنطية[282] .

وصلت سفارة ألمانية إلى مدينة القسطنطينية في 585هـ/ منتصف مايو 1189م للغرض نفسه، إلا أنه تم أسر هذه السفارة في مدينة القسطنطينية، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على عدم التفاهم بين الطرفين، أو أنه تم أسر السفارة تحت

---

(279) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ43؛ باركر، المرجع السابق، صـ88؛ حمزة، المرجع السابق، صـ143.

(280) ضبيع، المرجع السابق، صـ146.

(281) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص،43؛ حمزة، المرجع السابق، صـ144.

(282) رنسيمان, المرجع نفسة ج3، ص صـ43-44.

إصرار ممثلي السلطان صلاح الدين(*)[283] ، أو لأن إسحاق أنجيلوس كان يشك بفريدريك بربروسا بسبب تحالفه مع النورمان أعداء بيزنطة[284] . وربما هذا ما جعله يتحالف مع صلاح الدين[285] .

وأرسل الإمبراطور فريدريك بربروسا رسالة إلى السلطان صلاح الدين، حملها هنري دي ديتز Henricum de Dietz من ألمانيا، وكانت هذه الرسالة بمثابة إنذار؛ أن الامبراطورفريدريك بربروسا طالب السلطان صلاح الدين برد بيت المقدس وصليب الصلبوت، الذي وقع في يديه عشية استرداده لبيت المقدس، وأمهله مدة عام اعتباراً من نوفمبر سنة 1188م لتحقيق ما طلبه منه، وإلا فإنه سيحاربه في صوعن(**) .

ورد السلطان صلاح الدين على الإمبراطور فريدريك بربروسا برسالة مماثلة حملها هنري دي ديتز رسول الامبراطور فريدريك، وبينا السلطان صلاح الدين لفريدريك بأنه مستعد للحرب، إذا كان يريد السلام فهو موافق، وأنه سيعيد الصليب، ويطلق سراح جميع الأسرى المسيحيين، ووافق السلطان صلاح الدين على أن يكون هناك قسيس واحد للمسيحيين في بيت المقدس، وأنه سيرد الأديرة المسيحية، ويسمح للحجاج أن يزوروا الأماكن المقدسة بكل أمان[286] .

(*) غير أن هذه الاتفاقية لم تخمد شكوى البيزنطيين من الألمان، بسبب تفاوض الإمبراطور فريدريك مع الصربيين والسلاجقة أعداء الإمبراطورية البيزنطية؛ ومن ثم فإن مرور الألمان عبر الأراضي البيزنطية لم يكن مرغوباً فيه ،انظر الى ضبيع ، المرجع السابق، صـ159.

[283] زيدان، المرجع السابق، صـ228.

[284] حمزة، المرجع السابق، صـ144؛ إتش ماير، المرجع السابق$، صـ190.

[285] إتش ماير، المرجع نفسه، صـ190.

(**) ذكر حسن حبشي أن أرض مصر وردت في المزامير 13/78 باسم صوعن: "قدام آبائهم صنع أعجوبة في أرض مص بلاد صوعن". وذكر راثيمان أن صوعن هي التسمية التي أطلقها الكتاب المقدس على مدينة تاينس بدلتا مصر القديمة انظر الى المورخ لمجهول، المصدر السابق، صـ277، (في الهامش حاشية رقم 59، رنسيمان المرجع السابق، ج3، صـ43، (في الهامش رقم 32).

[286] حمزة، المرجع السابق، ص صـ136-137، المورخ المجهول، المصدر السابق، ج1، صـ58-63.

. كما أن الامبراطور فريدريك منع النساء من المشاركة في الحملة لمنع إصابة الجيش بالاسترخاء[287] . وقبل أن يغادر فريدريك ألمانيا عمل على أن يترك الأمور هادئة فيها، فعرض على هنري الأسد دوق سكسونيا، الذي يعد من أكبر منافسيه في ألمانيا، إما أن يتنازل عن جزء من الأراضي التي يمتلكها، وإما أن يذهب معه في الحملة الصليبية على نفقته الخاصة، وإما أن يقبل النفي لمدة ثلاث سنوات، فقبل هنري الخيار الثالث، وذهب الى صهره، هنري الثاني ملك إنجلترا[288] .

والواقع أن فريدريك البالغ الرابعة والستين من عمره، أقدم على الاشتراك في الحملة الصليبية أملاً منه في تحقيق مجد له في بلاد الشام، نظراً لأنه لم يستطع أن يحققه في أوروبا، ورغبة في الاستحواذ على المدح من المعاصرين، لأجل حمل الصليب من أجل الصليبيين، ولإنقاذ الأراضي المقدسة، ومحاولة لإعادة الوفاق بينه وبين البابوية، وتوثيق علاقته معها[289] .

ويشير بعض المؤرخين إلى أن الامبراطور فريدريك أقدم على الاشتراك في الحملة الصليبية من أجل تقوية وتوسيع أراضي الإمبراطورية الألمانية في الشرق، لاسيما أن البابوية كانت ماتزال تقف عقبة كبيرة أمام هذه التوسعات في الغرب[290] . في حين يشير البعض الآخر إلى أن السبب في ذلك هو قدوم كونراد دي مونتفرات إلى مدينة صور، وخاصة أن بيت مونتفرات كان مسانداً له دائماً، يضاف إلى ذلك أن الإمبراطور فريدريك أراد أن يوطد مكانته في ألمانيا[291] . ومهما تعددت أسباب اشتراك فريدريك في الحملة الصليبية، فالواقع أنه تطلع إلى أن يجعل من نفسه سيداً لأوروبا قاطبة[292] .

---

(287) **ضبيع، المرجع السابق، صــ151.**

(288) **المرجع نفسه، صــ151.**

(289) **زيدان، المرجع السابق، صــ230.**

(290) **زابوروف، المرجع السابق، ص صــ197-198.**

(291) **العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، صــ866.**

(292) **ضبيع، المرجع السابق، صــ152.**

المبحث الثاني : سير الحملة :

1- سير الجيش الألماني :

أ - الحملة الصليبية الألمانية في البلقان :

لم يلبث الإمبراطور فريدريك أن عقد مجلس الدايت في مدينة رجنسبورج في 23 أبريل 1189م؛ حيث سلم ابنه هنري السادس Henry VI الشعار الملكي، وعهد إليه بحكم الإمبراطورية في غيابه، وحلف جميع الأمراء الألمان على تطبيق السلام في ألمانيا خلال وجود الحملة الصليبية في بلاد الشام[293] ، وفي 11 مايو سنة 1189م بدأت الجيوش الألمانية تتجمع عند مدينة راتسبون[*] Ratisbon ثم غادرها عبر الطريق البري، اعتقاداً منه أن المفاوضات مع حكام الدول الذين ستمر الحملة خلال أراضيهم ضمنت له السير في سلام، كما أن الطريق البري يمكنه استيعاب الجيش الألماني الضخم، فضلاً عن عدم توفر السفن اللازمة لنقل هذا الجيش[294] ، واصطحب الامبراطور فريدريك معه ابنه فريدريك دوق سوابيا وأساقفة من المدن الالمانية ليج وفرنريورج وباسيو ورجنسبورج، ومن العلمانيين بيرتولد دوق إلماشيا وميران دوق كرواتيا، ومرجراف استوريا، وكونتان من هولندا، وسوابيا وبارفاريا وسكسونيا.

وحمل الامبراطور فريدريك معه الكثير من المؤن والأموال[295] . وقد اختلفت الروايات في تقدير عدد الجيش الألماني، منهم من قدره بستمائة ألف فقط ، ومنهم من قال أنه ثلثمائة ألف مقاتل[296] ، ومنهم من قال مائتي ألف[297] ، ومنهم من

---

(293) المرجع نفسه، صـــ155.

(*) مدينة راتسبون أحد المركز الرئيسية لألمانيا في العصور الوسطى، وكانت من أهم مراكز الحكم الإمبراطوري، وهي تقع بالقرب من الحدود الشرقية لألمانيا قريباً من بلاد المجر. انظر الى غانم، المرجع السابق، صـــ24.

(294) غانم، المرجع نفسة، صـــ24؛ حمزة، المرجع السابق، صـــ143.

(295) ضبيع، المرجع السابق، صـــ156.

(296) الأصفهاني،(ابى عبداللة محمد بن حامد الشهي بعماد الدين الكاتب) الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقبق محمد محمود صبح , تقد يم حامد زيان, الهيئة المصرية العامة, القاهرة, 1965 ,صـــ174.

(297) ابن شداد، المصدر السابق، صـــ115.

قال حوالي مائة ألف مقاتل[298] . وكان هذا الجيش في قمة تنظيمه، وسيطر الإمبراطور عليه سيطرة تامة، ووصلت القوات الألمانية إلى المدن برسبورج باستوريا دون مضايقات، وقد حدثت بعض التجاوزات من بعض الجند الألمان[299] .

فقام الامبراطور فريدريك بوضع بعض التنظيمات لضبط الجيش، وقد حلف الجميع على اتباع هذه التنظيمات، وعين الامبراطور فريدريك بعض القضاة لإجبار الجميع على الالتزام بها، كما أجبر حوالي خمسمائة من النساء، وبعض اللصوص على العودة إلى ألمانيا، منعاً من إحداث الفوضى في الجيش[300] .

وخلال توقف الألمان في مدينة برسبورج Bressburg، وصلت سفارة من قبل بيلا الثالث ملك هنغاريا (المجر) إلى الامبراطور فريدريك للترحيب به، ثم قام بيلا بعد ذلك في صحبة زوجته مارجريت بمقابلة الامبراطورفريدريك مقابلة حافلة بالقرب من مدينة جران Gran في 4 يونيو 1189م، وخلال هذه المقابلة أهدت زوجة بيلا الامبراطور فريدريك خيمة فاخرة، كما أن الملك بيلا استضاف الامبراطور فريدريك لمدة يومين، وزوده بالمؤن والبضائع[301] . وأصدر الملك بيلا أوامره لقواد وأساقفة المدن التي سيمر خلالها الإمبراطور فريدريك أن يستقبلوه بالحفاوة، كما أن الأديرة قدمت هي الأخرى المساعدات الإمبراطور فريدريك، وقدمها له أيضاً الفلاحون في هنغاريا[302]. وهكذا فإن الأسابيع الخمسة التي قضاها فريدريك في عبوره هنغاريا كانت حافلة بالمودة، مما أدى إلى انبعاث السرور في قلوب قواته، التي تخيلت أن المرور في جميع الأراضي سوف يكون بهذه الحفاوة؛ ولكن الشيء الوحيد الذي ضايق الألمان قيام الهنغاريين برفع الأسعار[303] .

---

(298) **غانم، المرجع السابق، صـ24.**

(299) **ضبيع، المرجع السابق، صـ157.**

(300) **المرجع نفسه ، صـ157.**

(301) **حمزة ، المرجع السابق، صـ146.**

(302) **غانم ، المرجع السابق، ص صـ25-26.**

(303) **Groussetr, Histoire de Croisades et du Royaum frane jerusalem,tom,3,paris, 1943, p.12.**

وفي 585هـ/ 23 يونيو 1189م عبر الإمبراطور فريدريك نهر الدانوب عند بلغراد، ثم تقدمت القوات الألمانية حتى وصلت إلى برانيتس على الحدود البيزنطية في 2 يوليو من نفس العام، ومن هنا نفذت إلى داخل الأراضي البيزنطية، وهنا نلاحظ أن المعاملة الحسنة التي قوبل بها الإمبراطور فريدريك في هنغاريا قد تبدلت إلى النقيض في بلغاريا؛ حيث وقف منه الإمبراطور البيزنطي موقفاً عدائياً[304] . كما أن قطاع الطرق ورماة النبال هاجموا الجيش الألماني أثناء المسيرة، وتم القبض على عدد منهم، فاعترفوا أنهم أجبروا على ذلك بأمر من حاكم مدينة برانيتس التابعة للإمبراطور البيزنطي[305] .

وصلت القوات الألمانية إلى المدينة البلغارية نيش في 27 يوليو سنة 1189م فاستقبلت استقبالاً حافلاً من قبل ستيفن فايانيا أمير الصرب، ومعه أخوه سراسمير، فأحضر هؤلاء القواد لفريدريك الخمور والقمح والغنم، وعرضوا على الإمبراطور فريدريك التحالف معه ضد الإمبراطورية البيزنطية؛ ولكن فريدريك رفض التحالف معهم ضد بيزنطة، وأخبرهم أنه تحمل تعب الحج ضد المسلمين في الأراضي المقدسة وحباً في المسيح، كما أن إيطان آسن وأخيه بطرس فلاتش قائدي ثورة البلغار ضد بيزنطة أرسلا إلى الإمبراطور فريدريك في مدينة نيش يعرضان عليه التحالف أيضاً ضد الإمبراطور البيزنطي إسحق، ولكن الامبراطورفريدريك رفض عرضهما[306].

ولما وصلت القوات الألمانية إلى مدينة صوفيا في 13 أغسطس سنة 1189م، فوجدتها خالية تماماً من المؤن والنقود التي كان الامبراطور إسحق قد وعد بمبادلتها، فاعتبر فريدريك أن هذا العمل خيانة من قبل إسحق[307] . وتقدم حتى

---

(304) ضبيع، المرجع السابق، صـ158؛رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ45.

(305) حمزة، المرجع السابق، صـ148.

(306)حمزة, المرجع السابق ، صـ147؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ45.

(307) Michaud, op. cit, Tom. 2, p. 376.

وصل إلى مدينة فيلبوبولس في 24 أغسطس ، فوجدها خالية تماماً من المؤن والسكان[308] .

وفي اليوم التالي وصلت لفريدريك سفارة من قبل الإمبراطور إسحق يطلب منه إرسال بعض الرهائن الألمان إلى القسطنطينية، والتنازل له . كأجر للخدمات التي سوف يقدمها له عند عبوره لآسيا الصغرى . عن نصف فتوحاته، التي سوف يحققها في بلاد الشام، واعتذر إسحق أيضاً لفريدريك عن سجنه للسفراء الألمان، ولكن فريدريك لم يعر السفارة اهتماماً[309] ؛ فأذن لقواته بمهاجمة مدينة فيلوبولس Philippolis فقاموا بتخريبها، واحتلوها[*] في 26 أغسطس 1189م، واستولوا على المناطق المجاورة لها، وقاموا بنهبها، كما احتل فريدريك دوق سوابيا مدينة برهويا وقام أيضاً بنهبها، في حين أن المارشال أسقف باسيو استولى على مدينة يراندوفيوس، وهكذا تمكن فريدريك من احتلال ثلاث مدن بيزنطية وأكثر من عشر قلاع[310] .

وأرسل الامبراطور فريدريك رسالة إلى ابنه هنري السادس في 16 نوفمبر 1189م من مدينة فيلوبولس يطلب منه إعداد أسطول في الموانئ الإيطالية والحصول من البابا على وعد بالدعوة لحملة صليبية ضد بيزنطة، كتلك التي دعا إليها ضد السلطان صلاح الدين[311] ؛ ولكن عاد إسحق وأطلق سراح هؤلاء السفراء

---

(308) حمزة، المرجع السابق، صـ148.

(309) Grousset, op. cit, Tom. 3, p. 13.

رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ47.

(*) جدير بالذكر الذين ساعدوا فريدريك هم العنصر الأرمني المؤسسين الأوائل لهذه المدينة، الناقمين على الإمبراطورية البيزنطية وسياستها العدائية للعنصر الأرمني؛ نتيجة للخلاف المذهبي، وقد ساعدوها عن طريق إمداده بكل من احتاجه جيشه الضخم من مؤن وعتاد، كما دلوهم على مختلف الطرق والمسالك إلى الوصول للمدينة، كذلك نقل أولئك الأرمن أخبار وأسرار تحركات الفرق البيزنطية انظر الى غانم، المرجع السابق، ص صـ31-32.

(310) ضبيع، المرجع السابق، صـ162؛ حمزة، المرجع السابق، صـ149؛ غانم، المرجع السابق، صـ23.

(311) حمزة، المرجع السابق، صـ144؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ46.

الألمان؛ ولعل السبب الذي دفع الإمبراطور البيزنطي إلى إطلاق سراح السفراء الألمان أنه خشي من القيام بحملة صليبية على القسطنطينية[312] .

غادر الإمبراطور فريدريك مدينة فيلوبولس، بعد أن ترك بها حامية من رجاله، فاحتلت قواته مدينة أدريانوبل 22 نوفمبر 1189م، واحتل فريدريك دوق سوابيا، مدينة ديموتيقا، وارتكب فيها مذبحة مروعة[313] ، وبعد إجراء عدة مشاورات بين الجانب الألماني والجانب البيزنطي، تم الاتفاق بين الجانبين في 14 فبراير سنة 1190م، على شروط، منها:

1- عدم إلزام إسحق بدفع تعويضات لفريدريك؛ وذلك لأن الأخير خرب مقدونيا وتراقيا[314].
2- وإلزام إسحق بإعداد السفن الكافية لعبور الجيش الألماني من غاليبولي[315].
3- كذلك تعهد إسحق ببقاء السفن البيزنطية بين أبيدوس والقسطنطينية راسية على الساحل أثناء عبور الجيش الألماني[316].
4- وأن يسلم إسحق مدينتين من مدنه قرب الساحل في الأراضي البيزنطية وآسيا الصغرى، ليستريح فيها الجيش الألماني،
5- وأن يقدم إسحق إمداد الجيش فريدريك بكل ما يحتاجه من مؤن وعتاد وعلف للجياد طالما بقي الجيش الألماني داخل الحدود البيزنطية،
6- وأن يصدر إسحق عفواً شاملاً عن جميع البيزنطيين والأرمن واللاتين الذين قدموا خدمات لفريدريك يقدم إسحق لفريدريك ثماني عشرة رهينة من البيت الملكي، وتم التصديق على هذه المعاهدة في كنيسة أياصوفيا من قبل خمسمائة

---

[312]المرجع نفسه، ص صـــ148-149.

[313] غانم، المرجع السابق، ص صـــ32-33؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـــ46.

[314] ضبيع، المرجع السابق، صـــ166؛ حمزة، المرجع السابق، صـــ158.

[315] غانم، المرجع السابق، صـــ34.

[316] ضبيع، المرجع السابق، صـــ166.

من كبار رجال بيزنطة ووقع عليها أيضاً بطريرك القسطنطينية، كما حلف عليها خمسمائة من الفرسان الألمان[317] .

ب – موقف الحملة الصليبية الألمانية في آسيا الصغرى ووصولها إلى قيلقية:

عند حلول الربيع 1190م تقدمت القوات الألمانية من أدريانوبل إلى غاليبولي للعبور لآسيا الصغرى، ولما كان إسحق يريد عبورها بسرعة، فقد أعد لها ألفاً وخمسمائة سفينة، وستا وعشرين سفينة تقاد بالمجاديف، وبسبب خوف الامبراطورفريدريك من التعرض لهجوم القوات البيزنطية عليه عند عبوره، فقد قسم قواته إلى ثلاث فرق، عبرت الأولى منها في الفترة من 22 إلى 24 مارس سنة 1190م، وكان على رأسها فريدريك دوق سوابيا، وعبرت الثانية في الفترة من 24 إلى 27 من نفس الشهر، ثم عبرت أخيراً فرقة الامبراطور فريدريك في 28 من نفس الشهر[318] .

والجدير بالذكر أنه على إثر عبور الإمبراطور فريدريك مضيق الدردنيل لآسيا الصغرى، أرسل إسحق رسالة إلى السلطان صلاح الدين، يبرر له فيها سبب السماح لفريدريك بالعبور، ويبدو أن ذلك كان بسبب عدم تسرب الشك إلى صلاح الدين بأن إسحق لم يف بوعوده السابقة[319] . وقد أكد المؤرخ ابن شداد تلك الرسالة:

"وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح الدين من جهة ملك الألمان، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سيهلكهم في كل مكان"[320] .

---

[317] حمزة، المرجع السابق، ص صـ157–158؛ غانم، المرجع السابق، صـ34.

[318] حمزة، المرجع السابق، ص صـ158–159.

[319] ابن شداد، المصدر السابق، صـ132؛ غانم، المرجع السابق، ص صـ35–36.

[320] المصدر نفسه ، ص صـ132–133.

ويذكر أن الإمبراطور فريدريك اتخذ الطريق الذي يقع بين الطريق الشرقي الذي سارت فيه الحملة الأولى سنة 1097م، والطريق الغربي الذي سار فيه فريدريك مع عمه كنراد الثالث في الحملة الثانية سنة 1148م[321] .

وفي 28 مارس سنة 1190م تقدمت القوات الألمانية داخل الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى فاجتازت مدن سبيجات وبومنيتوس بالقرب من مانياس، وأكي شهر، ساردس حتى وصلت إلى فيلادلفيت في ليديا، ولكن حدثت بعض المناوشات في فيلادلفيا بين الألمان وسكان المدينة، بسبب عدم وجود المؤن، وتحدث سكان المدينة إلى الألمان بلغة متشامخة، فأقدم الألمان على تخريب المدينة، إلا أن الموقف أمكن السيطرة عليه من قبل حاكم المدينة الذي تفاوض مع فريدريك، وأوضح له أن فيلادلفيت من أقدم المدن المسيحية التي قاومت وما تزال تقاوم، فأمر فريدريك بالتوقف عن تخريبها[322] .

وهنا نلاحظ أن المؤرخين اللاتين والمسلمين قد اختلفوا في موقف السلطان عزالدين قلج أرسلان ملكشاة ، عندما دخلت الحملة الألمانية أراضيه؛ فقد أشار المؤرخون اللاتين إلى أنه حين شعر السلطان قلج أرسلان أن السلام قد عقد بين الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس والأمبراطور الألماني فريدريك، غضب، وصمم على إعاقة مرور فريدريك داخل أراضيه، فجمع جيشه وقام بتحصين الأراضي والطرق التي سوف يمر منها لمنعه من المرور[323] .

في حين أن المؤرخين المسلمين أشاروا إلى أن السلطان قلج أرسلان ظهر بمظهر المعادي للإمبراطور فريدريك، في الوقت الذي كان متضامناً معه؛ وفي ذلك يقول ابن شداد: "أظهر (قلج أرسلان) شقاقه وهو في الباطن قد أضمر وفاقه"[324] .

---

[321] **باركر، المرجع السابق، صـــ88.**

[322] **حمزة، المرجع السابق، ص صـــ159–160؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـــ47.**

[323] **غانم، المرجع السابق، ص صـــ44–45؛ حمزة، المرجع السابق، ص صـــ160–161.**

[324] **ابن شداد، المصدر السابق، ص صـــ123–124.**

وبهذا يتضح أن السلطان قلج أرسلان لم يكن يتحكم في تنفيذ وعوده إلى الإمبراطور، يؤكد ذلك المؤرخ جروسيه؛ إذ يقول: "ولكن قلج أرسلان الذي كان تحت وصاية أبنائه لم يتمكن من منع أكبرهم وهو قطب الدين ملكشاه الثاني من التقدم بجيشه للقاء الألمان، كما أن سلطته لم تكن قوية بالدرجة التي تجعله قادراً على منع القبائل التركمانية من أن تعترض سير القوات الألمانية، الأمر الذي نستبعد معه خيانة قلج أرسلان للألمان"(325) .

لقد تقدم الإمبراطور الألماني داخل أراضي السلطان قلج أرسلان، حسب الاتفاقية المبرمة معه، في 27 أبريل 1190م، فبدأ اشتباك بن القوات الألمانية والتركمانية، وانتهى بانتصار الألمان، ثم بعد ذلك مرت القوات الألمانية بالقرب من مدينة سبوليس، وظل الألمان في الطريق إلى مدينة قونية في 8 مايو 1190م، فنشبت معركة بينهم وبين الأتراك، أصيب فيها فريدريك دوق سوابيا، وجرح عدد كبير من القوات الألمانية، وقتل بعضهم، وفقدوا الكثير من خيولهم، وأموالهم وملابسهم(326) ، عسكرت القوات الألمانية أمام مدينة فيلوميليوم في 13 مايو سنة 1190م، وفي اليوم التالي وقعت معركة بين الألمان والجيش التركي الرئيسي قتل فيها من الأتراك حوالي ستة آلاف، وفي مساء ذلك اليوم حلت المجاعة بالجيش الألماني، فقد نفذ منهم الدقيق، وعدموا الماء والمرعى، ويبدو أن الأتراك هاجموهم آنذاك؛ إلا أن الألمان تمكنوا من صدهم، مما دفعهم إلى ذبح خيولهم لسد غائلة جوعهم(327) .

ورغم كل هذه الصعوبات؛ إلا أن الإمبراطور فريدريك استطاع بفضل النظام الصارم الذي فرضه على قواته الوصول بالقرب من مدينة قونية بدون خسائر كبيرة في 17-18 مايو 1190م، وهنا أدرك السلطان قلج أرسلان، أن فريدريك سوف يهاجم قونية بسبب ما تعرض له في بلاده من محن، ومن ثم فقد عرض عليه

---

(325) **Grousset, op. cit, Tom. 3, p. 15.**

(326) **ابن شداد، المصدر السابق، صـ123؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ47.**

(327) **حمزة، المرجع السابق ، صـ161؛ ضبيع ، المرجع السابق ، صـ171.**

السماح له بالمرور بدون مشاكل بعد ذلك، وتزويده بالمؤن، ودفع ثلاثمائة قطعة من الذهب؛ إلا أن فريدريك رفض، وقال:" ليس من عادتي أن أشتري طريقاً بالذهب، ولكن أفتحها بالحديد ونجدة نبينا عيسى المسيح، الذي نحن جنده"[328] .

وكان أن عزم الامبراطور فريدريك على مهاجمة قونية، فقسم جيشه إلى قسمين: أحدهما قاده ابنه فريدريك دوق سوابيا وهو الذي تمكن من احتلالها، وأمعن القتل في السكان، ثم تمكن فريدريك بربروسا من هزيمة قطب الدين الذي هرب إلى داخل المدينة، فلحق به الامبراطورفريدريك وانضم إلى قوات ابنه، فقامت القوات الألمانية بنهب المدينة وأحرقت أسوارها، فحصلوا منها على مؤن وفيرة[329] .

وفي محاولة من السلطان قلج أرسلان لتجنيب المدينة أعمال النهب والسلب والقتل، فقد عرض الصلح على الإمبراطور فريدريك، فوافق الأخير على ذلك، لأنه لم يكن راغباً في البقاء في قونية، ولهذا خرج قلج أرسلان لمقابلة فريدريك[330] .

وعقدت بينهما معاهدة نصت على أن يكون قلج أرسلان تابعاً لفريدريك، أن تنتهي المقاومة التركية للألمان، كما تفتح الأسواق التركية أمام الجيش الألماني، وتم الاتفاق على قيام تعاون بينهما ضد صلاح الدين، وأن يسلم قلج أرسلان لفريدريك جماعة من الأمراء الأتراك كرهائن، ولحماية الجيش الألماني من لصوص التركمان، حتى يصلوا إلى بلاد الأرمن، وقد انتهز قطب الدين هذه الفرصة للتخلص من الأمراء الأتراك المناوئين له في الحكم "فنفذ معهم خمسة وعشرين أميراً من المقدمين"، وتمت الموافقة على هذه الشروط من كلا الجانبين، وآلت مدينة قونية للسلطان مرة ثانية[331] .

---

[328] **حمزة , المرجع نفسه ، صــ163 ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، ج3، صــ47.**

[329] **حمزة، المرجع السابق ، صــ164 ؛ غانم، المرجع السابق ، صــ146؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1، صــ104 ؛ ابن شداد، المصدر السابق ، ص صــ124-125.**

[330] **غانم ، المرجع السابق ، صــ47.**

[331] **ابن شداد، المصدر السابق، صــ125؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صــ318-319؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص صــ213-214؛ غانم، المرجع السابق، ص صــ47-48.**

لم يمكث فريدريك في قونية سوى خمسة أيام، ثم تركها وأقام معسكره خارجها فـي 23 مـايو 1190م، فأرسـل لـه قلـج أرسـلان المـؤن، وبعـد ذلـك تحـرك الجـيش الألماني في 26 مايو 1190م، في اتجاه أرمينيا، واتخذ الطريق إلى مدينة لاراندا في اتجاه الحدود الأرمينيـة التركيـة، فعبر الجيش الألمـاني جبال طوروس، ووصـل إلـى مدينة لاراندا على حدود قيلقية في 30 مايو سنة 1190م[332] .

والجـدير بالـذكر، أن وصـول الألمـان إلـى الأراضـي الأرمينيـة، كـان لـه تـأثير كبيـر علـى المسلمين وعلـى السلطان صـلاح الـدين، الـذي تـأثر لقـدوم الامبراطـور فريـدريك، فـأعلن السـلطان صـلاح الـدين الجهـاد فـي أنحـاء العـالم الإسـلامي، وأنـذر أمراء الموصل والجزيرة وكردستان بخطورة الموقف[333] .

والجدير بالذكر أن أخبار رحيل الألمان من مدينـة قونية ووصـولهم إلـى حدود قيلقية، وصلت السلطان صـلاح الدين، عن طريق السلطان قلج أرسلان، وابنـه قطب الـدين، للـذين اعتـذرا عـن عـدم قـدرتهما علـى منـع الامبراطورفريـدريك مـن عبـور بلادهما وأنـهما أضطرا لذلك[334] .

---

[332] **حمزة، المرجع السابق، صــ165؛ غانم، المرجع السابق، صــ50.**

[333] **ابن شداد، المصدر السابق، ص صــ126–127؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص صــــ214–215؛ غانم، المرجع السابق، صــ52.**

[334] **ابن واصل، المصدر السابق، صــ319.**

1- وفاة الإمبراطور فريدريك، وأثره على سير الحملة :

ففي مدينة لاراندا قدم الأمراء الأرمن إلى الامبراطور فريدريك ورحبوا به، وشكروه على قدومه لقتال المسلمين، وقدموا له فروض الولاء والطاعة، كما قدمت إليه سفارة من قبل ليو الثاني الأرمني (1158-1219م) Leon II أمير أرمينيا، لتقدم له المساعدات التي يحتاجها، ويرحبوا به كصديق لهم، ثم تقدمت القوات الألمانية، من لاراندا عبر جبال طوروس حتى وصلوا إلى طرسوس(*)(335) ، فأقاموا هناك على شواطئ نهر السالف(*) Salf (نهر سيلوس) في قيلقية ليعبروه(336) . وأنه يمكن العبور من هناك دون صعوبة؛ لأن النهر هادئ ولا يشكل خطراً، وعندئذ، اعتلى جواده، فقال له ابنه فريدريك دوق سوابيا: "سيد إننا سنعبر أمامك وسنريكم طريق العبور، الذي يمكنكم المرور منه سالمين". ومروا أمامه، فتبعهم بجواده، وتبعه عدد آخر من الفرسان، وحين صاروا في منتصف النهر، وبسبب المجهود الشاق الذي بذله فريدريك، برودة النهر، فقد قوته وقدرته على مواصلة السير في النهر، فسقط في وسط الماء، وكان باقي الفرسان يعانون من مشقة الطريق؛ لذلك لم يكن هناك من يقوى على إغاثته، حتى مات في 10 يونيه 1190م(337) .

واختلفت آراء المؤرخين في تعليل أسباب وفاة الامبراطور فريدريك بربروسا المفاجئة؛ فيشير البعض إلى أنه انزلق بفرسه في أعماق نهر السالف(338) . ويروي البعض الآخر ان فريدريك بربروسا أراد إنعاش نفسه بالاستحمام في مياه نهر

(*) **طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكيو وحلب وبلاد الروم بينها وبين أذنة تسعة فراسخ، وكان اسمها من قبل انطرطوس انظر الى حمزة، المرجع السابق، (هامش 185)، صـ194.**

(335) **غانم، المرجع السابق، ص صـ50-51؛ حمزة، المرجع السابق، صـ166.**

(*) **نهر السالف Salef: بآسيا الصغرى، بالقرب من ديات ونهر سالف بتركية هو كيوك سو Guiueik Sou انظر الى حمزة، المرجع السابق، (هامش 186)، صـ195.**

(336)**المرجع نفسة، صـ166.**

(337) **غانم، المرجع السابق، صـ58؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ46؛ حمزة، المرجع السابق، صـ166.**

(338) **غانم، المرجع السابق، صـ58.**

السالف، غير أن برودة ماء النهر أصابت فريدريك بمرض توفي على أثره[339] . ويشير مؤرخ آخر إلى أن فريدريك بربروسا أثناء الاستحمام بنهر السالف جرفه تيار النهر فمات على الفور، وأخرج جثة هامدة من ذلك النهر[340] . وتروي بعض المصادر الأخرى أن التيار عندما جرف فريدريك جعله يصطدم بشجرة ضخمة شجت رأسه، ففقد وعيه، وأخرج من النهر جثة هامدة[341] . ولم يلبث أن توفي بعد ذلك بأيام قليلة[342] .

وهنا نلاحظ أن ليو امير ارمينيا عمل على التودد إلى السلطان صلاح الدين، فطلب من بطريرك الأرمن أن يكتب إلى السلطان صلاح الدين خطاباً يشرح له فيه أسباب وفاة الامبراطور فريدريك بقوله: إن فريدريك بربروسا "نزل على شط بعض الأنهار، فأكل خبزاً ونام ساعة وانتبه، فتاقت نفسه إلى الاستحمام في الماء البارد، فمكث أياما قلائل ومات"[343] .

ومهما كانت الاسباب التى ادت الى وفاة الامبراطورفريدريك فانها كانت شديدة الوطأة على قواته؛ لأنه كان الرمز، بل والراعي الذي يقود جيشه، فأدى ذلك إلى إضعاف روحهم المعنوية وسيطرة اليأس عليهم، وفتور حماسهم، وانعدام تماسكهم، فمات منهم الكثير من الحزن،و تحولت الحملة الألمانية إلى شبه موكب جنائزي، وترتب على وفاة الإمبراطور فريدريك عودة العديد من الأمراء الألمان لأوطانهم من مواني قيلقية[344] .

ويشير بعض المؤرخين إلى أن وفاة فريدريك لم تكن نكبة على قواته فحسب؛ بل خسارة للمسيحية كلها، لأن نبأ قدوم الامبراطور فريدريك على رأس جيش ضخم

---

(339) **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ48.**

(340) **حمزة، المرجع السابق، صـ166.**

(341) **غانم، المرجع السابق، صـ59.**

(342) **حمزة، المرجع السابق، صـ166.**

(343) **ابن شداد، المصدر السابق، صـ125.**

(344) **ضبيع ، المرجع السابق، صـ180.**

رفع الروح المعنوية للفرسان الصليبيين الذين كانوا يقاتلون حول مدينة عكا، وكان جيشه وحده كافياً للاستيلاء على بيت المقدس من صلاح الدين الأيوبي[345] .

2- سير الجيش الإنكليزي الفرنسي:

وسرعان ما اجتمع الملكين فيليب أوغسطس وريتشارد قلب الأسد في مدينة دروا Dreux في مارس 1190م، لمناقشة الترتيبات النهائية للحملة، على أنه حدث أثناء الاجتماع ما حتم إرجاء كل شيء، ألا وهو وفاة إيزابيلا ملكة فرنسا، ثم زاد الطين بلة ما جاء من خبر فادح ينعى ملك صقلية وليم الثاني، وكان وقع هذه الأخبار أليماً على فيليب أوغسطس، حتى لقد أوشك على التخلي عن المشاركة في الحملة الصليبية[346] ، مما أخر الاجتماع إلى 27 حمادي أول 586هـ/2 يوليو 1190م عندما تقابل الملكان في مدينة فيزلاي، تم الاتفاق على الخطوات التي تسير عليها الحملة، ومن أهمها الاتفاق على تقسيم جميع الغنائم مناصفة بالتساوي بين المملكتين، بالإضافة إلى قسم كل من الملكين على عدم قيام أحدهما بغزو أراضي الآخر أثناء غيابه، وإذا ما انتهك ذلك توقع عقوبة الحرمان الكنسي على المعتدي[347].

قام الملك فيليب أوغسطس بوضع الترتيبات اللازمة لتدبير أمور المملكة وإدارتها أثناء غيابه في الشرق؛ فأسند إدارة المملكة في مدينة باريس إلى مجلس تكون من أربعة أشخاص، موثوق في عدالتهم وحنكتهم وصواب رأيهم؛ أما فيما يخص شئون المملكة خارج حدود عاصمته باريس، فقد قام بتقسيمها إلى ستة أقسام إدارية، أسند إدارة وتفويض كل قسم منها إلى شخص، وجعل الكل تحت إشراف والدته أديلا الشامبانية وخاله رئيس أساقفة مدينة ريمس، وألزمهما بالمحافظة على

---

[345] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ48.

[346] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صــ189-190.

[347] عبد القوي، المرجع السابق، صــ122.

المملكة أثناء غيابه في الشرق، وإطلاعه على ما يقع في المملكة من أمور عن طريق تقديم تقرير سنوي له في الشرق[348] .

لم يلبث الملك فيليب أوغسطس أن غادر مدينة باريس إلى مدينة فيزيلاي للاجتماع بالملك ريتشارد قلب الأسد، وعندما اجتمع الملكان أبرما بينهما اتفاقية تعاون، نصت على أن يخلص كل منهما للآخر، وأكد كل منهما ذلك بيمين قطعها على نفسه لصاحبه، واتفقا على أن يتقاسما قسمة عادلة كل غنيمة تقع لهما في الحرب، وعلى اتخاذ الطريق البحري، وأن يتقابلا معاً في مدينة مسينا بصقلية[349] .

ويبدو أن هناك مجموعة من الأسباب دفعت الملكين إلى اتخاذ الطريق البحري بدلاً من البري؛

أولها: الكارثة التي لحقت بالإمبراطور فريدريك بربروسا[350].

وثانيها: تحالف الإمبراطور البيزنطي إسحاق إنجيلوس و السلطان صلاح الدين الأيوبي[351] .

وثالثها: المحافظة على ضمان طرق اتصال مفتوحة بين الإمارات الصليبية في الشرق والغرب الأوروبي، وسهولة نقل المؤن والإمدادات للصليبيين في الشرق بدون أن يكون محفوفاً بالمخاطر، والسفر مأمون نسبياً والمدة قصيرة، كما أن الطريق البحري عملي أكثر إذ يحول دون تفرق القوات، ووقوع الاشتباكات بين القوميات المختلفة[352] .

انطلق الملكان معاً من مدينة فيزيلاي يوم 4 يوليه 1190م، وكان الملك ريتشارد(قلب الأسد) قد سبق وأرسل أسطوله للإبحار حول الساحل الأسباني، ومقابلته في مدينة مرسيليا الفرنسية، ولكن القوة البرية كلها تقريباً كانت معه، وأما

---

[348] **بطران، المرجع السابق، صـ185.**

[349] **بطران, المرجع نفسه، ص صـ185-186.**

[350] **حمزة، المرجع السابق، صـ170.**

[351] **عطا، المرجع السابق، صـ103.**

[352] **عبد القوي، المرجع السابق، صـ123.**

جيش ملك فيليب أوغسطس، فكان أصغر، إذ أن الكثير من اتباعه قد سبق ورحلوا إلى الشرق فعلاً[353] .

وسارت تحركات الجيشين على قدم وساق حتى مدينة ليون الفرنسية، ومنها عبر الجيش الفرنسي الجسر المقام على نهر الرون، وما أن عبرت الجيوش الفرنسية حتى بدأت الجيوش الإنجليزية في عبور الجسر، فانهار من تحت أقدامهم، مما كان سبباً في القضاء على أعداد كبيرة من الجيش الإنجليزي، وبعد ذلك افترق الجيشان وكان هذ سبب آخر على ضعف هذه الحملة و ماترتب عليها[354] .

فتوجه الملك الفرنسي بجيشه من مدينة ليون، واتجه صوب الجنوب الشرقي مجتازاً سفوح التلال الألبية، فبلغ الساحل عند مدينة نيس Neisse على ساحل البحر المتوسط، ثم سار على امتداد الساحل الإيطالي، فوصل إلى مدينة جنوة[*] Genoa في 1 أغسطس 1190م[355] .

وعندما تحسنت الأحوال الجوية، غادر الملك فيليب أوغسطس ميناء جنوة في 24 أغسطس 1190م في جو عاصف منذر بالسوء، واتجه إلى مدينة مسينا، وقد كابدت تمويناته وسفنه كثير من المشقة، بسبب العواصف التي صادفته، ثم وصل إلى مدينة مسينا في صقلية في 14 سبتمبر 1190م، بعد رحلة صعبة إزاء الشاطئ الإيطالي.

---

(353) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ75.

(354) المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صـ197-198.

(*) إن الملك فيليب أوغسطس كان قد عقد اتفاقاً مع جنوا حصل بمقتضاه على قيام الأسطول الجنوي بنقل ستمائة وخمسين فارساً ومعهم ألف وثلاثمائة من أتباعهم بجيادهم، مع إمدادهم بالمؤن لمدة ثمانية أشهر، مقابل دفع مبلغ خمسة آلاف وثمانمائة مارك فضة انظر الى عبد القوي، المرجع السابق، صـ123.

(355) المرجع نفسة، صـ123.

ولما علم تانكريد (Tancred) حاكم صقلية(**) بوصول الملك فيليب أوغسطس إلى بلاده، خرج إليه مرحباً به أعظم ترحيب، واستقبله بما يليق به كملك لفرنسا، ووضع مملكة صقلية رهن إشارته، والتمس منه أن يمضي الشتاء في مملكته، وتقرر أن ينزل في القصر الملكي في مدينة مسينا[356] . ولما رأى الملك فيليب أوغسطس ما معه من السفن والتجهيزات ورأى ما تنطوي عليه نصيحة تانكريد من الحكمة والصواب استجاب له، وأمضى الشتاء في صقلية، لتجنب المخاطر التي تتعرض لها السفن في هذا الفصل من السنة[357] .

أما عن الملك ريتشارد (قلب الأسد) ، فتوجه بعد تنظيم جيشه إلى مدينة مرسيليا؛ حيث انضم إليه أسطوله 19 رجب 576هـ/22 أغسطس 1190م، ولم تحدث حوادث في الرحلة، فيما عدا تأخر بسيط في البرتغال في شهر يونيه، حيث ساعد البحارة الملك سانكو في صد غزو من إمبراطور مراكش، ومن ميناء مدينة مرسليا أبحر إلى الأراضي المقدسة البعض من أتباع ريتشارد(قلب الأسد) بقيادة بلدوين (أوف كنتربري)؛ لكن الجيش الرئيسي أبحر في قوافل مختلفة من مدينة ميسينا، حيث وصل الملك ريتشارد في 16 سبتمبر 1190م[358] .

استقبل الملك ريتشارد باحتفال كبير من الملك تانكريد، وتقرر أن يحل بالقصر الملكي فيها، وما إن علم الملك الفرنسي بوصول الملك ريتشارد حتى قام بزيارته بعد يومين من وصوله، وسُر كل منهما بالآخر سروراً عظيماً، وجاء الملك تانكريد إلى الملك ريتشارد ورحب به، ودعاه للذهاب للإقامة في القصر الملكي الذي

(**) **الملك تانكريد: هو ابن عم غير شرعي للملك وليم الثاني الذي توفي دون وريث ذكر، فابنة عمه التي آل إليها ميراث المملكة تزوجت من ملك لمبارديا ابن الإمبراطور الألماني، ونتيجة لمقت أهل صقلية وآبوليا حكم الألمان، فقد اندفعوا للثورة على هذا الحاكم، واختاروا تانكريد ليكون ملكاً عليهم، ومتزعماً للصراع ضد الإمبراطورية الرومانية انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ284؛رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ76.**

(356) **حبشي، المرجع السابق، ص صـ181-182.**

(357) **المرجع نفسه، صـ182.**

(358) **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ76؛ عبد القوي، المرجع السابق، صـ123.**

يقيم فيه ملك فرنسا، فرد الملك ريتشارد بالشكر لها واعتذر منها ، وكان بسبب إساءة تانكريد لاختة جوانا بعد وفاة زوجها وحرمانها من حقوقها [359] .

وعلى ما يبدو أن الملك ريتشارد كان قد علم بما حدث لأخته جوانا[*] بعد وفاة زوجها؛ لذلك كان يضمر في نفسه العداء للملك تانكريد ملك صقلية[360] . وما إن علم الملك ريتشارد بما فعله الملك تانكريد تجاه جوانا حتى أرسل إليه، يطلب منه الإفراج عن أخته، والتخلي عن إرثها، ويبدو أن الملك تانكريد قد أحس، بسبب إصرار الملك ريتشارد على النزول في أحد القصور الملكية خارج أسوار مدينة ميسينا؛ لذا أسرع وأرسل إليه جوانا في صحبة حرس ملكي، وبدأ يفاوض الملك ريتشارد ويعرض عليه الأموال. غير أن الملك ريتشارد لم يقنع بذلك، وقام بإرسال فرقة من جيشه تمكنت من الاستيلاء على مدينة صغيرة بالإضافة إلى جزيرة صغيرة، ونتيجة للقسوة التي تعامل بها جنود الملك الإنجليزي حدث شجار عنيف بينهم وبين أهل المدينة، أغلقت على أثره أبواب المدينة في وجوههم، وباتت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ عندما تعرضت المدينة في 2 رمضان 586هـ / 3 أكتوبر 1190 إلى شجار اندلع بين أهل المدينة والجيش الإنجليزي، دفع الإنجليز إلى اقتحامها، فقام بإغلاق المدينة في وجوه العساكر الإنجليزية، وباءت محاولات الملك ريتشارد وجيشه بالفشل[361] .

لقد دفع تصاعد الأحداث الملك الفرنسي إلى التدخل للوساطة، بعد ما أصبحت جزيرة صقلية مسرحاً للأحداث تشكلت معها طبيعة العلاقات بين الملكين

---

(359) حبشي، المرجع السابق، ص صـ183-184.

(*) عند وفاة الملك وليم الثاني ملك صقلية 585هـ/1189م، خصص لزوجته جوانا الكثير من الأشياء، وعند وفاة زوجها عادت إلى أبيها الملك هنري الذي ما لبث أن أعادها مرة أخرى إلى هناك، وعندما تولى تانكريد حكم المملكة جردها من كل ما خصها به زوجها، ومنعها من الخروج من قصرها، بالإضافة إلى قيام تانكريد بمصادرة الهبة المخصصة للملك هنري الثاني، فور علمه بوفاته، والتي كانت تشمل الأشياء الكثير انظر الى بطران، المرجع السابق، صـ284.

(360) رنسيمان ، المرجع السابق ، ج3، صـ77.

(361) رنسيمان ، المرجع السابق ، ج3، ص صـ77-78 ؛ عبد القوي، المرجع السابق، ص صـ123-124؛ بطران، المرجع السابق، صـ275.

الإنجليزي والفرنسي، الذي ما لبث أن قام باصطحاب رئيس أساقفة ميسينا رئيس أساقفة بيزا ومرجريتوس أمير البحر الصقلي، فضلاً عن العديد من أسرة تانكريد وأصدقائه، وكل من له تأثير على الملك الإنجليزي، واجتمع هؤلاء جميعاً، وأثناء الاجتماع وصلت إلى مسامع الملك ريتشارد الشتائم الموجهة ضده من أهل المدينة، فاشتاط غضباً، وغادر الاجتماع، وأمر عساكره بأن يقوموا بالهجوم مرة أخرى على المدينة[362] .

فلم تنقض سوى خمس ساعات حتى استولى الإنجليز على مدينة ميسينا في عملية حربية سريعة، ونهبوا كل أحيائها، باستثناء الشوارع القريبة من القصر الذي يقيم فيه الملك فيليب أوغسطس، وتم رفع اللواء الإنجليزي على المدينة، مما أدى إلى استياء الملك الفرنسي وجنوده، وقام بإرسال رسله إلى الملك ريتشارد من أجل رفع لوائه بناء على ما تم الاتفاق عليه في مدينة فيزيلاي، فلبى الملك ريتشارد الطلب لإرضاء الملك الفرنسي، وإثبات حسن نواياه[363] .

وما أن احتدم النزاع بين الصقليين والإنجليز حتى عكف الملك فيليب أوغسطس على معارضة حليفه، الملك ريتشارد سراً، وإن تظاهر بأنه يقف على الحياد، ولكنه دخل سراً في مفاوضات مع الملك تانكريد حاكم صقلية، فأرسل ابن عمه هيو الثالث دوق برجنديا ليلتمس الملك تانكريد حاكم صقلية في مدينة كاتانيا Catania[*] يحذره من نوايا الملك ريتشارد، ويعرض عليه المساعدة إذا ازدادت الأمور سوءاً، ويشير عليه بألا يستجيب لمطالب الملك ريتشارد، كما راح ينصحه بالوقوف في حزم وصلابة، حفاظاً على جميع حقوقه، ونصحه ألا يفرط في شيء

---

[362] المؤرخ المجهول ، المصدر السابق، ج1، ص صـ212-214؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج32، صـ86-93؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ78.

[363] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، صـ215-218؛ زكار، المرجع السابق، ج32، صـ93؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ78.

[*] كاتانيا: عاصمة المقاطعة التي تحمل اسمها، وتقع على خليج كاتانيا جنوبي جبل إتنا، ميناء بحري، ومدينة صناعية انظر الى بطران، المرجع السابق، صـ188.

منها، وأكد له أنه سوف يسانده، ويقف إلى جواره، ولن يخذله أمام الملك ريتشارد أو يتخلى عنه من أجله[364] .

رفض الملك تانكريد ما عرضه الملك فيليب أوغسطس من مساعدة، وفضل الدخول في مفاوضات مع الملك ريتشارد، فعرض عليه دفع عشرين ألف أوقية من الذهب تكون عوضاً عن الهبة المخصصة للملك هنري الثاني، بالإضافة إلى عشرين ألف أخرى لأخته جوانا، وذلك بمقتضى التوقيع على معاهدة في 11 شوال 586هـ / 11 نوفمبر 1190م أطلق عليها معاهدة فاتينا Fatina[365] .

ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى حرج موقف الملك تانكريد؛ إذ علم أن ملك الألمان هنري السادس Henry VI 1190-1197م يوشك أن يغير على بلاده، وأدرك أن الملك فيليب أوغسطس ليس موضع ثقة لما تربطه من علاقات ودية بهنري السادس، على حين أن ريتشارد يعتبر أشد من يهدد تانكريد في ذلك الوقت زد على ذلك، وكراهيته للألمان ، وليس من الراجح أن يقدم فيليب أوغسطس عندئذ على مهاجمته[366] . وسرعان ما تلاشى غضب ريتشارد عندما رأى بريق ذهب تانكريد، إذ قبل العرض باسمه، وبالنيابة عن أخته ، ثم وافق بعد ذلك أن يخطب لولي عهده آرثر Arthur ابن أخيه حاكم إقليم بريتاني ، إحدى بنات تانكريد ، مقابل أن يدفع عشرين ألف أوقية من الذهب مهراً لها[367] .

وما أن علم الملك فيليب أوغسطس بذلك حتى طلب من الملك ريتشارد نصف المبلغ، ذلك أنهما اتفقا على تقاسم الغنيمة مناصفة؛ ولكن الملك ريتشارد لم يعط الملك فيليب أوغسطس سوى ثلث الغنيمة، كما تذكر الحوليات الفرنسية، أما

---

[364] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صـ217-218؛ زكار، المرجع السابق، ج32 ، صـ85-86، 93.

[365] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، صـ218-220؛ زكار، المرجع السابق، ج32، ص صـ88-89.

[366] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ79.

[367] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، صـ219.

الحوليات الإنجليزية فتذكر أن الملك ريتشارد عندما نسلم التعويض الذي طلبه من تانكريد حاكم صقلية، عزم من تلقاء نفسه على أن يجعل هذا القدر من المال مناصفة بينه وبين الملك فيليب أوغسطس[368] .

ففي 8 أكتوبر 1190م ، حينما تم إعداد المعاهدة بين ريتشارد وتانكريد، اجتمع فيليب أوغسطس وريتشارد وتناقشا في الخطة المقبلة لمسيرة الحملة، وتم الاتفاق على اقتسام الغزوات المقبلة ، وتقرر أن يمضي الملكان بأتباعهما فصل الشتاء في صقلية[369] .

وسرعان ما ظهرت مشكلة بالغة الدقة تخص الأميرة أليس أخت فيليب أوغسطس ؛ إذ أن هذه الأميرة قد تم إرسالها، وهي طفلة إلى بلاط الملك هنري ، كي تتزوج ريتشارد أو أحد أبناء هنري الثاني ، فاستبقاها هنري الثاني في البلاط ، على الرغم من امتناع ريتشارد عن الموافقة على الاقتران بها ، ولم تلبث الشائعات أن ترددت بأن هنري الثاني كان على علاقة سيئة بالأميرة ، وله ولد منها ، ولما لم تكن ميول ريتشارد تتجه إلى الزواج منها ، رفض ما سبق أن وضعه أبوه من تدبير، على الرغم من إلحاح فيليب في الطلب[370].

كما أن والدة ريتشارد الملكة إليانور التي تحررت من كل قيد بعد وفاة زوجها هنري الثاني، لم تشأ أن ترى ابنها المحبوب، مرتبطاً بأميرة من أسرة تكرهها وتبغضها ، فضلاً عن أنها . فيما تعتقد . ليست إلا عشيقة لزوجها ، عندئذ قامت بخطبة برنجاريا Berengaria ابنة سانشو السادس Sancho VI ملك نافار، وقبل ريتشارد من وقع عليها اختيارها، وكان قد رآها من قبل فحببها إليه سلوكها الطيب، وكريم نبعتها، فتمناها زوجة له، وكان ذلك منذ أن كان لايزال كونت بواتو، لذلك

---

(368) بطران، المرجع السابق، صـ190.

(369) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ79.

(370) المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صـ224-225؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج32، ص صـ102-105.

عهد بها أبوها إلى إليانور لتصحبها وترعاها في سفرها هذا، لتزف إليه وتصير زوجة له، وكان ذلك قبل خروجه إلى الشرق(371) .

ونتيجة لتعقد الموقف تدخل كونت فلاندرز للوساطة بين الملكين، ونجح في التوصل إلى تعهد الملك الإنجليزي بالتخلي عن مقاطعتي فيكسن وجيسور بالإضافة لدفع عشرة آلاف مارك للملك الفرنسي(372) .

في ظل تصاعد الموقف بين الملكين وصلت إلى مدينة ميسينا سفارة من الشرق تطلب سرعة الإبحار، ومن أجل هذا اجتمع الملكان، وقررا إرسال هنري كونت شامباني للعلاقة التي تربطه بالملكين، فقام الملك الفرنسي بإمداده بمائة الف من نقود، أما الملك الإنجليزي فقد أمده بأربعة آلاف مكيال من القمح، بالإضافة إلى أربعة آلاف أخرى من الشحم ولحم الخنزير المملح، فضلاً عن أربعة آلاف مارك من الفضة، ورحل الكونت من مدينة ميسينا متجهاً صوب مدينة عكا لمحاصرتها(373).

لقد أبحر الملك الفرنسي وجيشه من مدينة ميسينا متوجهاً إلى مدينة عكا، غير أن عاصفة هبت بعد يوم من إقلاعه، فردته إلى مدينة ميسينا في رمضان 586هـ/ منتصف أكتوبر 1190م؛ لذا رأى الملك الفرنسي أنه من الحكمة أن يقضي الشتاء في مدينة ميسينا خوفاً من الهلاك، وسارت الحياة في مدينة ميسينا في وجود الجيشين إلى أن حل عيد الميلاد لعام 1191م، وقام الملك الإنجليزي بإقامة احتفال كبير، دعا إليه الملك الفرنسي، وكثيراً من المقربين، وعند انتهاء الحفل قدم الملك الانجليزا الهدايا بهذه المناسب إلى نظيرة الفرنسى فى نهاية الحفل (374) .

بعد أن أصبح الجو أكثر ملاءمة للإبحار، ودخل فصل الربيع بطقسه المناسب، بدأ الملكان الاستعدادات للرحيل إلى الشرق، وفي الوقت نفسه وصلت

---

(371) **حبشي، المرجع السابق، ص صـ194-195.**

(372) **بطران، المرجع السابق، صـ191.**

(373) **عبد القوي، المرجع السابق، صـ126؛ حبشي، المرجع السابق، صـ185.**

(374) **المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صـ222-223؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ80.**

أخبار تفيد بوصول الملكة إليانور ومعها عروس الملك ريتشارد، الأميرة برنجاريا إلى مدينة ميسينا، وكان الملك فيليب قد أتم استعداداته،و بدأ في الرحيل متجهاً إلى الشرق، وذلك في يوم الأحد 2 ربيع أول 587هـ/30 مارس 1191م، وقام بوداعه الملك الإنجليزي ريتشارد، الذي ما لبث أن استقبل أمه الملكة وعروسه، ورحب بهما أجل الترحيب، وغمرته بحضورهما السعادة[375] .

بعد فترة قصيرة من رحيل الملك فيليب أوغسطس، أذن الملك الإنجليزي لأمه الملكة إليانور بالعودة إلى المملكة لرعايتها لقلقه الشديد على مملكته، وأذن لولتو رئيس أساقفة دوان بالرحيل معها، وبدأ على الفور في الاستعدادات للسفر إلى الشرق، وقام بوضع زوجته وأخته في سفن المقدمة التي تسمى بالدرمونة Dromond[*] ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد موعد إبحار الملك الإنجليزي عن مدينة ميسينا، فمنهم من حدده في 4 أبريل، ومنهم من حدده 8 أبريل، ومنهم من حدده 10 أبريل، ومنهم من حدده بسبعة عشر يوماً من رحيل الملك الفرنسي؛ أي الموافق 16 أبريل[376] . أياً كان موعد الإبحار، فقد ترك الملك ريتشارد مدينة ميسينا متجهاً إلى الشرق.

وعلى الجانب الآخر وصل الملك فيليب أوغسطس إلى مدينة صور، فاستقبله المركيز كونراد مونتفرات أفضل استقبال، وانتقل على الفور لحصار مدينة عكا 23 ربيع أول 587هـ/20 أبريل 1191م[377] .

---

[375]، رنسيمان, المرجع السابق، ج3، صـ81.

[*] الدرمونة: تعرف بأنها ضرب من السفن اليونانية، وعرفت لدى البيزنطيين كأحد القطع الحربية؛ حيث توصف بأنها "العداءة"، وهي سفينة ثنائية؛ أي ذات صفين من المجاديف، تحوي عدداً من الرجال يتراوح ما بين مائتي رجل إلى ثلاثمائة، وهي سفن حربية وسريعة الحركة، وعرفت في مصر بأنها المراكب التي تتخذ لحمل غلال الملوك والأمراء من إقطاعاتهم في إبان زيادة النيل، وكانت تحدد حمولتها بخمسة آلاف أردب انظر الى بطران، المرجع السابق، صـ279.

[376] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، ص صـ227-228؛ حبشي، المرجع السابق، صـ196.

[377] ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ156-157؛رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ82 .

لم تخل رحلة الملك ريتشارد من متاعب، فلم تلبث الرياح العانية أن بعثرت سفن الأسطول، إذ لجأ الملك نفسه للاحتماء بميناء في جزيرة كريت لمدة يوم، ومن هذا المرفأ توجه في غمرة العواصف إلى جزيرة رودس(*)؛ حيث مكث عشرة أيام، ابتداء من 22 أبريل إلى أول مايو ليسترد عافيته من دوار البحر[378] .

غير أن الرياح دفعت السفينة التي تحمل الملكة جوانا وبرنجاريا خطيبة الملك ريتشارد إلى ميناء ليماسول، أحد المواني الرئيسية بجزيرة قبرص، التي تخضع للسيادة البيزنطية، ويحكمها أسحاق دوكاس كومنين(**) Isaac Docase Commenus (580-587هـ / 1184-1191م)[379] الذى ما إن رأى السفينة حتى عاملها معاملة سيئة، مما كان له أكبر الأثرفى رسوا الملك ريتشارد أمام سواحل الجزيرة، وكان إسحق هذا يعامل الحجاج المسيحيين معاملة سيئة من قبل، مما زاد من حنق الملك ريتشارد عليه، ودفعه إلى إرسال رسل إليه يطلبون التعويض عما قام به من خسائر ضد السفينة؛ إلا أن إسحق هذا استهزأ بالرسل، فاشتاط الملك ريتشارد غضباً،و صاح في جيشه منادياً بالحرب، حيث أقام الحواجز في الميناء، وانتظر على الشاطئ بجيشه، وبدأت المناوشات بين الطرفين، انتهت باندلاع حرب ضروس

(*) **رودس: جزيرة كبيرة في بحر إيجة Aegeah أمام سواحل اليونان، وعلى بعد ستة عشر كيلومتر من الساحل التركي، ومساحتها واحد فاصل أربعمائة وأربعة من ألف كيلومتر مربع، استولى عليها فرسان القديس يوحنا، في عام 708هـ/1309م، وحصل عليها الأتراك عام 929هـ/1523م انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ279.**

[378] **عبد القوي، المرجع السابق، صـ127.**

(**) **إسحاق دوكاس كومنين: عين من قبل الإمبراطور البيزنطي أندروقيق الأول كومنين (581هـ-587هـ/ 1182-1185م) على جزيرة قبرص في عام (586هـ/1184م)؛ غير أنه لم يكد يصل إلى الجزيرة حتى استبد بالأمور، وقطع صلته بالقسطنطينية، تلقب بلقب إمبراطور قبرص انظر الى عاشور (سعيد عبد الفتاح)، قبرص والحروب الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 2002، صـ24.**

[379] **عاشور، قبرص والحروب الصليبية، صـ24.**

أسفرت عن هزيمة الإمبراطور إسحق وفراره من معسكره، ودخل الملك ريتشارد إلى ليماسول[380] .

وبعد أن حصل الملك ريتشارد على قسط من الراحة، انطلق في أثر الإمبراطور إسحق دوكاس وجيشه، ودارت بينهما المعارك الكثيرة، جاءت كلها في صالح الملك ريتشارد، مما دفع الإمبراطوراسحاق إلى الفرار إلى مدينة نيقوسيا Nicosia[*][381] . وما لبث أن وصلت إلى معسكر الملك ريتشارد مركب تحمل الملك جي لوزجنان، وصاحبه في هذه الرحلة همفري الرابع وريموند الثالث وبوهيموند الثالث، وهم من المؤيدين لوجهة نظر الملك جي الذي جاء خصيصاً لطلب العون من الملك ريتشارد ضد كونراد وحليفه الملك فيليب أوغسطس ملك فرنسا 14 جمادي أول 587هـ/11 مايو 1191م، من أجل الحصول على عرش مملكة بيت المقدس مرة أخرى[382] .

وفي اليوم التالي من وصول الملك جي إلى المعسكر الإنجليزي، تم عقد زواج الملك ريتشارد بالأميرة برنجاريا بحضور رئيس اساقفة أيفرو في كنيسة القديس جورج في ليماسول، وبعد إتمام الزواج استطاعت الوساطة أن تقوم بدور فعال من أجل التوفيق بين الملك والإمبراطور إسحق دوكاس؛ وذلك في اجتماع كبير، تعهد فيه الإمبراطور بأنه سيكون التابع الأمين للملك ريتشارد ويمده بالفرسان بالإضافة إلى تسليم القلاع والحصون.

---

[380] المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1، صـ241-245؛ عاشور، قبرص والحروب الصليبية، صـ27.

[*] نيقوسيا: مدينة في قبرص، وهي عاصمة جمهورية قبرص، تقع في النصف الشمالي4 من الجزيرة على بعد ثمانية وأربعين كيلومتراً من غرب وشمال ميناء فاماجوستا انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ290.

[381] عاشور، قبرص والحروب الصليبية، صـ28.

[382]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ83؛ عاشور، المرجع السابق، صـ27.

وعندما أحس الإمبراطور بالاطمئنان ما لبث أن فر تحت جنح الظلام عبر فاما جوستا(**)[383] . مما أدى إلى اندفاع الملك ريتشارد بجيشه مستولياً على مدينة نيقوسيا، وفي الوقت نفسه وصلت إلى مقر الملك ريتشارد سفارة قادمة من الملك الفرنسي فيليب أوغسطس تحثه على الإسراع في القدوم إلى السواحل الشامية بهمة وشدة، وقابل الملك ريتشارد ذلك برد أعلن فيه أنة لن يبرح جزيزة قبرص حتى يتم له الاستيلاء عليها[384] .

وما لبث الملك ريتشارد أن تعرض لوعكة صحية، قام على أثرها الملك جي بقيادة الجيش الإنجليزي، واستطاع به الاستيلاء على ثلاث قلاع هي: خريناس Cherinas وديديموس Dedimus وبوفافينتو Buffavento، وتم أسر ابنة الإمبراطور في قلعة خرنياس، ولما علم الإمبراطور بذلك استسلم على الفور للملك الإنجليزي[385]، ووضع الجزيرة تحت تصرف الجيش الإنجليزي 4 جمادي الآخرة 587هـ/1 يونيو 1191م، وبهذه النتيجة أخضعت جزيرة قبرص للملك ريتشارد في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، وأنزل بها مجموعة من الجيش الإنجليزي ليعيدوا فيها النظام مرة أخرى تحت السيادة الإنجليزية[386] .

وبعد أن شفي الملك ريتشارد من مرضه قرر الرحيل إلى الساحل الشامي، فقام بإقرار الأمور في الجزيرة، وعهد بالحفاظ عليها إلى فارسين من فرسانه، هما

(**) **فاماجوستا: هي إحدى المدن التي تقع في الشمال الشرقي من جزيرة قبرص، وكانت طوال فترة العصور الوسطى هي الميناء الرئيسي للجزيرة خاصة في عهد اسرة لوزيجنان، وأصبحت المركز التجاري الرئيسي في العالم، خاصة بعد ما سقطت عكا، ففتحها للتجارة أدى إلى هجرة الكثير من السكان إليها، وكانت مركزاً تجارياً للمدن الإيطالية، أما اليوم فهي مدينة صغيرة بها الكثير من المباني القديمة المهدمة، وفقدت أهميتها التجارية انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ291.**

(383) **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ84؛ عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص صـ27-28.**

(384) **عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، صـ28.**

(385) **المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ج1،ص صـ257-258؛ عاشور، المرجع السابق،ص صـ28-29.**

(386) **عبد القوي ، المرجع السابق، صـ128.**

ريتشـارد دي كامفيـل، وروبـرت دي تورنهـام، ورحـل مـن هنـاك متوجهـاً إلـى السـاحل الشامي[387] .

وعندما اقترب من السواحل استطاع بجيشه إغراق سفينة إسلامية كبيرة محملة بالمؤن للمعسكر الإسلامي، وعندما وصل أمام مدينـة صـور، رفضـت حاميـة المدينـة السماح له بالدخول إليها، وذلك بناء على تعليمات من المركيز كوانراد وحليفه الملك فيليب أوغسطس، لإجباره على مواصلة السير إلى عكا[388] .

ومن الواضـح أن ما حدث أمام صـور كـان أول صـورة من صـور العداء فـي الشرق التـي بدأت تظهر بين القوى الصـليبية، فـي الوقت الذي استقبلت فيـه المدينـة نفسـها الملـك الفرنسـي بالترحـاب، وكـان لهـذا العمـل تـأثير كبيـر علـى العلاقـات بـين الأطراف الصـليبية المحاصـرة لمدينة عكا[389] .

---

[387] عاشور ، المرجع السابق، صــ29 ؛ عبد القوي، المرجع السابق، صــ129.

[388] المؤرخ المجهول ، المصدر السابق ، صــ260-264.

[389] حسن، المرجع السابق، صــ292.

الفصل الثالث
الحملة الصليبية الثالثة

** ***المبحث الأول :- الصليبيون وحصار عكا .***

1-مقاومة الصليبيين المحليين .

2-دور الحملة الألمانية في حصار عكا .

3-دور الفرنسيين في الاستيلاء على عكا .

4-وصول الملك ريتشارد (قلب الاسد) الى معسكر الصليبيين امام عكا .

5-عودة الملك فليب اوغسطس الى فرنسا واثرها على مصير الحملة الصليبية .

** ***المبحث الثاني :- الصراع بين السلطان صلاح الدين الايوبي و الملك ريتشارد .***

1-معاملة الاسرى المسلمين .

2-معركة ارسوف .

3-المفاوضات بين السلطان صلاح الدين الايوبي و الملك ريتشارد .

4-أطماع الملك ريتشارد في مدينة بيت المقدس .

5-القدس والنزاع بين السلطان صلاح الدين الايوبي و الملك ريتشارد .

المبحث الأول : الصليبيون وحصار مدينة عكا:

1) مقاومة الصليبيين المحليين:

على أثر قيام السلطان صلاح الدين بالافراج عن الملك جاي لوزجيان ارتفعت معنويات الصليبيين الموجودين في بلاد الشام فتحولوا من الدفاع الى الهجوم في عام 584 هـ / 1188 م ، كما أفرج عن عشرة من أعيان أسرى الصليبيين وكبار أتباع الملك ليكونوا رفقاء له، منهم شقيقه عموري لوزجنان ومقدم الداوية والماركيز مونتفرات الكبير والد كونراد، الذي لحق بابنه في مدينة صور[390] .

وكل ما وعد به الملك جاي هو ألا يعود إلى حرب المسلمين، وألا يشهر سلاحاً ضد صلاح الدين، وأن "يكون غلامه ومملوكه وطليقه أبداً"[391] ، وأن يبرح بلاد الشام تواً عائداً إلى الغرب الأوروبي.

غير أن هذا الرجل ما لبث أن نكث عهده، كما هي عادة الصليبيين دائماً، وتحلل من وعده لسلطان صلاح الدين، ولم يلبث أن نزح إلى مدينة صور مؤملاً أن يتولى زعامة القوات الصليبية في حربها ضد المسلمين[392] ؛ الا أنها منع من قبل المركيز كونراد دي مونتفرات الذي رفض أن يسمح للملك بدخول المدينة، ورد عليه بأن صور لم تعد مدينة جاي، بل قال له: "إنني نائب للملوك الذين وراء البحر، وما أذنوا لي في تسليمها إليك"[393] .

وأمام منعه من الدخول وجد نفسه دون بلد يأويه أو جيش يحميه ففكر في غزو مدينة عكا، أخذ الملك جاي يعد نفسه للقيام بهذا الدور، فجمع المشردين من فرسان الصليبيين، سواء من فرسان المملكة والأمارات والمدن التي استولى عليها السلطان صلاح الدين، أو من الفرسان النورمان الذين أرسلهم ملك صقلية، ثم تقدم

---

[390] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ56؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ384.

[391] ابن شداد، المصدر السابق، صـ98؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ283-284.

[392] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ671.

[393] ابن شداد، المصدر السابق، صـ98؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ284.

علـى رأسـهم جميعـاً صـوب مدينـة عكـا فـي رجـب سـنة 585هـ/ أواخـر أغسـطس 1189م[394].

ويعلـق رنسيمان علـى الـدور الـذي أراده الملـك جـاي لنفسـه فيقـول: "ولـم يكـن بوسـع أحد أن يتكهن بـأن مغامرة جـاي سوف تنجح، غير أن للتـاريخ مفاجآتـه، فإذا كـان النشـاط الفائق لكونراد حفظ للعالم المسيحي ما تبقى من فلسطين، فإن حماقة جاي الرائعة هي التي حولت المد، واستهلت فترة استعادة الأرض المقدسة"[395] .

ثـم تقـدم الملـك جـاي علـى رأس هـذا الجيش تجـاه مدينـة عكـا فـي أغسـطس 1189م ملتزماً طريق الساحل، بينما سارت السفن في البحر على مقربـة منـه تحمل السلاح والعدد والذخائر[396] .

ويشـير ابـن شـداد إلـى أن السـلطان صـلاح الـدين كـان بوسـعه الهجـوم علـى الصليبيين وهم في طريقهم إلى مدينة عكا ومنعهم من الاتجاه جنوباً، وحصـرهم عنـد الممـرات إلــى الأسـكندرونة أو فــي المواضــع الخطـرة؛ إلا أنــه كـان مشـغولاً حينئـذ بمحاولة فتح حصن الشقيف أرنون[397] .

وعنـدما سـمع السلطان صـلاح الـدين بـأن الملـك جـاي فـي طريقـه علـى رأس بعض الجموع الصليبية إلى مدينة عكا، لم يصدق الخبر، وظن أن في الأمر خدعة لحمله على ترك الحصن ، ولم ينتبه إلى الأمر الصليبي إلا عندما اقتربوا من مدينـة عكا[398] .

وكـان أن اسـتدعى السـلطان صـلاح الـدين بعـض القـوات مـن الجليـل؛ ولكـن السلطان صـلاح الدين نفسـه لم يصـل إلـى منطقـة الخروبـه ، علـى بعد 16 كيلـومتر

---

[394] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ672، أبو سعيد،(حامد غنيم), الجبهــة الاســلامية فــى عصــر الحروب الصليبية, ج2, دار الثقافة. ط2، 1994, صــ134.

[395] المرجع السابق، ج3، صــ58.

[396] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صــ201.

[397] المصدر السابق، صــ103.

[398] ابن شداد، المصدر نفسه، ص صــ103-104؛ الحريري، المرجع السابق، صــ176.

إلـى الجنـوب الشـرقي مـن مدينـة عكـا إلا فـي 29 أغسطس 1189 م ، بعـد أن كـان الصليبيون قد احتلوا مراكزهم فعلاً في مواجهة مدينة عكا[399].

لقد أقام الملك جاي لوزجنان المطرود معسكره على مقربة من مدينة عكا فوق تل المصليين شرقي المدينة، فنزل السلطان صلاح الدين عليهم، وضرب خيمته على تل كيسان، وامتدت ميمنتـه إلـى تل الخياطيـة[400] ، لقد تغير الموقف تماماً حينما وصلت بشائر الحملة الصليبية الثالثة من الغرب الأوروبي، مما أمد الصليبيين أمام مدينة عكا بقوة كبيرة[401] .

وفـي 6 أبريـل 1189م وصـل إلـى صـور للمشـاركة فـي حصـار مدينـة عكـا أسطول مدينـة بيزة الايطاليـة مكون من اثنتين وخمسين سفينة تحت قيادة أوبالدو رئيس أساقفة بيزا، وقد انحاز البيازنة بأسطولهم إلى جانب الملك جاي[402] .

ولـم تلبـث أن توافدت أسـاطيل المـدن الايطاليـة (بيـزة ، والجنـوة والبندقيـة) فضـلاً عن سفن أخرى من غرب أوروبا تحمل آلافاً مـن الصـليبيين مـن الفرنسيين والفلمنكيين والدانمركيين والفريزين[*] والألمان من جهة البحر، قدرهم بعض المؤرخين بنحو عشرين ألف محارب، وصلوا في أوائل سبتمبر سنة 1189م، مما جعل لسفنهم أهميـة كبيـرة فـي حصـار مدينـة عكـا، بسـبب أنهـم كـانوا ملاحـين مهـرة؛ كمـا تناسـى المركيـز كونراد دي مـونتفرات خصـومته مـع الملـك جـاي وأزمـع الحضـور علـى رأس قواته من مدينة صور للمشاركة في الاستيلاء على مدينة عكا[403] .

---

[399] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ672.

[400] العسلي ، (بسام), فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية ، مج4، دار الفكر , 1988 , صـ149.

[401] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، صـ673.

[402] رنسيمان ، المرجع السابق ، ج3، صـ58 ؛ أبو سعيد ، المرجع السابق ، صـ138.

[*] الفريزيون : هم السكان قاطني شمال هولندا , انظر الى رنسيمان ، المرجع السابق ، ج3 ، صـ60.

[403] المرجع نفسه ، ج3 ، صـ60 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، صـ673 ؛ الشـيخ ، المرجـع السابق، صـ387.

بدأ السلطان صلاح الدين هجومه الكاسح على الصليبيين في منتصف سبتمبر 1189م، حين نشط في فتح طريق إلى مدينة عكا، ليتخذ بعض الاجراءات منها تحشد الجند واختيار القادة وتهيئة المؤن، وبعد قتال عنيف نجح المسلمون في فتح الطريق إلى مدنية عكا[404] ؛ فأدخل السلطان صلاح الدين إلى المدينة من أراد من الرجال، وما شاء من الذخائر والأموال والسلاح، ومما كبدة الصليبيين خسائر فادحة يوم 15-16 سبتمبر 1189م[405] .

تحير الصليبيون في حساباتهم مع السلطان صلاح الدين ، فقالوا: "إن عسكر مصر لم يحضر، والحال مع السلطان صلاح الدين هكذا؛ فكيف يكون إذا حضر؟ والرأي أننا نلقى المسلمين غداً لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر، والإمداد إليهم"[406] .

وخرج الصليبيون من معسكرهم "كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الأرض، وقد ملأوها طولاً وعرضاً"، فلما شاهد السلطان صلاح الدين إصرارهم على الهجوم أمر بأن ينادي في الناس "ياللإسلام وعساكر موحدين"[407] .

ودارت المعركة بين الطرفين، انتهت بانتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين، بل قتل أكثرهم، وأخذ الباقون أسرى، وكان من جملة من أسر مقدم الداوية الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه، فلما ظفر به . الآن . قتله[408] .

وكان عدد قتلى العدو في هذه الموقعة يزيد على عشرة آلاف قتيل،ويبدو ان هذا العدد من القتلى مبالغ فيه الا انه يشير الى كثرة من قتل من الصليبيين حتى ان السلطان صلاح الدين أمر بإلقاء جثث هؤلاء القتلى في النهر ربما أراد من ذلك أن

---

[404] **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ292-293؛ عاشور فايد، الجهاد الإسلامي، صـ185.**

[405] **عاشور فايد، المرجع نفسه، ص صـ185-186.**

[406] **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص صـ202-203.**

[407] **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ295؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ109؛ عاشور فايد، الجهاد الإسلامي، صـ186.**

[408] **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ203.**

يرى الصليبيون خسائرهم [409] ، ولكن هذا الأمر مبالغ فيه في رأينا ؛ لأنه ليس من اخلاق السلطان صلاح الدين عمل مثل هذا العمل .

أدى كثرة القتل إلى فساد الجو ونتن الأرض والى تغير مزاج السلطان صلاح الدين "، الأمر الذي جعل الأمراء يشيرون عليه بالابتعاد بقواته من تل كيسان إلى الخروبة في 4 شهر رمضان 585هـ/ منتصف أكتوبر 1189م، فأفاد الصليبيون من ذلك، وأحكموا حصارهم على مدينة عكا، وأكملوا حفر خندق حول معسكرهم من البحر إلى البحر، كما نجحوا في إنزال أدوات الحصار من سفنهم فانقطع طريق المسلمين إلى مدينة عكا من جديد[410] .

وأمضى السلطان صلاح الدين الشتاء وجانباً من ربيع سنة 1190م بالخروبة، ولم يعد الاتصال بينه وبين مدينة عكا كما كان من قبل، بسبب أن الصليبيين حفروا الخنادق حول عكا، فلجأ إلى إرسال تعليماته إلى حامية مدينة عكا بواسطة السباحين في البحر وعن طريق الحمام الزاجل ؛ لسرية الأمور[411] .

تحرك جيش مصر بقيادة الملك العادل إلى مدينة عكا، فوصلها في منتصف شوال 585هـ/ أواخر نوفمبر 1189م، ثم وصل بعده الأسطول المصري ومقدمه حسام الدين لؤلؤ في منتصف شهر ذي القعدة من نفس العام، على رأس خمسين قطعة بحرية، وقد نجح الأسطول المصري في الاستيلاء على سفينة كبيرة للصليبيين فغنمها، وأخذ منها أموالاً كثيرة ميره ، وأدخلها إلى مدنية عكا، مما ادى الى رفع معنويات المحاصرين بوصول الأسطول المصري، وقوي جانبهم[412] .

---

[409] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج4، صــ203؛ العسلي، المرجع السابق، صــ152.

[410] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، صــ204؛ ابن واصل، المرجع السابق، ج12، صــ203؛ ابن شداد، المصدر السابق، صــ114؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ387.

[411] الأصفهاني، المصدر السابق، صــ192؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ674.

[412] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صــ204؛ العسلي، المرجع السابق، ص صــ153-154.

وعلى الرغم من ذلك فإن القوات الصليبية ظلت قوية بسبب قواتهم البحرية من ناحية، وكثرة أعدادهم من ناحية أخرى[413] ، وكان السلطان صلاح الدين قد كاتب الأطراف الإسلامية والأمراء والملوك في الاستنفار للقتال، واستدعاء الناس للجهاد، كما أرسل إلى أخيه صاحب اليمن يشرح له ما جرى من الحوادث، ويطلب منه الإعانة بالمال، وكذلك كتب إلى الخليفة العباسي الإمام الناصر لدين الله[414] .

وكان من نتائج دعوة السلطان صلاح الدين أمراء الإسلام للجهاد أن وصلته امدادات في أبريل سنة 1190م من عماد الدين الأرتقي صاحب دارا والشريف فخر الدين مبعوثاً من الخليفة العباسي ببغداد، وفي الشهر التالي وصل إلى السلطان صلاح الدين الأمير عماد الدين زنكي ابن مودود صاحب سنجار ومعز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة، فضلاً عن علاء الدين حزم شاه بن مسعود صاحب الموصل نائبا عن أبيه، وزين الدين يوسف صاحب أربل[415] ، وكان للوعي الإسلامي لدى أولئك الحكام دوره الكبير في استجابتهم لنداء السلطان صلاح الدين حيث تناسوا ما بينهم وبين البعض من خلافات من اجل مواجهة هذا الخطر فضلاً عن دور ابن شداد بصفته سفيراً من السلطان صلاح الدين الى أولئك الحكام [416] .

ثم إن السلطان صلاح الدين أرسل سفارة إلى سلطان الموحدين في المغرب أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن (580 – 595 هـ / 1184– 1199 م) لطلب المساعدة، وأن يقوم السلطان أبو يوسف بدوره بمحاربة الصليبيين وذلك بقطع الطريق على السفن الأوروبية التي تقوم بإمداد الصليبيين في الشام بما يحتاجون إليه من مؤن وإمدادات، وعند وصول هذه السفارة إلى المغرب في يناير 1191م، تعهد

---

[413] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ675.

[414] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ306–307.

[415] الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ194–195؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ206؛ عاشور فايد، الجهاد الإسلامي، صـ194.

[416] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ676؛ الشيخ، المرجع السابق، صـ388.

أبو يوسف بإرسال[*] أسطول لعرقلة نشاط الإيطاليين في مياه البحر المتوسط ، ولكن هذه السفارة قد فشلت لأن السلطان أبو يوسف قد رفض المساعدة [417] .

اشتدت وطأة الحصار على المدينة؛ بينما كانت الحرب تسير ببطء أمامها، ولم تبدأ فعلياً إلا في أواخر أبريل سنة 1190م، حين بدأ الصليبيون في مهاجمة أسوار المدينة ومحاولين اقتحامها؛ ولكن محاولاتهم باءت بالفشل[418] . غير أن المدينة ظلت تعاني من شدة الحصار في الشهور الثلاثة التالية، ونقصت المؤن والزاد ، وكان السلطان صلاح الدين قد نجح في أغسطس 1190م في تهريب الميره و المؤن وغير ذلك من مدينة بيروت إلى مدينة عكا عن طريق البحر[419] ، كما نجحت ثلاث سفن (بطس) في منتصف شعبان 586هـ/ سبتمبر 1190م من اقتحام ميناء عكا ليلاً، وكانت "مشحونة بالأقوات والأدام وجميع ما يحتاج إليه الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء"[420] .

2) دور الحملة الألمانية في حصار مدينة عكا:

بعد وفاة الإمبراطور الألماني فريدريك الاول (بربروسا) خلفه ابنه، الذي كان في صحبته، فريدريك دوق سوابيا، ولم يستطع فريدريك الابن أن يسيطر على جنوده، إذ قرر بعض الأمراء العودة بأتباعهم إلى ألمانيا، وفريق استقل سفينة من ميناء طرسوس إلى مدينة صور، أما هو ومن بقي معه فقد واصلوا سيرهم إلى مدينة أنطاكية، ومعهم جثة الإمبراطور السابق، على أمل دفنه في مدينة القدس[421] . وعلى أية حال وصلت هذه الحملة إلى أنطاكية في 21 يونيه 1190م، ولما علم

---

[*] **ويشير أبو شامة إلى أن سلطان المغرب لم يرسل أية مساعدة لصلاح الدين؛ "إلا أنه عز عليه كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جاري عادتهم انظر الى عاشور، الحركة الصليبية، ج2، (هامش رقم 3)، صـ676.**

[417] **عاشور، المرجع السابق، ج2، صـ676.**

[418] **الشيخ، المرجع السابق، صـ388.**

[419] **ابن شداد، المصدر السابق، صـ135.**

[420] **ابن شداد، المصدر نفسه، صـ138.**

[421] **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صـ48-49.**

بوهيمند الثالث (1163–1201م) أمير أنطاكية بحالة الدوق فريدريك السوابي ذهب إليه ليحضره إلى أنطاكية، واستقبله استقبالاً عظيماً، وأدى يمين الولاء و النصرة لفريدريك دوق سوابي(*)(422) .

وكان عدد الجيش الألماني في مدينة أنطاكية قليلاً، قدره البعض بحوالي خمسة آلاف ؛ كانت حالة الجيش العسكرية لا تسمح بعمل يقابل فيه المسلمين وجهاً لوجه، لذلك فكر في الاتجاه إلى مدينة عكا، وشجعه على هذه الفكرة ابن عمه مركيز كونراد دي مونتفرات، الذي قام بزيارة له من مدينة صور، فضلاً عن 4تشجيع بوهيمند الثالث أمير أنطاكية لهذه الفكرة(423) .

خرج فريدريك دوق السوابي ومعه جيشه من مدينة أنطاكية يوم الأربعاء 25 رجب 586هـ/28 أغسطس 1190م، وهو قاصد مدينة عكا، وفي الطريق واجه الجيش الألماني متاعب جمة، حتى وصوله إلى مدينة طرابلس يوم الثلاثاء 8 شعبان 586هـ/11 سبتمبر 1190م، مكث فيها بعض الوقت في مدينة طرابلس، وأرسل إلى مدينة عكا يخبرهم بأنه سيحضر إليهم، وفي أواخر شعبان 586هـ/ سبتمبر 1190م توجه إلى مدينة عكا(424) .

أقام فريدريك دوق السوابي ليلة واحدة في مدينة صور بمفرده، بعد أن أرسل بقية الجند الألمان إلى مدينة عكا، وتوجه هو الى مدينة عكا في 6 رمضان 586هـ/7 أكتوبر 1190م وكان ما وصل من الجيش الألماني لم يتعد ألف رجل، وقد فكروا في القيام بشن هجوم على مدينة عكا، في نفس الوقت الذي غادرت سفن ألمانية عكا إلى ألمانيا(425) .

(*) وتذكر بعض المصادر العربية أن بوهيمند الثالث أمير أنطاكية قد طمع في أموال فريدريك السوابي، لذلك سارع لإحضاره، ورحب به ترحيباً حاراً انظر الى حمزة، المرجع السابق، (هامش 206)، صــ146.

(422) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ49.

(423) حمزة، المرجع السابق، صــ169؛ أبو سعيد، المرجع السابق، صــ146.

(424) غانم، المرجع السابق، صــ66؛ حمزة، المرجع السابق، صــ170.

(425) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ65؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ389؛ حمزة، المرجع السابق، صــ170.

وعلى أية حال فقد مكث فريدريك دوق السوابي أياماً في مدينة عكا، ووجه اللوم للصليبيين الموجودين في الحصار، لعدم قدرتهم على النصر، إن واجهوا المسلمين، مما ألهب حماس الجنود ورفع روحهم المعنوية، وأصبح لا بديل عن القتال[426] . وبعد المناوشات بين الفريقين، وخاصة عندما خرج الدوق فريدريك إلى المسلمين في تل العياضة وحدث قتال مع المسلمين، مما دفع الألمان إلى التقهقر، لكن الدوق فريدريك كرر الهجوم على المسلمين في مدينة عكا[427] .

أن الهزائم التي منى بها الالمان على يد المسلمين في مدينة عكا أبعدتهم عن تكرار الهجوم مرة ثانية ، وانكمشوا في حصار المدينة، ولم تأت لهم أي معونة، وحلت بهم الأمراض والأوبئة، فمات الدوق فريدريك السوابي في 22 ذي الحجة 586هـ/20 يناير 1191م، ودفن في قلعة التيوتون، وكان لموت الدوق فريدريك السوابي وهزائمه اثرها السلبي على الالمان ، إذ لم تقم لهم قائمة بعد ذلك في هذه المنطقة، وبدأ الوهن يدب في قلوب الصليبيين والألمان معاً[428] .

وبعد وفاة الدوق فريدريك السوابي انضم من كان معه من الجند الى المركيز كونراد دي مونتفرات، واستطاعوا حينئذ أن يساهموا بالقليل في فتح مدينة عكا[429] .

في عام 586 هـ / 13 فبراير 1191 م حاول السلطان صلاح الدين عن طريق أسطوله تنظيم حامية مدينة عكا بسبب ما أصابهما من ملل وضجر إلا أن محاولته هذه جاءت في ظروف صعبة ولم تتم على الوجه الأكمل إذ أن الستين أميراً الذين انسحبوا من مدينة عكا لم يحل محلهم سوى عشرين فقط [430] . وهذا ما عده

---

[426] غانم، المرجع السابق، صـ67.

[427] ابن شداد، المصدر السابق، صـ140.

[428] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ68؛ أبو سعيد، المرجع السابق، صـ146؛ حمزة، المرجع السابق، صـ177.

[429] أبو سعيد، المرجع السابق، صـ146.

[430] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ210؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ345؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ68.

المؤرخون وإذانا بسقوط المدينة حيث ضعف المحاصرون فى مواجهة الصليبيين فضلاً عن قلة الإمدادات إليهم بسبب غرق السفن نتيجة لما تعرضت إلية من عواصف [431] .

وربما كان في استطاعة الصليبيين أن يستولوا على مدينة عكا في تلك الفترة، لولا خلافاتهم الشخصية حول عرش مملكة بيت المقدس، بعد وفاة الملكة سيبيلا زوجة الملك جاي لوزجنان أمام مدينة عكا في أكتوبر 1190م، وتتويج أختها إيزابيلا الابنة الثانية لعموري الأول ملك بيت المقدس الأسبق, ولذلك أسرع الأمراء في تطليق الأميرة إيزابيلا من زوجها الخامل همفري[*] أمير تنبين، تزويجها من كونراد دي مونتفرات في 24 نوفمبر 1190م؛ ولا شك أن هذا الإجراء لم يرض عنه جاي وجماعته، مما أحدث انشقاقاً خطيراً بين صفوف الصليبيين أمام مدينة عكا مما كان له آثره السلبي على نتائج الحملة كما سنرى فيما بعد [432] .

3) دور الفرنسيين في الاستيلاء على مدينة عكا :

أقلع الملك الفرنسي فيليب أوغسطس على رأس قواته من مدينة ميسينا الصقلية إلى مدينة صور في 3 مارس 1190م، ولم يصادف الأسطول الفرنسي عقبات أثناء رحلته إلى صور؛ حيث لقي الملك فيليب أوغسطس ورفاقه استقبالاً حافلاً من أهالي صور، وابن عمه المركيز كونراد دي مونتفرات حاكم مدينة صور [433] .

---

[431] ابن شداد، المصدر السابق، صــ153؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ390.

[*] همفري أمير تنبين: شاباً فاتناً وشجاعاً مثقفاً، لكنه كان وسيماً بصورة أنثوية، بحيث لم يكن الجنود من حوله يحترمونه، فقرروا أنه لابد وأن يطلق إيزابيلا، وكان من اليسير إغواء همفري نفسه بالموافقة على الطلاق, انظر الى رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ66.

[432] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صــ66–67؛ عاشور , حركة صليبية , ج2 , ص672 ؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ389.

[433] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج1، ص صــ225–226؛ زكار، (الموسوعة الشامية)، ج32، ص صــ101–102؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صــ678–679.

سار الملك فيليب أوغسطس مع المركيز كونراد دي مونتفرات إلى مدينة عكا في 20 أبريل 1190م، التي كانت لاتزال تحت الحصار، ومن أشهر من كان معه من الفرسان هم هيو الثالث كونت برجنديا وفيليب الإلزاسي كونت فلاندرز ووليم كونت بواتييه وغيرهم [434] .

ويعلق المؤرخ امبرواز على ذلك بقوله: "أنه لم يكن هناك من رجل له سطوة وجاه وله مكانة عالية ويتمتع بالشهرة في فرنسا إلا وجاء في لحظته أو بعد حين للاستيلاء على مدينة عكا"[435] .

كان من بمدينة عكا من الصليبيين يترقبون وصول الملك فيليب أوغسطس في لهفة؛ لذلك استقبلوه استقبالاً حافلاً، تجلت فيه معظم مظاهر التعظيم التي تليق برجل جليل القدر كملك فرنسا، الذي بث قدومه الشجاعة في نفوس الصليبيين، وشد من عزائمهم، وكان معه أسطول ضخم فيه الميرة والمؤن، وأثار وصوله إلى مدينة عكا نشاط الصليبيين فيها، وألحوا في قتالها، ومن الواضح أن وصول الملك فيليب أوغسطس وهب الجيش الصليبي قائداً عاماً قديراً، فعلى الرغم من أنه لم يجلب جيشاً ضخماً، فإن قدومه أثار عند الصليبيين الحماس والصمود، ما جعلهم يواصلون ضغطهم على مدينة عكا، بفضل ما أحضره من آلات عسكرية ضخمة[436].

ولقد قوبل ابتهاج الصليبيون وفرحهم بوصول الملك فيليب أوغسطس، ولكن على العكس إذا عمل المسلمون حساباً لتلك القوة الخطيرة، لاسيما وأن ملك فرنسا، كما وصفه المؤرخون المسلمون "كان عظيما عندهم من ينقادون له بحيث إذا حضر حكم على الجميع، ومازالوا يتواعدون به حتى قدم"[437] .

---

[434] المؤرخ مجهول، ج2، صــ13؛ زكار، المرجع السابق، ج32، ص صــ291-292؛ حبشي، المرجع السابق، صــ192.

[435] زكار، المرجع السابق، ج32، صــ292.

[436] بطران، المرجع السابق، صــ193.

[437] ابن شداد، المصدر السابق، ص صــ156-157؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ679.

ما كاد الملك فيليب أوغسطس يصل إلى مدينة عكا، حتى بدأ في وضع الخطط اللازمة لمحاصرة المدينة والاستيلاء عليها، فقام بتقسيم القوات الفرنسية، ومن كان معهم من الصليبيين المحاصرين للمدينة، إلى قسمين، قسم هاجم المدينة من ناحية البحر والبر، وآخر لصد القوات الإسلامية المتمركزة داخل المدينة وخارجها، كما قام بتنظيم قواته إلى فرق عسكرية، كل فرقة منها تضم الفرسان والمشاة، وتبعهم رماة السهام، حتى يكونوا على استعداد لتشكيل جدار متين، فضلاً عن قوافل الامتعة و الامدادات العسكرية و الابراج التي تم اعدادها من اجل محاولة هدم اسوار المدينة حتى يكونوا على استعداد , إذا ما حاولت قوات صلاح الدين التصدي لهم [438] .

قرر الصليبيون تشديد الحصار على عكا ، و في التضييق عليها، فنصبوا سبعة مجانيق، ظلت تقذف أسوارها، بينما منع رماتهم رجال الحامية من أن يتخذوا أماكنهم على الأسوار، فحينئذ عظمت المصيبة على من بمدينة عكا من المسلمين، فأرسلوا إلى السلطان صلاح الدين موضحين حالهم، دون جدوى[439].

واصطنع الفرنسيون آلات حربية بالغة النفع، أظهرت التفوق التقني للمهندسين الفرنسيين، منها دبابة مؤلفة من أربع طبقات، وأقاموا المنجنيقات تمطر الأسوار بقذائفها، وكان لكل من هيو الثالث دوق برجنديا وفيليب الإلزاسي منجنيق خاص ، ولطائفتي الأسبتارية والداوية منجنيق خاص، كما أعد الملك فيليب أوغسطس سلماً لتسلق الأسوار[440] . ويعلق المؤرخ امبرواز على ذلك بقوله: "إن ملك فرنسا يعمل لإعداد آلات حرب كل يوم ليأخذ بها المدينة"[441] .

على أن حامية مدينة عكا استبسلت في مقاومتها، فأشعلت النيران في المنجنيقات بضربها بالنفط ليلاً ونهاراً والتمست حامية مدينة عكا من السلطان

---

[438] بطران، المرجع السابق،صـــ193.

[439] حبشي، المرجع السابق، صـــ193؛ فيتري، (جاك دى)، تاريخ بيت المقدس , ترجمة سعيد البيشاوى, عمان, دار الشروق, 1998 , صـــ164.

[440] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ص صـــ20–22.

[441] زكار، المرجع السابق، ج32، صـــ115.

صلاح الدين شغل الملك فيليب أغسطس عنهم؛ غير أن أحوالهم ازدادت شدة وحرجاً، ولما اشتدت مضايقة مدينة عكا، استبعد السلطان صلاح الدين المنزلة التي يقيم بها، وهي شفرعم[*] ، فنقل معسكره إلى تل العياضية لمواجهة الصليبيين، وقام باستدعاء العساكر من مختلف البلدان الإسلامية، فجاءته عساكر الموصل والجزيرة الفراتية والشام فضلاً عن العساكر المصرية، فتمكنت من شغل الملك فيليب أوغسطس وقواته وتجاوزت خنادقهم في بعض الأحيان، واستطاعت خلالها الحصول على كثير من الغنائم الأموال من معسكراتهم القريبة[442].

وعندئذ شرع النقابون الفرنسيون في عمل أنفاق تحت السور، وأشعلوا النار فيها، فأتت على السور، فانهار، وحينذاك وصل إلى المدينة مجموعة من الفرنسيين حاولوا دخول البلد من هذه الثغرة، إلا أن المسلمين حالوا بينهم وبين دخول البلد، وردوهم على أعقابهم، وهلك في هذا القتال مجموعة كبيرة من الفرسان الفرنسيين، فحزن الملك فيليب أوغسطس وقواته على فقدانهم[443] . ومع ذلك اشتد ضرب الآلات الفرنسية للأسوار بالحجارة ليلاً ونهاراً، حتى أثرت في الأسوار، وكلما ازدادوا في قتال عكا، ازداد السلطان صلاح الدين في قتالهم وكبس خنادقهم، والهجوم عليهم، وتحمل سكان المدينة وحاميتها وطأة القتال، الذي لم يكفوا عنه ليلاً ولا نهاراً، واستبد بهم التعب[444] .

وسرعان ما أعلن الملك فيليب أوغسطس تأجيل القيام بمحاولة الاقتحام الأخيرة، ومهاجمة الأسوار، على الرغم من أنه كانت باستطاعته الاستيلاء على

---

[*] **شفرعم: تقع شفرعم جنوبي شرقي عكا على مسافة 23 كيلومتراً انظر الى بطران، المرجع السابق، صـ195، حاشية رقم 1.**

[442] **ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ213؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ159-160؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ350.**

[443] **فيتري، المصدر السابق، صـ164؛ حبشي، المرجع السابق، ـ194.**

[444] **الأصفهاني، المصدر السابق، صـ259؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ159-160.**

المدينة من خلال هجومه المتواصل عليها، وضعف الحامية الإسلامية، بسبب طول فترى القتال، ونقص المواد الغذائية لديها[445] .

أما عن الأسباب التي دفعت الملك فيليب أوغسطس على اتخاذ هذا القرار، فيذكر مؤلف كتاب ذيل وليم الصورى أنه كان في قدرة الملك فيليب أوغسطس ملك فرنسا الاستيلاء يسر وسهولة على مدينة عكا، لو أنه بادر إلى ذلك؛ ولكنه ظل يترقب وصول الملك ريتشارد (قلب الأسد) ؛ لأنهما سافرا معاً، وكان بينهما اتفاقية حين خروجهما إلى الشرق تنص على أن يكونا شريكين في جميع الغزوات التي يتحتم عليهما القيام بها، هذا إلى جانب أن الملك فيليب أوغسطس كان يريد أن يشاركه الملك ريتشارد (قلب الأسد) ، فرحة الاستيلاء على المدينة[446] . وقد يكون السبب قلة ما حضر مع الملك فيليب أوغسطس من قوات، محاربته في جبهتين: أحداهما داخلية تتمثل في حامية مدينة عكا،و الأخرى خارجية تتمثل في المعسكر الصلاحي[447] .

ويتفق الباحث مع المؤرخ ابن شداد الذي يعلل سبب توقف الملك فيليب أوغسطس عن مهاجمة مدينة عكا حتى قدوم الملك ريتشارد (قلب الأسد) يعود إلى أنه "ذو رأي في الحرب مجرب" . ولربما كان الملك فيليب اغسطس لا يرغب في حرب شاملة على المدينة لوحده خوفاً من خسائر كبيرة بشرية ومادية [448].

4) وصول الملك ريتشارد (قلب الأسد) إلى معسكر الصليبيين أمام مدينة عكا:

وفي مساء يوم 6 يونيه1191م نزل الملك ريتشارد إلى البر قرب مدينة صور، بعد أن تمكن من الاستيلاء على جزيرة قبرص، فرفضت حامية صور، بناء على أوامر الملك فيليب أوغسطس والمركيز كونراد دي مونتفرات السماح له بالدخول إلى المدينة، فواصل سفره بحراً إلى مدينة عكا ماراً بمدن جبيل وبيروت، فوصلها 8

---

[445] **حبشي، المرجع السابق، صــ194.**

[446] **المرجع نفسه، صــ194.**

[447] **زكار، المرجع السابق، ج32، صــ144.**

[448] **ابن شداد، المصدر السابق، صــ161.**

يونيو 1191م، وبذا التحمت جيوش الصليبيين الشرقيين والغربيين حول مدينة عكا[449] .

لقد ترتب على وصول الملك ريتشارد الى مدينة عكا آثار اجابي عظيم لدى الجيوش الصليبية، التي امتلأت فرحاً بقدومه، ومن ثم واصل الملكان خطط الحصار توصلا الى توحيد جيشهما فصار جيشا واحداً متناسيين أحقادهما وهكذا استمر الملك فيليب برمي قذائفه على سكان مدينة عكا مقلقاً مضاجعهم [450] .

لقد حدث ما لم يكن في الحسبان اذ وقع الملك ريتشارد فريسة بحمى شديدة [*] ، وأثناء مرض الملك ريتشارد[**] إلا ان هذا الحدث لم يوقف الملك فيليب عن مهاجمة مدينة عكا , فامر جيشه باقيام بالهجوم , واتخذ جملة من الاجراءات في يوم الاثنين 1 يولية 1191 م منها :-

1- نصب ألآت الحصار بشكل منظم , واحاطة القوات بالاستحكامات فضلاً عن الاسوار التي تحمي الخنادق الخارجية .
2-تقسيم قواته الى قسمين , أوعز الى احدهما بالدفاع عن الخنادق الخارجية مخافة الهجوم المباغت من قبل السلطان صلاح الدين , اما القسم الاخر كان وجبهم التقرب من سور المدينة .

---

[449] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ11-12؛رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ86.

[450] المصدر نفسه، ج2، ص صـ11-12؛ حبشي، المرجع السابق، صـ204.

[*] يعرف المرض الذي أصاب ريتشارد (قلب الأسد) باسم ليونارداي Leonardie أو أنورلديا Arnoldi، وهو مرض يؤدي إلى سقوط الشعر، وأضافر الأيدي، كما يصيب الفم والشفتين بالتهاب، وقد يؤدي إلى الحمى انظر الى زكار، المرجع السابق، ج32، صـ295.

[**] تذكر المصادر الإسلامية أن الملك ريتشارد أثناء مرضه هذا قام بمراسلة صلاح الدين وطلب منه اللقاء، ولم يتردد صلاح الدين في إرسال الفاكهة والثلج إليه, انظر الى ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ355.

3–شن حملات عنيفة عليها التي استعمل فيها المجانيق و النشاب دون توقف حتى اذا احدثت ثغرة صغيرة اندفع الجيش الصليبي (من الفرنسيين) لينفذوا منها [451].

عندئذ أبلغت حامية عكا . عن طريق الإشارات . السلطان صلاح الدين، فبادر إلى التقدم لردم الخنادق، حتى يكون عبوره أيسر، وهجومه على الفرنسيين أسهل، وبذلك يبتعد الجيش الصليبي عن الأسوار، ودارت عدة معارك، وكان القتال فيها عنيفاً، والمصادمات على أشدها، وكانت نتائجها سلبية على الصليبيين اذ ان الذين كانوا يهاجمون المدينة، ويبذلون أقصى جهدهم لردم الخنادق الموجودة خارج أسوار البلد، اضطروا للارتداد والتخلي عما هم فيه من الهجوم؛ لأنهم كانوا في أمس الحاجة إلى قوات لضرب البلد، وأخرى لحماية أنفسهم، واتقاء ضربة تأتيهم من معسكر السلطان صلاح الدين[452] .

حيث لقى الكثير من الفرنسيين مصرعهم من جراء ضربات قذائف النار و النبال التي راحت تنصب عليهم [453] .

وهكذا استمرت حامية مدينة عكا في الاستبسال والمقاومة، وراحوا يشددون في قذف آلات الحصار، والتي احكم صنعها فتحطمت واحدة اثر الاخرى ، مما ادى الى ذهول الملك فيليب أوغسطس واستولى الحزن و الهم والضعف عليه حتى لم يعد قادراً على امتطاء فرسه [454] . وتعزز المصادر الاسلامية ما كانت عليه حالة الملك فيليب وتشير الى انه كان قد جرح اثناء مهاجمته للمدينة مما كان له الاثر في تعطيل الهجوم الصليبي الفرنسي بشكل تام على مدينة عكا [455] .

---

[451] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـــ15–16؛ زكـار، المرجـع السـابق، ج32، ص صـــ296–297.

[452] ابن شداد، المصدر السابق، ص صـــ162–163؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـــ680.

[453] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـــ16–17.

[454] المصدر السابق، ج2، صـــ17؛ زكار، المرجع السابق، ص32، ص صـــ299–300.

[455] ابن شداد، المصدر السابق، صـــ164؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـــ352.

يبدوا ان تعطيل الهجوم على مدينة عكا جعل من المعسكر الصليبي فريسة للخلافات فيما بينهم وظهر هذا النزاع حول لقب ملك مملكة بيت المقدس من ناحية، والامتيازات والممتلكات التي سوف يفوز بها كل طرف، إذا ما تم الاستيلاء على المدينة من ناحية ثانية[456] . ورغم أن الخلاف حول هذا اللقب كان وهميا، إذ أن مملكة بيت المقدس لم يكن لها وجود بالفعل، وأصبح لقباً رمزياً يحمله ملوك الصليبيين، وهم بعيدون عن مدينة بيت المقدس, فقد خاض الملك فيليب أوغسطس وريتشارد هذا الصراع بكل حماسة الفرسان، فأيد فيليب أوغسطس كونرادي دي مونتفرات لقرابته، وانضم إليه الداوية والجنوية، بينما بادر ريتشارد إلى مساندة جاي وهنري الثاني كونت شمبانيا، وانحاز الأسبتارية والبيازنة إليه[457] .

وبدأت الأمور تزداد سوءاً في المعسكر الصليبي؛ وعندما أراد الملك فيليب أوغسطس مهاجمة مدينة عكا في نهاية يونيه 1191م رفض الملك ريتشارد السماح لرجاله وأسطوله المساهمة في هذا الهجوم، ولعل السر في ذلك يعود إلى أن ريتشارد لم يستكمل استرداد عافيته، حتى يستطيع أن يشترك بنفسه في الهجوم، ولأن بعض قواته لا تزال غائبة لم تستطع الوصول إلى مدينة صور بسبب سوء الاحوال الجوية ، وإن كان لايزال يأمل في وصول الأسطول قريباً جداً، جالباً معه المعدات اللازمة لبناء آلات الحصار، وخشي تبعاً لذلك أن يفقد ما يجلبه النصر من غنائم وزاد من تعقيد الأمور، ان هجوم الملك فيليب أوغسطس لم يصادف نجاحاً، وما لاقاه الفرنسيون من عناء ومشقة في رد هجوم السلطان صلاح الدين[458] .

ووصلت العلاقات بين الملك فيليب أوغسطس والملك ريتشارد إلى حالة الاحتقان عندما توفي فيليب الإلزاسي كونت فلاندر، ومع أن لملك فرنسا بعض الحق في الإرث، فإن ريتشارد لم يشأ أن يقع في يدي منافسه إقليم فلاندر لما اشتهر به من الغنى، فضلاً عن موقعه الاستراتيجي، ولما سوامه الملك فيليب أوغسطس اقتسام

---

(456) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ87؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ392.

(457) رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ88.

(458) المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صــ15؛ زكار، المرجع السابق، ج32، ص صــ295-296.

جزيرة قبرص وفقاً للشروط التي تم الاتفاق عليها في مدينة ميسينا، رد الملك ريتشارد بأن طلب منه اقتسام إقليم فلاندر[459] .

ومما زاد في صعوبة موقف الملك فيليب الاجراءات المالية التي اتخذها الملك ريتشارد باتجاه فرسان الجيشه , ففى الوقت الذي كان فيه الفارس يحصل من الملك فيليب على ثلاثة دنانير , زاد الملك ريتشارد في زيادة عطائه للفارس أربعة دنانير كل شهر , بهدف اذلال واضعاف دور الملك فيليب في الاستيلاء على عكا[460].

وكان لهذه الاحداث انعكاساتها على الاوضاع فى مدينة عكا ،مما مهد لسقوطها في ايدي الصليبيين بعد ان بدء كل من الملكين يعمل على تحقيق مجد لذاته من خلال اعتماد كل منهما على حلفائة فاعتمد الملك فيليب أوغسطس على حلفائه الجنوبيين بإلحاق ضربات فردية على المدينة لتحقيق نصر شخصي، على الجانب الآخر قام الملك ريتشارد هو الآخر معتمداً على حلفائه من البيازنة بإلحاق ضربات أخرى بالمدينة التي كانت تتلقى هذه الضربات وبداخلها المحاصرون الذين ضعفت قوتهم من كثرة الضربات في نفس الوقت يئست حامية عكا من الحفاظ على أرواحهما ومن وصول أية نجدة إليهم من جانب السلطان صلاح الدين[461] .

ترتب على هذه الاوضاع ان راسل اهالي مدينة عكا الملك فيليب اغسطس لكي يكف عن الهجوم وان يعطيهم الامان حتى يأتونا اليه للتفاوض ، فتوقف عن هجماته وأعطاهم الامان، ونزل لنصيحة اصحابه الذين تشاور معهم في هذا الامر ، وأعطى أهل البلد الأمان الذي ينشدونه[462] .

---

[459] المؤرخ مجهول, المصدر السابق، ج2، صــ18؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ88؛ حبشــي، المرجع السابق، صــ212.

[460] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صــ14؛ زكار، المرجع السابق، ج32، صــ294.

[461] ابن شداد، المصدر السابق، ص صــ166–168؛ حسن، المرجع السابق، صــ295.

[462]المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صــ32–33؛ ابن شداد، المصدر السابق، صــ168؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صــ357.

فتم انتخاب الأمير سيف الدين بن المشطوب للقيام بهذه المهمة؛ لما يتمتع به من مكانه باعتباره أمير المسلمين بمدينة عكا [463] . ويبدو أن اختيار حامية عكا لمراسلة الملك فيليب أوغسطس . حسب ما يذكر ابن شداد . أنه "كان مقدم الجماعة في المرتبة"[464] ، أو ربما يعود ذلك إلى ما كان يتمتع به فيليب أوغسطس من مكانة ممتازة لدى الصليبيين، باعتباره السيد الأعلى لمعظم الأسرات التي انحدر منها معظم الصليبيين في الشرق، كما أن الصليبيين الذين ترددوا على بلاد الشام كان أغلبهم أتباعاً له بشكل مباشر أو غير مباشر[465] .

خرج الامير سيف الدين بن المشطوب إلى الملك فيليب أوغسطس بأمان، وقال له: "إنا قد أخذنا منكم بلاداً عدة، وكنا نهدم البلد، وندخل فيه، ومع هذا إذا سألونا الأمان أعطيناهم، وحملناهم إلى مأمنهم، وأكرمناهم، ونحن نسلم البلد وتعطينا الأمان على أنفسنا"[466] .

إلا ان هذه المفاوضات لم تصل الى نتيجة اجابية وتشير المصادر الاسلامية الى ان الاسباب التي ادت الى تعثر هذه المفاوضات تعود الى ان الملك فيليب رفض الاستيجابة لطلب المسلمين لان المدينة على – حد رأيه – اصبحت هي وكل ما فيها في قبضته، وأن استسلامهم له لا يعني سوى أنه قد أظلهم برحمته، وفي ذلك حفظ لأرواحهم، ثم اختتم فيليب حديثه بقوله: "هؤلاء الملوك الذين أخذتموهم منا، وأنتم أيضاً، مماليكي وعبيدي، فأرى فيكم رأي"، وعندما فطن سيف الدين بن المشطوب لما في هذه الإجابة من غرور وغطرسة، وبعد عن المروءة، أغلظ له في

---

(463) **ليلى عبد الجواد إسماعيل، أضواء على الأكراد الهكارية في عصر صلاح الدين الأيوبي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد 61، فبراير، 1994، صـ149-194، صـ175.**

(464) **ابن شداد، المصدر السابق، صـ168.**

(465) **Grousset, op. cit, T. 3, p. 54.**

(466) **الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ377-378؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ168؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ214.**

القول، وأشار إلى "إنا لا نسلم حتى نقتل بأجمعنا ولا يقتل منا واحد، حتى يقتل خمسين من كباركم"[467] .

لقد كانت السفارة التي حضرت لمقابلة الملك فيليب أغسطس وافق على ما جاء فيها من الاقتراحات , وعندما عرضت على الملك ريتشارد أصر على رفضها , متهماً الملك فيليب بالاتفاق السري مع المسلمين , ويبدو أن الملك ريتشارد كان يرفض دخول المدينة خاوية مهجورة بعد حصار طويل [468] .

وبينما كان الأمير سيف الدين المشطوب يتفاوض مع الملك فيليب أوغسطس إذ بالملك ريتشارد يهاجم المدينة، وكان يهدف من وراء ذلك الهجوم، أن يظهر غضبه من أن الملك فيليب لم يستشره فيما يفعل، فلما رأى الامير سيف الدين بن المشطوب ما يجري من الهجوم على مدينة عكا، غضب اشد الغضب ، وقال للملك فيليب أوغسطس "لقد جئناك يا مولانا معتمدين على عهد أمانك الذي زودتنا به، ونحن مطمئنون إليه متمسكون به لنا ولأهالينا من هم في المدينة حتى نعود إليها؛ ولكن ها أنت ذا ترى ملك إنجلترا يؤذي أهل البلد، إيذاءً بليغاً، والآن فإنا نسألك أن تأذن لنا بالرحيل مادمت لا تملك من السلطة ما يمنع هذا الهجوم"[469] .

فما كان من الملك فيليب ألا أن أذن بحراسة المسلمين في رجوعهم حتى يبلغوا مأمنهم سالمين،و خولهم الحق في الدفاع عن أنفسهم، وبلغ غضبه من ملك إنجلترا أن أمر رجاله أن يحملوا سلاحهم وأن يستعدوا لمهاجمة ريتشارد الذي كان قد تسلح هو الآخر، ألا أن الحريصين على وحدة الصف الصليبي، استطاعوا أن يخمدوا غضب الملك فيليب، واستمر الملك ريتشارد في مهاجمة المدينة، ورجع

---

(467) الأصفهاني، المصدر السابق، صـ378؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ168؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ357؛

Grousset, op. cit, T. 3, p. 54.

(468) حبشي، المرجع السابق، صـ206.

(469) المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ32-33؛ حبشي، المرجع السابق، صـ207.

الأمير سيف الدين بن المشطوب ومرافقوه إلى المدينة وتولوا الدفاع عن أنفسهم ضد الملك ريتشارد دفاعاً بطولياً، أضر بسمعته بعد أن خسر فيه الكثير من رجاله(470) .

وان عودة الوفاق بين الملكين أدى إلى مهاجمة المدينة وقامت على الفور القوات الصليبية بالهجوم الكاسح على حاميتها , مما دفع الاميران سيف الدين مشطوب وبهاء الدين قراقوش للخروج معاً لملاقاة الملكين من اجل الحصول على الامان وابقاء على حياة المدافعين في 17 جمادى 587 هـ / 12 يوليو 1191 م مقابل شروط عديدة هي :-

1-تسليم مدينة عكا بكل ما فيها من العدة .
2-دفع مبلغ وقدرة مائتان قطعة من الذهب .
3-أعطاء أربعمائة قطعة من الذهب إلى مركيز كونراد دي مرنتفرات .
4-أطلاق سراح ألف وخمسمائة أسير مسيحي فضلاً عن مئة أسير من ذوي الرتبة.
5-رد الصليب الصلبوت(471) .

وهكذا كانت النتيجة الوحيدة للتعاون المشوب بالخلافات بين الجيوش الصليبية هو سقوط مدينة عكا و الذي كان بداية النهاية للحملة الصليبية الثالثة حيث بدأت الخلافات بين قادة الحملة , مما سيترتب عليها تأثير كبير على مستقبل الحملة(472).

ترتب على تنفيذ شروط سقوط مدينة عكا أن خرج المسلمون من المدينة، تحرك إلى داخلها الصليبيون، ودخل كونراد دي مونتفرات، ونصب أربعة أعلام لملوك أوروبا، أولها على القلعة، وثانيها على مئذنة الجامع، وثالثها على برج

---

(470) المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ31-32؛ حبشي، المرجع السابق، ص صـ207-208.

(471) المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ35-37؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ372-373؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ170-171.

(472) حسن، المرجع السابق، صـ296.

الداوية، ورابعها على برج القتال[473] . واستقر الملك فيليب أوغسطس في قلعة المدينة، بينما استقر الملك ريتشارد في القصر الملكي، وقسمت الغنيمة بين الملكين وأتباعهما دون الآخرين، الذين كانوا يرابطون أمام مدينة عكا منذ سنتين، مما يؤكد قوة الدوافع المادية والاقتصادية التي جعلتهم يشاركون في الحملة[474] . وقدروا عدد الأسرى وأجروا القرعة، فكان من نصيب الملك فيليب أوغسطس الأمير بهاء الدين قراقوش، وكثيرون غيره، أما الامير سيف الدين بن المشطوب وبقية الأسرى فكانوا من نصيب الملك ريتشارد[475] . أما الفرسان فقد نزلوا في بيوت أثرياء المدينة وأغنيائها، الذين كانوا يتوقعون العودة إليها، والإقامة بها بعد الاستيلاء عليها؛ ولكن لم يمكنوهم منها، بحجة أنهم ملكوها قهراً؛ عندئذ لم يجد هؤلاء الأعيان والتجار بداً من الذهاب إلى الملك فيليب أوغسطس لعرض المسألة عليه[476] .

ويبدو أن السبب الذي جعل التجار والأعيان من الصليبيين المحليين يستغيثون بالملك فيليب أوغسطس يعود إلى أنهم كانوا جميعاً من أنصار كونراد دي مونتفرات الذي يلقى التأييد والدعم من الملك فيليب أوغسطس، وهو ما يوضح إصرار الملك فيليب على احترام مطالبهم[477] .

حينذاك أرسل الملك فيليب أوغسطس إلى الملك ريتشارد وإلى غيره من البارونات يدعوهم إلى الحضور للتشاور في طريقة حكم المدينة؛ ثم عرض وجهة نظره في المسألة، فقال: "والرأي عندي أنه مادام الله قد مكننا من فتح هذا البلد فليس من الحق حرمان أهل البلد من أملاكهم، وسلبها من أيديهم، هذا رأيي وأرجو أن توافقوني عليه ..."[478] .

---

[473] **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ360.**

[474] **المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـ39؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صـ89-90.**

[475]**، المصدر السابق،ج2, صـ39.**

[476] **حبشي، المرجع السابق، صـ209.**

[477] **Grousset, op. cit, T. 3, p. 55.**

[478] **حبشي ، المرجع السابق، صـ210.**

وافق الملك ريتشارد والبارونات على رأي الملك فيليب أوغسطس، واتفقوا على رد الممتلكات إلى أصحابها، وإرجاع كل دار إلى صاحبها إن ظهر أنه مالكها بناء على ما يقدمه من الإثباتات التي تؤكد أنه صاحبها مقابل أن يترك أصحاب هذه الدور، الفرسان والبارونات النازلين بها طوال مدة مكثهم في البلد[479] .

ولم تلبث مشكلة النزاع على تاج مملكة بيت المقدس الأسمى بين الملك جاي لوزجنان والمركيز كونراد دي مونتفرات، أن ظهرت من جديد، إذ قدم إلى عكا كونرادي دي مونتفرات الذي اتخذ لنفسه منذ مايو 1191م لقب ملك بيت المقدس، وذلك للدفاع عن حقه أمام الملك ريتشارد، وكان الملك فيليب يرى أن حامل هذا اللقب كونراد دي مونتفرات، نظراً لأن كونراد كان زوجاً لوريثة مملكة بيت المقدس، ولما اشتهر به من نشاط وقدرة عسكرية وإدارية ولمساندة معظم بارونات المملكة له، لقد كان الملك فيليب أوغسطس يؤيد كونراد كل التأييد، ويقف إلى جانبه وقوفاً أفضى إلى عزمه على منحه كل نصيبه في مدينة عكا، وإلى تمكينه من جميع ما يحصل عليه هو نفسه مستقبلاً،و في رأى الملك ريتشارد أن الملك جاي لوزجنان أحق به من كونراد دي مونتفرات[480] .

فتم الاتفاق على عقد مجلس لمناقشة هذا الأمر، وأقسم كل من كونراد وجاي اليمين بقبولهما لقرارات المجلس الذي يعقد لمناقشة هذا الأمر في يومي 27 و28 يوليه 1191م، وبعد المناقشة تم التوصل إلى حل وسط، يرضي جميع الأطراف، فتقرر أن يبقى جاي لوزجنان ملكاً طوال حياته، ثم ينتقل الملك بعد وفاته إلى كونراد دي مونتفرات وإيزابيلا وسلالتهما، وفي أثناء حكم جاي لوزجنان يصير كونراد دي مونتفرات سيداً على مدن صور وبيروت وصيدا، مع ملاحظة أن المدينتين الأخيرتين كانتا بيد المسلمين، ويقتسم مع الملك جاي لوزجنان موارد المملكة، أما إذا مات كل

---

(479) المرجع نفسه ، صـــ210.

(480) االمؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـــ41؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج32، صـــ319.

من جاي لوزجنان وكونراد وزوجته، وكان الملك ريتشارد في الشرق، فله الحق في أن يقرر مصير المملكة حسبما يراه[481] .

5) عودة الملك فيليب أوغسطس إلى فرنسا، وأثر ذلك على مصير الحملة الصليبية:

بدأ الملك فيليب أوغسطس يعد العدة للعودة إلى فرنسا، وحين علم الفرنسيون بعزم الملك فيليب أوغسطس الأكيد على العودة ، أعلنوا سخطهم وشجبهم واستياءهم من هذا القرار؛ إلا أنه طمأنهم بأنه سوف يترك الشطر الأكبر من الجيش تحت قيادة هيو الثالث دوق برجنديا[482] .

اعتبر الإنجليز إقدام الملك فيليب أوغسطس على الرحيل خيانة، لاسيما بعد أن فشل الملك ريتشارد في إقناعه على إصدار تصريح مشترك بأن يبقى الملكان في الشرق ثلاث سنوات، وكل ما استطاع الملك فيليب أوغسطس أن يعد به هو أنه سوف لا يهاجم أملاك الملك ريتشارد في فرنسا، وأقسم الملك فيليب للملك ريتشارد اليمين التي أرادها الأخير، كما تعهد أن يراعى كل ما تم الاتفاق عليه مراعاة صادقة، وأعطى الرهائن المسلمين تأكيداً على محافظته على صدق كلمته[483] . وتنازل الملك فيليب أوغسطس عن ، وما حصل عليه من غنائم وأسلحة في مدينة عكا إلى المركيز كونراد دي مونتفرات، الذي سرعان ما تنازل هو الأخير عنها إلى هيو الثالث دوق برجنديا، عندما عزم على الرحيل إلى مدينة صور بصحبة الملك فيليب أوغسطس[484] .

---

[481] المؤرخ مجهول ,المصدر نفسه، ج2، ص صــ41-42؛ زكار, المرجع السابق، ج32، ص صــ319-320.

[482] حبشي، المرجع السابق، صــ215.

[483]المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـــ44-45؛ زكار، المرجع السابق، ج32، ص صــ333-334.

[484] المصدر السابق، ج2، صــ45-46.

غادر الملك فيليب أوغسطس مدينة عكا في 31 يوليه 1191م قاصداً مدينة صور، وفي صحبته المركيز كونراد دي مونتفرات، الذي أعلن ان صحبته ملك فيليب مجرد زيارة لمدينة صور، الا انه في الواقع يرفض ان يخدم في جيش يخضع لقيادة الملك ريتشارد، بعد أن علم أن مخططاته للحصول على تاج مملكة بيت المقدس، لم تلق استحساناً من الملك ريتشارد، فبدأ يرعى مصالحه في مدينة صور، ويفاوض السلطان صلاح الدين منفرداً[485] . استصحب الملك فيليب معه الأمير بهاء الدين قراقوش، وجميع الرهائن المسلمين الذين كانوا من نصيبه، وأصر على أن يتسلم مبلغاً قدره مائة ألف دينار، فدية لهم لسد نفقات الفرنسيين أثناء إقامتهم في الشرق[486] .

وفي مدينة صور استقبل الملك فيليب أوغسطس سفارة من قبل السلطان صلاح الدين، بما اتصف به الملك فيليب أوغسطس من الاعتدال والتعقل والحكمة والمهارة، بخلاف غيره من الصليبيين، بل إن ابن شداد صاحب السلطان صلاح الدين وكاتب سيرته اعتبره من أعظم حكام أوروبا[487] .

ثم أقلع الملك فيليب أوغسطس بعد ثلاثة أيام من مدينة صور في 10 رجب 587هـ/3 أغسطس 1191م، ومعه رجاله حتى وصلوا خليج ساتاليا Satalia جنوب مدينة ميسينا في صقلية، وما إن لبثوا هناك حتى هبت عليهم ريح عاتية عاقتهم عن الإبحار يوم وليلة، وعندما هدأت تلك الريح ، أبحروا إلى مدينة برنديزي، ومنها إلى مدينة روما، وهناك التقى الملك فيليب بالبابا ، وشرح له موقف الجيش الصليبي في الشرق، وشكا له معاملة الملك ريتشارد، ومن مدينة روما توجه إلى فرنسا، فدخل مدينة باريس وسط فرحة عارمة من قبل الفرنسيين[488] .

---

[485] المؤرخ مجهول . المصدر السابق، ج2، صـ46.

[486] زكار، الموسوعة الشامية، ج32، صـ335.

[487] المصدر السابق، صـ173.

[488] حبشي، المرجع السابق، ص صـ215-216؛ الحريري، المرجع السابق، صـ198.

المبحث الثاني : الصراع بين السلطان صلاح الدين و الملك ريتشارد :-

1) معاملة الأسرى المسلمين :

توقف مستقبل الحملة على قدرة الملك ريتشارد ومركزه ذلك لان وضع الحملة أصبح ذا صعوبة بالغة بعد رحيل الملك فيليب الذي كان يتصف بالاعتدال و الحكمة فضلاً عن تعلق الصليبيين به في الشرق , وهذا ما لا يتمتع به الملك ريتشارد الذي كان من أولى واجباته التوفيق بين العناصر المتنافرة ومن ثم مباشرة المفاوضات مع السلطان صلاح الدين للقيام بالجولة الثانية من الحملة لتحقيق الهدف الذي جاء من اجله إلى الشرق , على حد قولهم , وهو استرداد مدينة بيت المقدس[489].

اتصف الملك ريتشارد بالتهور وقصر النظر والميل للخيانة والغدر وفقدان الإنسانية , حتى وصف بأنه كان يضارع تصرفاته ارناط (رينو دي شاتيون) في سلوكه مع المسلمين [490] .

تجلى ذلك عندما بدأ الملك ريتشارد بالاستعداد للخروج من مدينة عكا , فجمع اسرى المسلمين وكان عددهم ألفين وسبعمائة اسير ممن بقوا على قيد الحياة , وامر بالإجهاز عليهم ولم يبق إلا على بعض الاعيان منهم , وبعض الاشداء املاً في الاستفادة منهم في اعمال السخرة متعللاً بنقض السلطان صلاح الدين العهد معه[*][491].

---

[489] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـ47؛ فيتري ,المصدر السابق, صـ165؛ Grousset, op. cit, T. 3, p. 61.

[490] الشيخ، المرجع السابق، صـ396.

[*] كان لمذبحة عكا أثرها الكبير على معاملة السلطان صلاح الدين لأسرى الصليبيين، فبعد أن كان يحسن معاملتهم ويحرص على إطلاق صراحهم، وطالما تسامح معهم، آملاً أن يحسن الصليبيين معاملة أراهم من المسلمين، لذا كان غدر الملك ريتشارد بأسرى عكا بدلاً أن يقابل برد فعل سيء في معاملة الأسرى الصليبيين، ويظهر ذلك جلياً بعد دخول الصليبيين عكا، إذ "كلما أتى السلطان منهم بأسير أمر بقتله" انظر

ويعقب أحد المؤرخين على فعلة الملك ريتشارد بأنها أحدثت خرقاً للأعراف والتقاليد السابقة، التي لا يمكن جبرها بسهولة، وظلت عالقة في ذاكرة المسلمين قرناً من الزمان، فعندما استعاد الأشرف خليل بن قلاوون بعد هذه المدة الطويلة 690هـ/1291م انتقم لأجداده القدماء بقتل عدد مقارب؛ ولكن دون أن يعطيهم الأمان؛ ولكن الأثر الأهم، لهذه المذبحة كان الأثر النفسي الكبير، الذي تركته على القوات الإسلامية زمن السلطان صلاح الدين وخلفائه، بالنسبة لإمكانية حصار الصليبيين لهم في المدن، مما كان يدفع إلى تهديم التحصينات وحرق المدن، وتشريد الناس المستقرين فيها في كل الاتجاهات؛ حيث أن المحافظة على الجند، كان أهم من الأسوار والعمران والأثاث التي يمكن تعويضها[492] .

أما بالنسبة للقوات الفرنسية بقيادة الدوق هيو الثالث، فقد رفضت أن تحذو حذوالملك ريتشارد في تعامله مع الاسرى المسلمين ، بل استنكروا مسلكه وأظهروا شدة حرصهم في المحافظة على أرواحهم، يقول المؤرخ اللاتيني جاك دي فيتري "أن الفرنسيين تعاملوا مع المسلمين الخاضعين لهم بطريقة أكثر لياقة، وألقوا بهم في السجن لأجل مبادلتهم مع شعبنا"[493] .

بينما السلطان صلاح الدين لم يرد على وحشية ملك ريتشارد بالمثل، ورفض أن يقتل من كان في حوزة المسلمين من أسرى الصليبيين، وهم أعظم عدداً بكثير من أسرى مدينة عكا المسلمين، ولذلك أمر بردهم فوراً مكبلين إلى مدينة دمشق، وكذلك صليب الصلبوت[494] .

الى فاطمة عبد اللطيف سيد، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر (531-690هـ/1137-1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية، 1997م، ص صـ75-80.

[491] الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ392-394؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ174-175؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ363-364.

[492] الحياري (مصطفى)، صلاح الدين القائد وعصره، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، صـ409.

[493]المصدر السابق، صـ165.

[494] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ687.

سقطت مدينة عكا في يد الصليبيين بعد حصار دام نحو عامين كاملين، وشعر الصليبيون بقوتهم، وبعد أن أتموا ما تهدم من سور مدينة عكا[495] .

في اليوم الثالث لوقوع تلك المجزرة 29 رجب 587هـ/22 أغسطس 1191م قام[496] ريتشارد بقيادة الجيوش الصليبية في ظل غياب المركيز كونراد وعدد كبير من البارونات المحليين، أما الجيش بقيادة هيو الثالث، فقد أجبره الملك ريتشارد على الخروج من مدينة عكا؛ لذا احتلوا مؤخرة الجيش، وكانوا قد اعتادوا على حياة الدعة والرفاهية؛ لذلك واجهة الملك ريتشارد الكثير من الصعوبات لادخالهم في طاعته واجبارهم على الخروج [497] .

سار الملك ريتشارد بجيشه بحذاء البحر نحو مدينة عسقلان ثم واصل الى مدينة حيفا واقام بها , فقابله السلطان صلاح الدين بجيوشه ونزل بالقرب منه في مكان يسمى القميون وكان جيشه يهاجم الصليبيين اثناء مسيرهم ويقتلونهم ويأسرونهم , ثم رحل الملك ريتشارد الى قيسارية[*] في 7 شعبان 587هـ/30 أغسطس 1191م فهلك الكثير من جيشه اثناء السير لسببين :-

1-عدم ملاءمه الأحوال الجوية .

2-ملاحقة الجيش الاسلامي له [498] .

على الرغم من أن الأسطول الصليبي كان يمون الصليبيين عن طريق البحر [499].

---

[495] الشيخ، المرجع السابق، ص صـ394.

[496] انظر إلى : سير الملك ريتشار في الملحق رقم (14) صـ 208.

[497] المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ52-53؛ابن شداد,المصدر السابق,ص175. حبشي، المرجع السابق، ص صـ216-217.

[*] قيسارية: هي مرفأ هاماً من مرافئ فلسطين في العصور القديمة والوسطى، وتقع في خليج طبيعي يشكله نتوءان صخريان كبيران، داخل البحر ما بين حيفا ويافا انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ302، هامش2.

[498] ابن اشداد، المصدر السابق، صـ175.

[499] عاشور الحركة الصليبية، ج2، صـ688.

وفي نهاية أغسطس سنة 1191م استولى الصليبيون على قيسارية ليجدوها مخربة تماماً، وفي المعركة التي دارت في أول سبتمبر من نفس السنة بين المسلمين والصليبيين جنوبي قيسارية قتل احد الامراء ابطال الاسلام وهو أياز الطويل [500] .

2) معركة أرسوف:

دارت هذه المعركة في مدينة ارسوف[*][501] في اعقاب سقوط مدينة عكا في قبضة الصليبيين وكان هدفهم اقامة قاعدة يهاجمون من خلالها مدينة القدس [502] .

وتضمنت التنظيمات العسكرية[503] للصليبيين بانتشار قطار الأمتعة ومعدات على امتداد ساحل البحر متولي حراسته عناصر مشاه بقيادة هنري دي شامبني في حين اتخذ الرماة الصف الأمامي , وقف الفرسان خلفهم , أما عناصر الداوية فكانوا في الميمنة , والاسبتارية في الميسرة , أما قلب الجيش فكان يتزعمه الملك ريتشارد وعسكرة من الانجليز والنورمان , فضلاً عن القوات الفرنسية [504] .

فيما كان دور الاسطول الانجليزي وهو الأهم في المعركة والذي كان يقوم بامداد الملك بالرجال و المعدات [505] .

---

[500] ابن شداد، المصدر السابق، صـ180؛ عاشور، المرجع السابق، ج2، صـ688.

[*] أرسوف : مدينة تقع على ساحل فلسطين بين قيسارية ويافا وتبعد مسافة عشرة أميال إلى الشمال من يافا، وكان المسافة بينها وبين قيسارية نحو ثمانية عشرة ميلاً، ومن المحتمل أن اسم أرسوف Arsuf مشتق من اسم الأله السامي رسيف , انظر الى عوض (محمد مؤنس)، في الصراع الإسلامي الصليبي ـ معركة أرسوف (1191م/587هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997، صـ7.

[501] أنظر إلى : الموقع الجغرافي لمدينة أرسوف في الملحق رقم (4) صـ 196 .

[502] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ215؛ عوض، المرجع نفسه، صـ9.

[503] انظر إلى : سير معركة أرسوف في الملحق رقم (3) صـ 195 .

[504] عوض، المرجع السابق، ص صـ15-16.

[505] المرجع نفسه، صـ18.

وفيما يخص الجيش الاسلامي تمثلت عناصره فى المشاة و الخيالة بقيادة السلطان صلاح الدين فضلاً عن اخوة الملك العادل وابنه الافضل وصاحب الموصل الامير علاء الدين ابن عز الدين مسعود وغيرهم (506) .

بدأت المعركة في 14 شعبان 587 هـ / 7 ستتمبر 1191 م , ويمكن تقسيم تفاصيل هذا الصدام إلى ثلاث مراحل وهي :-

1- المرحلة الأولى : تميزت بمبادرة الجيش الإسلامي بالهجوم على الصليبيين وكان للمشاة دورهم الفعال في تكبيد الصليبيين خسائر فادحة , إذ أن اتخاذهم أسلوب المهاجمة السريعة و الخاطفة كان له الدور الكبير والفعلي في اتخاذ الصليبيين جانب الدفاع في المواجهة من الحق بهم خسائر كبيرة في الرجال و الدواب والأمتعة (507).

2- المرحلة الثانية : تمثلت بالهجوم الصليبي المفاجئ على المسلمين على الرغم من أن أوامر الملك الانجليزي ريتشارد بضبط النفس وعدم الرد على المسلمين , الا أن أوامره هذه لم تلق قبولاً من جانب بعض القيادات العسكرية الصليبية ولا سيما هيئة الاسبتارية (508) .

وإذا كان مقدم الأسبتارية قد التزم بأوامر الملك الانجليزي الا انه لم يتمكن من فرض هذه الأوامر على رجاله الذين بادروا بالهجوم المباغت على المسلمين , مما جعل الملك ريتشارد يصدر أوامره بالاصطدام مع المسلمين بعد ان ايقن ان زمام المعركة بدا يفلت من قبضته (509) .

اتخذ المسلمون إزاء هذا الهجوم المباغت منطقة الأشجار للاحتماء بها وكان لهذه المنطقة فائدتيان هما :-

أ- حماهم من تزايد نسبة القتلى و الجرحى في صفوفهم .

---

(506) **الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ301-302؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ182-183.**

(507) **عوض، المرجع السابق، صـ20-24.**

(508) **المرجع نفسه، ص صـ25-26.**

(509) **ابن شداد، المصدر السابق، صـ183؛ عوض، المرجع السابق، صـ26.**

ب- تصور الصليبيون إن الأمر خدعه وكمينا معدا لهم من جانب المسلمين فتوقفوا عن ملاحقتهم مما كان له دوره في تغيير سير المعركة [510] .

3-المرحلة الثالثة: تمثلت بثبات السلطان صلاح الدين في ميدان المعركة وتجميع قواته لشن هجوم على الصليبيين[511] .

ولكن هجماته هذه على الصليبيين لم تؤت ثمارها نظراً لأن هجمات الصليبيين المباغتة كانت اكبر من أن يواجهها إعادة تنظيم سريع لقوات الإسلامية[512].

ترتب على معركة أرسوف نتائج عدة منها :-

1-في الجانب الصليبي :

أ- بزوغ قيادة صليبية متمثلة في الملك ريتشارد وتألق نجمه ومكانته الحربية[513].

ب- تعد هذه المعركة بمثابة انتصارا ثانيا للصليبيين بعد انتزاع مدينة عكا من المسلمين , مما رفع معنويات الصليبيين بشكل كبير جداً [514] .

2-الجانب الاسلامي : فقد كانت نتائج المعركة سلبية لدى المسلمين عامة وقيادتهم السياسية خاصة[515] ففي إشارة قوية للمؤرخ المعاصر ابن شداد الذي اوضح أنه كان في قلب السلطان من أثر تلك المعركة ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وأن الناس كانوا إما في أزمة نفسية أو من المجروحين بدنيا[516] ..

---

[510] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ125؛ عاشور فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، صـ224.

[511] ابن شداد، المصدر السابق، صـ184؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ368.

[512] عوض، المرجع السابق، صـ29.

[513]رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ95.

[514] عوض، المرجع السابق،صـ37.

[515] المرجع نفسه صـ38.

[516] المصدر السابق، صـ185.

أما المؤرخون الغربيون فيتخذون من نتائج معركة أرسوف دليلاً على سير الحرب بين المسلمين و الصليبيين , الذي كان في صالح المسلمين منذ عام 566هـ/1170 م يرون ان بدء يتحول بعد تلك المعركة الى جانب الصليبيين لمدة طويلة تصل منتصف القرن الثالث عشر ميلادي وبالتحديد عام 646هـ/1250م[517].

بعد انتهاء معركة أرسوف رأى السلطان صلاح الدين الابتعاد عن الصليبيين فسار بقواته الى مدينة الرملة وبداء يتباحث مع الامراء بشأن الحرب فأشاروا عليه بتخريب مدينة عسقلان وقالوا له ما نصه "قد رأيت ما كان بالأمس، عند الهزيمة في أرسوف ، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها، فهم لا شك يقاتلون عنها وينزلون عليها، فإذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه فى عكا، ويعظم الأمر علينا لأن العدو قد قوي بأخذ عكا، وما فيها من الأسلحة وغيرها، ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا، ولم تطل المدة حتى تستجد غيرها"[518] .

ولكن السلطان صلاح الدين لم تسمح نفسه بتخريبها، وندب الناس إلى دخلولها والدفاع عنها، فلم يجبه أحد إلى ذلك، وقالوا: إن أردت حفظها فادخل أنت معنا أو بعض أولادك الكبار، وإلا فما يدخلها منا أحد، لئلا يصيبنا ما أصاب أهل مدينة عكا"[519] .

فلما رأى السلطان صلاح الدين إجماع رأي الأمراء على ضرورة تخريب مدينة عسقلان، سار إليها، وأمر بتخريبها في 19 شعبان 587هـ، وألقيت حجارتها في البحر، وهلك فيها من الأموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره، ومحا أثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع، وكانت مدينة عسقلان

---

[517]عوض, المرجع السابق، صـ39.

[518] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ216؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ186؛ عاشور فايد، الجهاد الإسلامي، صـ224.

[519] الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ305-306؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ369-370.

أهم المواقع العسكرية التي تحفظ طريق الاتصال بين مصر والسلطان صلاح الدين في الشام[520] .

وعلى الجانب الآخر عسكر الملك ريتشارد في مدينة يافا، وعندما استقر الجيش الصليبي هناك مال إلى حياة الدعة والرفاهية، وعندما علم الملك ريتشارد بما عزم عليه السلطان صلاح الدين من تدمير مدينة عسقلان، جمع كبار قادته للتشاور في الأمر، وخطب في جيشه بأن يسرعوا في الحفاظ على المدينة من الهدم، مما سيعود بالنفع على الجيش الصليبي؛ إلا أن الفرنسيين بقيادة الدوق هيو الثالث عارضوا هذا الرأي، مكايدة منهم للملك ريتشارد، وقالوا إن القيام بترميم يافا وإعادتها إلى سابق ما كانت عليه خير مما عرضه الملك الإنجليزي، لأن ذلك سيعود بالخير على الحجاج، إذ يجعل طريقهم إلى القدس أقصر مما هو عليه، لو أنهم سلكوا طريق عسقلان، ولهذا جنح الأغلبية لرأيهم[521] .

وقيل أن المركيز كونراد دي مونتفرات قد أشار على الملك ريتشارد بالتوجه فوراً إلى عسقلان لمداهمتها أثناء انشغال المسلمين بهدمها[522] .

وأخيراً تقرر جمع القوى وتكتيلها لإعادة بناء مدينة يافا، فحفروا الخنادق ورمموا الأبراج، ونعمت القوات الصليبية في يافا بأسباب الراحة، بما توافر فيها من زروع (الفاكهة والخضروات) ، وبما جلبته السفن من المؤن، فضلاً عن النساء الجميلات المرحات ليكن مصدر تسلية للرجال، ففسدت أخلاقهم، وانصرف تفكيرهم عن الحرب وانطفأت الحماسة الدينية لديهم، وأهملوا واجباتهم الدينية التي كان من المفروض عليهم أداؤها[523] .

أما بالنسبة للسلطان صلاح الدين؛ فعندما فرغ من تخريب مدينة عسقلان، رحل عنها يوم 2 رمضان 587هـ، ومضى إلى مدينة الرملة، فخرب حصنها، وخرب

---

[520] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ216؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ187-188.

[521] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـ99-101؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ96.

[522] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ216.

[523] المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، صـ101.

كنيسة الد، ثم سار إلى مدينة القدس، فأعار معظم أمورها ودعم دفاعاتها وزودها بالذخائر والأسلحة والرجال، وعاد إلى معسكره قرب مدينة الرملة[524] .

يبدو ان الجيش الصليبي قد اتفق على السير صوب مدينة بيت المقدس بقيادة الملك ريتشارد في المقدمة ، والدوق الفرنسي هيو الثالث في المؤخرة قائداً للجيش الفرنسي، غير أن هذا الأخير اجتمع بالجنود الفرنسيين وأعلن لهم بأن دخول الجيش الصليبي مدينة القدس والاستيلاء عليها سيكون مجداً وفخراً للملك الإنجليزي دون الملك الفرنسي، الذي غادر الشرق، وضف إلى ذلك قلة عدد الجنود الفرنسيين مقارنة بالجيش الإنجليزي، الذي يمكن أن يقضى عليهم هناك، وطلب منهم المشورة في السير من عدمه[525] .

ويبدو أن دعواه هذه أتت ثمارها؛ حيث رحل كثير من الجند إلى مدينة عكا، للاستمتاع بالحياة والشهوات؛ غير أن الملك ريتشارد عندما رأى ذلك قام بإرسال الملك جي إليهم لإقناعهم بالعودة إلى مدينة يافا، للاستمرار في القتال، ولم يستجب لنداء الملك جي إلا القلة القليلة، مما دفع الملك ريتشارد إلى الذهاب إليهم بنفسه وإجبارهم على العودة إلى يافا فضلاً عن ذلك، واجهت الملك ريتشارد مشكلة أخرى، وهي خلافه مع كونراد دي مونتفرات الذي يمكث غير بعيد عن مدينة صور يتربص به ويكن له العداء الشديد، فضلاً عن مشكلة أخرى، هي مشكلة جزيرة قبرص بعدما اشتعلت فيها الثورة عقب وفاة ريتشارد (أوف كامفيل)؛ مما دفع الملك ريتشارد إلى بيعها إلى الداوية، وكذلك ساورته المخاوف مما قد يفعله الملك فيليب في طريق عودته إلى فرنسا[526] .

3) المفاوضات بين السلطان صلاح الدين و الملك ريتشارد:

---

[524] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص صـ370-371؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ106.

[525] حبشي، المرجع السابق، صـ218.

[526] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ101-102؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صـ96-97.

كان للاحداث التي اعقبت معركة أرسوف اثارها العظيمة على الملك ريتشارد فقد اجبرته على الدخول في مفاوضات مع السلطان صلاح الدين الذي سمح لسماعها وعهد الى اخيه الملك العادل بان ينوب عنه في أجرائها , وتم اول لقاء بين الملك ريتشارد و الملك العادل في 18 شعبان 587هـ/5 سبتتمبر 1191 م دون جدوى وفشلت المفاوضات بين الطرفين نتيجة لمغالاة مطالب الملك ريتشارد حيث طلب تسليم مملكة بيت المقدس وكل ما يتبعها اضافة الى قيام الجانب الاسلامي بدفع اتاوه عن مصر التي كانت تدفع زمن الخلافة الفاطمية [527] .

ارسل الملك ريتشارد رسالة للسلطان صلاح الدين يتمسك فيها بمدينة القدس قائلاً : "القدس متعبدنا ما ننزل عنه، ولو لم يبق منا واحد"[528] ؛ فرد عليه السلطان صلاح الدين على الملك ريتشارد قائلاً: "القدس لنا كما هو لكم، وهو عندما أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبينا ومحشر أمتنا، فلا نتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين"[529] .

سار السلطان صلاح الدين من جهة مدينة الرملة إلى ناحية النطرون وخيم به، وفي نفس الوقت أرسل الملك ريتشارد إلى الملك العادل يعرض عليه أن يتزوج الملك العادل من الأميرة جوان أرملة ملك صقلية وأخت ريتشارد، وكانت "عزيزة عليه، كبيرة القدر"[530] . وكان هدف ريتشارد من وراء ذلك الزواج السياسي أن يشترك الزوجان في حكم فلسطين كلها، والمدن الساحلية التي استولى عليها الملك ريتشارد بما فيها عسقلان، وأن يعيش الزوجان في مدينة القدس التي ينبغي أن تتوفر للمسيحيين إمكانية الوصول إليها، وأن يسترد الصليب الصلبوت، وأن يفرج عن جميع الأسرى من الجانبين، "ويرضى الملك العادل مقدمي الداوية والأسبتارية ببعض القرى، ولا يمكنهم من الحصون"[531] .

---

(527) **حسن، المرجع السابق، صـ306.**

(528) **ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ372.**

(529) **المصدر نفسه، ج2، صـ372.**

(530) **عاشور فايد، الجهاد الإسلامي، صـ226.**

(531) **الأصفهاني، المصدر السابق، صـ309؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ693-694.**

ومـن الطريـف أن الملـك العـادل رحـب بـذلك كثيـراً، "ورأى فـي ذلـك عـين الصواب"[532] . على أن أغرب ما في الموضوع هو أن السلطان صلاح الدين أعلن قبوله لذلك المشروع، لعلمه أن الملك ريتشارد لن يتمكن من تنفيذ مشروعه، بسبب أن الملكة جوانا التي انضمت إلى الملك ريتشارد في مدينة يافا، قد ارتاعت لدى سماعها الاقتراح، وقالت إنه ليس ثمة ما يدفعها إلى الزواج من مسلم؛ وبعد ذلك سأل الملك ريتشارد العادل إن كان بمقدوره ان يفكر في التنازل عن دينه وان يصبح مسيحياً، رفض الملك العادل في أدب هذا الشرف[533] .

يشير لنا ابن واصل الى اجتماع الملك العادل والملك ريتشارد سوياً: "على طعام ومحادثة"، فطلب الملك ريتشارد من الملك العادل الاجتماع بالسلطان صلاح الدين، فامتنع الملك العادل، وقال: "الملوك إذا اجتمعوا تقبح بينهم المخاصمة بعد ذلك، وإذا انتظم أمر حسن الاجتماع". وبذلك تعثرت المفاوضات بين الجانبين[534] .

في الوقت نفسه قام المركيز كونراد دي مونتفرات بإرسال رسول إلى السلطان صلاح الدين قرب اللد[*] عارضاً عليه الصلح منفرداً، شريطة أن يحصل على مدن صيدا وبيروت في مقابل مناهضة الجيش الصليبي بقيادة الملك ريتشارد، ويقسم له السلطان على ذلك أولاً، في مقابل ان يقوم المركيز كونراد بمحاصرة مدينة عكا وأخذها، فوافق السلطان مبدئياً على طلبه بقصد فصله عن الجيوش الصليبية، وأرسل إليه رسوله المعروف بالعدل النجيب، مندوباً عنه، ومعه تعليمات واضحة من السلطان بأن يقوم المركيز كونراد دي مونتفرات بمجاهرة العداء للجيش الصليبي ومحاصرة مدينة عكا، وأخذها وإطلاق من بها ومن في مدينة صور من الأسرى، عند ذلك يسلم المركيز كونراد دي مونتفرات مدن صيدا وبيروت، فالقسم والوفاء به

---

[532] ابن واصل، المصدر السابق، صــ372.

[533] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ98؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ694.

[534] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صــ374.

[*] اللد: قرية قرب مدينة بيت المقدس من نواحي فلسطين. انظر إلى ياقوت الحموي، المصــدر الســابق، ج5، صــ17.

يتم بعد الإنجاز، وليس بالنية فقط. و يبدو أن هذه المعلومات قد وصلت إلى مسامع الملك ريتشارد، فترك يافا وعاد إلى مدينة عكا، خوفاً من تنفيذ كونراد دي مونتفرات ما وعد به السلطان في المراسلات التي جرت بينهما،و ذلك لصد أي هجوم يقوم به كونراد دي مونتفرات على مدينة عكا[535] .

فعادت الأمور إلى سابق عهدها؛ كل معسكر يتربص بالآخر، وفي ذلك الوقت خرج الملك ريتشارد ذات يوم للصيد، وبصحبته حرسه الخاص، فتعرض للهجوم من قبل بعض الجنود المسلمين، وكاد أن يقع في الأسر لولا أحد رفاقه، ويدعى وليم دي برو Wiliam De preux عندما صاح بالعربية: "أنا الملك"، فاندفع إليه الجنود المسلمون، وأخذوه أسيراً[*] ،

وقُتلت مجموعة كبيرة من رفاقه في هذا الاشتباك، وعاد الملك إلى جيشه الذي فرح بعودته كثيراً[536] .

4) أطماع الملك ريتشارد في مدينة بيت المقدس :

وفي عام 587هـ/ نهاية أكتوبر 1191م عاد الملك ريتشارد من مدينة يافا بعد أن الانتهاء من إعمارها قاصداً مدينة بيت المقدس، فالتقى عند يازور[*] بمقدمة

---

[535] الأصفهاني، المصدر السابق، صـ213؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ273؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ98؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ691.

[*] يذكر المؤرخ امبرواز أن الفارس وليم دي برو قد قتل على أيدي الفرسان المسلمين، غير أن صاحب الحرب الصليبية الثالثة والاصفهاني، وابن واصل، قد ذهبوا إلى أنه لم يقتل، إنما حمل أسيراً، حيث افتداه الملك ريتشارد بعشرة من كبار أسرى المسلمين ومبلغ من المال، ولعل الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب؛ حيث لم يعرف على صلاح الدين وجيشه قتل الأسرى من الأمراء والملوك ــ إلا في حالات القسم ــ ومن المعروف أن وليم دي برو هذا من كبار أمراء الملك ريتشارد، فلا يعرف في تاريخ صلاح الدين أنه فعل مثل هذا العمل انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ306، هامش رقم 3.

[536] المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ103-104؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج2، صـ99.

[*] يازور: بليدة بسواحل الرملة، من أعمال فلسطين بالشام، ينسب إليها أبو محمد الحسن بن علي اليازوري، وزير المستنصر بن الظاهر خليفة مصر الشيعي. انظر الى ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، صـ487.

الجيش الإسلامي وقتلوا رجالهم[537] ، ثم اتجه الملك ريتشارد على رأس جيشه إلى الرملة واللد، وهما أول مدينتين هامتين على الطريق بين يافا وبيت المقدس، وقد أصيب الملك ريتشارد بخيبة أمل شديدة، عندما وجد أن السلطان صلاح الدين قد خرب مدينة الرملة، فاضطرو إلى نصب معسكره بين أنقاض المدينة وخرائبها، أما السلطان صلاح الدين فقد عسكر في النطرون في منتصف الطريق إلى بيت المقدس، لحمايتها من الصليبيين[538].

عندما علم السلطان صلاح الدين باتجاه الملك ريتشارد الى النطرون اسرع الى هدمها واتجه الى مدينة القدس لتقوية استحكاماته من اجل الدفاع عنها " فوقع الاهتمام في عمارة سور مدينة بيت المقدس وحفر الخنادق " [539] .

وفي محرم 588هـ/3 يناير 1192م بلغ الجيش الصليبي حصن بيت نوبة[*]، وسط اجواء مناخية سيئة، وكان لا يفصل بينهم وبين مدينة القدس سوى اثنا عشر ميلاً، وتملك الحماس من الجيش الصليبي، الا ان نصائح البارونات وفرسان الاسبتارية و الداوية للملك ريتشارد مما جعله يقرر العودة عن ذلك ، وكان لذلك أثر كبير على الجيش الفرنسي والإنجليزي، أما الجيش الفرنسي فقد انسحب عدد كبير منه تحت قيادة هيو دوق برجنديا إلى يافا، وجماعة أخرى انسحبت إلى عكا، وأخرى اتجهت صوب مدينة صور للانضمام للكونراد دي مونتفرات الذي كثيراً ما شجعهم على هذا العمل[540] .

ويذكر ابن الاثير أن الملك ريتشارد طلب من الصليبيين المحليين أن يصفوا له مدينة القدس، قال لهم: صوروا لي مدينة القدس، فإني ما رأيتها، فصوروها له، فرأى الوادي يحيط بها، ماعدا موضعاً يسيراً من جهة الشمال، فسأل عن الوادي

---

(537) الأصفهاني، المصدر السابق، صـ311.

(538) ابن شداد، المصدر السابق، صـ191؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ692.

(539) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ217؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ107.

(*) بيت انوبة: بضم النون وسكون الواو وباء موحدة، بليدة من نواح فلسطين انظر الى ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، صـ620.

(540) المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـ129-133.

وعن عمقه، فأخبر أنه عميق وعر المسالك، فقال الملك ريتشارد هذه مدينة لا يمكن حصارها مادام السلطان صلاح الدين حيا، وكلمة المسلمين مجتمعة، هذا سوى ما يتعذر من إيصال ما يحتاج إليه من العلوفات والأقوات، واتفق رأي الصليبيين مع ما قاله الملك ريتشارد[541] .

وفي 3 محرم 588هـ/20 يناير 1192م عقد الملك ريتشارد مجلساً، وفيه أصدر الأوامر للجيش بالتحرك من مدينة الرملة إلى مدينة عسقلان،و طلب من الفرنسيين العودة والانضمام إلى الجيش الصليبي، وأغرى بعضهم بالمال[542] .

أراد الملك ريتشارد تغطية فشله في الوصول إلى مدينة القدس، فقرر تعمير مدينة عسقلان، فسار بجيشه إليها في محرم سنة 588هـ/ يناير 1192م وشرع في تشييدها، وعلى ما يبدو أن محاولات الملك ريتشارد في إقناع الجنود الفرنسيين بالعودة قد فشلت؛ لأنه قام في صفر 588هـ/ فبراير 1192م بمحاولة اقناع المركيز كونراد دي مونتفرات في المساهمة مع الجيش الصليبي في تعمير عسقلان، لكنه رفض بشدة[543] .

فجرى بينهم قتال شديد , في حين بقى السلطان صلاح الدين مقيماً في مدينة القدس وبقية سراياه تقصد الصليبيين تقاتلهم تارة وتقطع التموين عنهم , كان من جملة السرية خرجت على قافلة كبيرة للصليبين وغنمت ما فيها [544] .

أما الملك ريتشارد فبعد فشله في مشروع الصلح مع السلطان صلاح الدين ومشروع الاستيلاء على مدينة القدس , شغل نفسه وخصص نشاطه لحل مشاكل الصليبيين الداخلية[545] .

ففي مدينة عكا اشتد التنافس بين البيازنة والجنويين، والذي انتهى باستيلاء البيازنة على المدينة لمدة ثلاثة أيام، وأرسلوا الرسل إلى الملك ريتشارد يطلبون منه الحضور، فلبى الملك النداء، وحضر في أواخر فبراير من العام نفسه، واستطاع أن

---

[541]الكامل في التاريخ، ج9، صـ217.

[542] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ134-135.

[543]المصدر السابق , ج2، صـ137-138، 142.

[544] عاشور فايد، المرجع السابق، ص صـ228-229.

[545] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ695.

يعقد اجتماعاً بين الصليبيين الموجودين في المدينة لإقرار الصلح بينهم، وما إن انتهى حتى ذهب لملاقاة المركيز كونراد دي مونتفرات في قرية ايمبرت التي تقع على الطريق المؤدي من مدينة عكا إلى مدينة صور، لكنه لم يستطع إقناعه بالانضمام للجيش الصليبي الموجود في مدينة عسقلان، ورغم استخدامه لهجة التهديد إلا أنه رفض[546] .

وفي ذلك الوقت وصلت الملك ريتشارد أخبار سيئة من إنجلترا[*] ، كان لها أكبر الأثر في تخلي ريتشارد . مرغماً . عن الحملة التي تزعمها منذ البداية؛ غير أنه كان من المتعذر على الملك ريتشارد أن يبرح الشام قبل الوصول إلى حل مع السلطان صلاح الدين من ناحية، وحل النزاع حول عرش بيت المقدس من ناحية

---

[546] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صــ144–147؛رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ101.

[*] لقد أدرك الملك ريتشارد سوء الأوضاع في بلاده بوصول أحد رجال الدين الإنجليز إلى عسقلان في 15 أبريل 1192م، يد4عى روبرت رئيس دير هير فورد في إنجلترا حاملاً رسالة من مستشار ولــيم لــونج شامب أسقف للاي، تتضمن أن جميع الذين فوضهم الملك ريتشارد لحكم المملكة أثناء غيابه قد أبعــدوا من مناصبهم، وعزل وليم رسمياً، بعد أن كاد النزاع بينه وبين الأمير جون شقيق ريتشــارد أن يتطــور إلى حرب أهلية لولا تدخل وولتر كوتانسيس رئيس أساقفة روين، الذي قام الملك ريتشارد بإيفاده أثنــاء وجوده في صقلية عندما ترامى إلى مسامعه إنهاء النزاع بين أخيه ومستشــاره، مفوضــاً مــن الملــك ريتشارد بالتدخل في إدارة مستشاره إذا استدعت الضرورة ذلك.

وكان لإعلان الملك ريتشارد لابن أخيه آرثر وريثاً له أكبر الأثر في استياء جون الــذي أجبــر ــ وفقــاً لرواية رئيس الدير ــ الأيرلات والنبلاء على أداء قسم الولاء له، باعتباره وريثــاً للعــرش، وبموافقــة وولتر كوتانسيس.

ولكن ما أدى إلى إزعاج ريتشارد ظهور فيليب أوغسطس على حدود نورماندي، الذي لم يدخر وســعه منذ مجيئه من الشرق لعمل ما يستطيعه ضد ريتشارد أثناء غيابه، وعرض على جون الزواج من أختــه أليس، ومنحه جميع الممتلكات الإنجليزية في فرنسا.

وأبدى جون ــ رغم زواجه ــ استعداده لهذا الإغراء، وتأهب للعبور إلى نورماندي، لولا تدخل المكلــة إليانور، التي أرغمته بصعوبة بالتخلي عن ذلك، وعلى حد تعبير رئيس دير هير فورد: "إذا لــم تســرع جلالتك للتشاور بشأن هذه الأمور، فإنك سوف لا تقدر على استعادة مملكتك بدون المجازفة بالحرب"، ثم جاءت سفارة أخرى بعد ذلك تحث ريتشارد على العودة، بقيادة أحد رجال الدين ويدعى جون ألينســون رئيس شماسة ليسيوس، والذي أكد ما قاله رئيس الدير السابق انظر الى عبد القوي، المرجع الســابق، صــ135، هامش رقم 1.

اخرى[547] . فدعا إلى عقد مجلس يشهده كل الفرسان والبارونات الصليبيين في أراضي فلسطين، وعندما تم له ذلك، أعلن لهم نيته العودة إلى بلاده؛ لذا كان عليهم اتخاذ قرار في اختيار ملك يحمل تاج المملكة من بين الاثنين: جي لوزجنان الملك السابق، أو المركيز كونراد دي مونتفرات، وكانت دهشة الملك باختيار الجميع كونراد دي مونتفرات ملكاً عليهم، رافضين جي لوزجنان[548] .

اظهر الملك ريتشارد من التعقل وسمو الهمة ما يكفي لالتزامه بقرار المجلس، فوافق على الاعتراف بالمركيز كونراد ملكاً، وعلى الفور تم اختيار هنري كونت شامباني ليكون رسول الملك لتبليغ كونراد بما توصل إليه الجميع، 5 ربيع آخر 588هـ/20 أبريل 1192م، وعمت مدينة صور مظاهر الفرح بهذا الاختيار، وجرى الاتفاق أن يعم التتويج في مدينة عكا خلال أيام، وعلى أثر ذلك أعلن المركيز كونراد بأنه سيلحق بالجيش الصليبي في مدينة عسقلان، وغادر هنري مدينة صور متجهاً صوب مدينة عكا للإعداد للاحتفال بالتتويج؛ ولكن لم يمهل القدر كونراد دي مونتفرات لحين تتويجه، اذ انه قتل على يد اثنين من الباطنية (الحشيشية)[*] في 13 ربيع الآخر 588هـ / 28 أبريل 1192م[549] .

---

(547) **عاشور، المرجع السابق، ج2، صـ696؛ عبد القوي، المرجع السابق، صـ135.**

(548) **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ102؛ عاشور، المرجع السابق، ج2، ص صـ696-697.**

(*) **أجمعت المصادر على أن كونراد قتل بأيدي اثنين من الباطنية، دخلا صور وتظاهرا بالتنصر والترهب والتعبد، حتى أحبهما كونراد واطمأن إليهما فقتلاه، غير أن الآراء اختلفت في حقيقة المحرض على قتله؛ فهناك رأي يقول بوجود عداء شخصي بين كونراد وراشد الدين سنان شيخ الباطنية بسبب اتهام كونراد لهم باعتداء على سفينة تجارية للصليبيين ونهبها، هذا إلى أن راشد الدين سنان كان يخشى بأس كونراد وقواته ويخاف قيام دولة قوية للصليبيين على شاطئ الشام انظر الى رنسميان، المرجع السابق، ج3، صـ103.**

أما المصادر العربية المعاصرة فقد أجمعت على أن الملك ريتشارد هو الذي حرض الباطنية على قتل كونراد، وأنه أراد أن يتخلص منه لما بينهما من عداء شخصي انظر الى الأصفهاني، المصدر السابق، ص صـ330-331؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ208؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ382.

وينفرد ابن الأثير، الذي يتهم صلاح الدين بأنه راسل راشد الدين سنان وطلب منه قتل ريتشارد وكونراد جميعاً، ووعد بدفع الأموال مقابل ذلك، ولكن سنان خشي أن يتخلص صلاح الدين من أعدائه

ومهما يكن من امر ،واختلاف فى من قتل المركيز كوانرد الا ان موته كان خسارة جسيمة للصليبيين في بلاد الشام ,لانه كان هو الرجل الذي يرعى حقوقهم ويدافع عنهم وحتى وصفه ابن الأثير بأنه "كان رجل الفرنج رأياً وشجاعة"[550] .

على اثر مقتل المركيز كوانرد تم اختيار الكنت هنري شامبانيا ملكاً على بيت المقدس ومن ثم تزويجه الى إيزابيلا أرملة كوانرد دي مونتفرات [551] .

اما ملك بيت المقدس السابق جاي لوزجنان – الذي فقد عرشه بعد تولي هنري شامبانيا – فقد حاول الملك ريتشارد ارضاء حليفة جاي لوزجنان ، فجاءت الفرصة للملك ريتشارد عندما قام فرسان الداوية برد جزيرة قبرص إليه، فقام الملك ريتشارد على الفور ببيعها للملك جي في مقابل قيامه برد ما دفعه فرسان الداوية له، وفضلاً عن دفع مبلغ للملك الإنجليزي في جمادي أول 588هـ/ مايو 1192م، منذ هذا التاريخ أصبح الملك جي ملكاً لجزيرة قبرص، وبذلك قامت دولة آل لوزيجنان في جزيرة قبرص، وهي الدولة التي استمرت تحكم الجزيرة قرابة ثلاثة قرون (1192-1472م)[552] .

فيتفرغ للباطنية ويقضي عليهم، ولذلك اكتفى بقتل كونراد وعدل عن قتل ريتشارد انظر الى ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ219.

ويبدو لنا أن رأي ابن الأثير بعيد عن الصحة لا لأنه يخالف إجماع بقية المؤرخين المعاصرين فحسب، بل لأنه يتنافى مع سياسة صلاح الدين وأخلاقه، هذا فضلاً عما أشارت إليه المصادر من أن صلاح الدين لم يسر لمقتل كونراد بسبب عداوته لريتشارد، "ومنازعته في الملك"، ولما ترتب على مقتله من توحيد كلمة الصليبيين، وهو ما ليس في مصلحة صلاح الدين والمسلمين انظر الى عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ697، هامش رقم 2.

[549] المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ162-163؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صـ102-103.

[550] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ697.

[551] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ104.

[552] المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صـ175-176؛ حبشي، المرجع السابق، ص صـ221-222؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ698-699.

5) بيت المقدس و النزاع بين السلطان صلاح الدين و الملك ريتشارد:

ما إن تم للملك ريتشارد تسويه مشاكل الصليبيين حتى اتجه إلى مهاجمة قلعة الداروم(*)، فقام بدعوة الملك هنري صاحب تاج المملكة وبقايا الجيش الفرنسي الذي يلازمه للقدوم إلى مدينة عسقلان، غير أن الملك هنري وبقايا الجيش انحرفوا إلى مدينة عكا، وهم في طريقهم إلى مدينة عسقلان، وهناك استقبلهم الملك ريتشارد استقبالاً رائعاً، ،و في الوقت ذاته اندفع بالهجوم منفرداً بجيشه على قلعة الداروم في 6 جمادي أول 588هـ/23 مايو 1192م، وبعد خمسة أيام من القتال استسلمت القلعة و قام الملك ريتشارد بذبح رجال الحامية وتعليق بعضهم على شرفات الحصن, واسر من بقى منهم متجرداً بذلك من كل انسانية ومروءة [553] .

وفي اليوم السادس وصلت القوات الصليبية من مدينة عكا، وأجمعت آراء الفرنسيين منهم والإنجليز على مهاجمة مدينة بيت المقدس[554] . وفي الوقت الذي كان يستعد فيه الجيش الصليبي للتحرك صوب مدينة بيت المقدس وصل قادماً من مملكة إنجلترا أحد القساوسة يدعى يوحنا ويلنسون John Welnson حاملاً رسالة إلى الملك ريتشارد مليئة بالأخبار عن الفوضى التي انتشرت في المملكة؛ لذا أسرع الملك ريتشارد بإلغاء فكرة الزحف على مدينة بيت المقدس، مدعينا بوصول تحذير من قصور في الماء[555] .

وكانت الإخبار تنتشر داخل المعسكر الصليبي عن عزم الملك ريتشارد على العودة، مما كان له الأثر السيئ على الجند؛ غير أن أحد القساوسة الفرنسيين، واسمه وليم، نصح الملك بالإعلان للجيش بأنه سيعود إلى مملكته بعد عيد الفصح

(*) **الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في 584هـ/1188م انظر الى ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، صـ483.**

[553] **المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، صـ176-184؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ105.**

[554] **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ105.**

[555] **المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ186-187؛ حبشي، المرجع السابق، ص صـ237-238.**

القـادم، لطمأنــة الجنـود والرفــع مـن معنويــاتهم، فبـات الفـرح يعـم أنحــاء المعسـكر الصليبي[556] .

وبدأت الاستعدادات للزحف صوب مدينـة بيت المقدس فـي 23 جمادي أول 588هـ/7 يونيو 1192م، وعلى الرغم من الحرارة وقلة الماء، فقد واصل الصليبيون زحفهم حتى وصلوا في 27 جمادي أول 588هـ/11 يونيو 1192م إلى بيت نوبة إلى الشمال الغربـي من مدينـة القدس، حيث قضـى الجيش الصـليبي بضـعة أسـابيع فـي انتظار الملك هنري الذي قصد مدينة عكا لإحضار إمدادات وآلات الحصار[557] .

ومما تجدر الاشارة اليها انه ما ان وصلت اخبار زحف الملك ريتشارد على مدينـة القـدس، حتـى بـدأ المسـلمون يهـاجمون الصـليبيين ولـم يتركـوهم يتقـدمون فـي هـدوء، وإنمـا ظلـوا يطـاردونهم، "وألهبـوهم بالنهـب والسـلب وسـلطوا علـيهم وكمنـوا لهـم تحت كل رابية"[558] .

وصل الملك ريتشارد إلى قلونية، وهي على فرسخين من القدس؛ أي على بعد ثمـان كيلـومترات إلـى الشـمال الغربـي من القدس[559] . ويروي أبـو شـامة كيـف اتخـذ السلطان صلاح الدين عدته لمقاومة الجيش الصليبي، فوزع أسوار بيت المقدس على الأمـراء للـدفاع عنهـا، "وتقـدم إلـيهم بتهيئـة أسـباب الحصـار، وأخـذ فـي إفسـاد الميـاه، فخـرب الصـهاريج والجبـاب؛ بحيث لم يبق حول مدينة القدس مـاء يشـرب أصـلاً"، هذا فضلاً عن قيام فرسان المسلمين بإغارات مفاجئة على معسكر الصليبيين[560] .

وفـي اليوم 17 يونيـه 1192م تعرضـت قافلـة مؤن وميرة متجهـة ناحيـة شطر المعسكر الصليبي في بيت نوبـة إلـى كمين من الجيش الإسـلامي، وعلـى أثـر ذلك

---

[556] **رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صــ106؛ الشيخ، المرجع السابق، صــ406.**

[557] **المؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ج2 ، ص صــ195-197 ؛ ابن شــداد ، المصــدر الســابق ، صــ صــ211 – 212 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، صــ699.**

[558] **ابن واصل، المصدر السابق، صــ382.**

[559] **المصدر نفسه، ج2، صــ383؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ700.**

[560] **عاشور، المرجع السابق، ج2، صــ700.**

حرم الجنود الصليبيون منها، مما ادى الى سوء احوالهم فضلاً عن قلت المياة وشدة الحرارة[561] .

قام الملك ريتشارد بعقد اجتماع لتباحث في كيفية الزحف على مدينة القدس واظهر الفرنسيين على غير عادتهم حماساً شديداً يرجون فيه الزحف وحصار المدينة ،وجاء رد الملك ريتشارد بعدم امكانية الزحف قائلاً: "إن الرأي عندي، والأجدى لنا أن نزحف فنستولي على مصر أو بيروت أو دمشق، وأن نلتزم في هذا برأي الأسبتارية والداوية"[562] .

تم الاتفاق على اختيار عشرين من الحكماء[*] ، ويلتزم الجميع بما يقضون به من قرارات، وأعلن المجتمعون أن الأجدى والأنفع هو الذهاب لمحاصرة مصر، فلما سمع الفرنسيون بهذا القرار، رفضوه بشكل نهائي، وأعلنوا أنهم لن يتحركوا إلى أية جهة غير مدينة المقدس[563] .

على أن امتناع الملك ريتشارد عن مهاجمة السلطان صلاح الدين في مدينة القدس لم يمنعه من قطع طريق المواصلات بين مصر والشام، مستغلاً في ذلك سيطرته على مدينة عسقلان، وقلعة الداروم من ناحية، وخيانة بعض الأعراب من ناحية أخرى[564] .

---

[561] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صــ201-202.

[562] المصدر نفسه، ج2، ص صــ209-211.

[*] تم اختيار عشرين من الحكماء كما ذكر المؤرخ المجهول موزعين كالتالي: خمسة من الداوية وخمسة من الأسبتارية، وخمسة من الصليبيين السوريين، ويقصد بهم الرجال من ذرية الأوروبيين الذين استقروا في بلاد الشام وفلسطين منذ الحملة الصليبية الأولى، بالإضافة إلى خمسة من زعماء الجيش الفرنسي، أما المؤرخ أمبروز فيذكر أنه تم اختيار أربعة أو خمسة من الداوية إلى جانب الكثير من الأسبتارية، وجمع غفير من الصليبيين السوريين وكثير من رجال فرنسا، أما ابن شداد فيذكر أنهم انتخبوا من بينهم ثلاثمائة رجل وانتخبوا منهم اثنا عشر رجلاً، واختار هؤلاء من بينهم ثلاثة هم الذين يقرون الأمر انظر الى حسن، المرجع السابق، صــ317، هامش رقم 3.

[563] ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صــ390؛ المؤرخ مجهول، المصدر السابق، ج2، ص صــ211-213.

[564] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ700.

كان الجيش المصري قد استعد للسير من مصر إلى بلاد الشام بناء على طلب من السلطان صلاح الدين، على هيئة قافلة كبيرة تحت قيادة الامير فلك الدين أخ الملك العادل من أمه[565] . فسار العدو لقطع طريق القوات المصرية، والهجوم عليها، "وبلغ السلطان مسير العدو إلى طريق العسكر المصري، فأرسل من عنده من أنذر القوات المصرية وحذرهم من العدو وأمرهم أن يبعدوا في البرية"، وكان الملك ريتشارد قد استعان بالبدو "والعرب المفسدين"[566] .

فاستطاع مباغتة القافلة المصرية أثناء الليل 588هـ/23 يونيو 1192م، "فاجأهم العدو بغتة ... وكانت الكبسة قريب الصباح فبغت الناس، ووقع عليهم بخيله ورجاله، فكان الشجاع الأيدي القوي الذي ركب فرسه ونجا بنفسه"[567] .

وانقسمت القوات المصرية ثلاثة أقسام: " قسم قصدوا حصن الكرك مع جماعة من العرب، وقسم أوغلوا في البرية ، وقسم استولى عليهم العدو، فساقهم بجمالهم وأحمالهم وجميع ما كان معهم"[568] .

وقد قدر المقريزي عدد أسرى المسلمين في تلك الواقعة بخمسمائة رجل[569] ، في حين ذكر ابن شداد أنه قتل من الصليبيين فيها زهاء مائتي فارس [570] .

وصفت هذه الواقعة بانها شنيعة لم يصب الاسلام بمثلهاحيث تبددو الناس في البرية ,وكان السعيد منهم من نجا بنفسه , حيث تمكن الصليبيون من الاستلاء على اعداد كبيرة من الدواب والامتعة وصنوف الأموال[571] . وذكر أحد الأسرى

---

[565] **ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ213-214.**

[566] **المصدر نفسه، ص صـ213-214؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ383؛ عاشور فايد، المرجع السابق، صـ229.**

[567] **ابن شداد، المصدر السابق، صـ214؛ المصدر نفسه، ج2، صـ384؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ701.**

[568] **عاشور فايد، المرجع السابق، صـ230.**

[569] **السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ109.**

[570] **المصدر السابق، صـ214.**

[571] **ابن شداد، المصدر السابق، صـ214؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج2، صـ384.**

المسلمين، كان قد تمكن من الهرب، أن عدد الأسرى المسلمين "خمسمائة، والجمال تناهز ثلاثة آلاف جمل"[572] .

يروي ابن شداد أنه حاول أن يسكن ألم السلطان صلاح الدين عندما سمع الخبر ويسليه ولكن دون جدوى؛ "فما مر بالسلطان خبر أنكى منه في قلبه"[573] .

وكان من نتائج هذه الهزيمة أن ارتفعت معنويات الجيش الصليبي، "وزاد عزمهم على قصد مدينة القدس، وقويت نفوسهم بما حصلوا عليه من الأموال والجمال التي تنقل الميرة والأزواد، وأقام الملك ريتشارد فرقة من جيشه على بلدة اللد يحفظون الطريق، ويقطعون على المسلمين إمداداتهم، وأرسلوا إلى مدن صور وطرابلس وعكا يطلبون حضور المقاتلين بقصد الهجوم على مدينة القدس[574] .

على الرغم من أن المعسكر الإسلامي كان يعاني حينئذ كثيراً من الشدائد، وقد بدأت الانقسامات تطفو على السطح بين الأتراك والأكراد، "فالأكراد لا يدينون الأتراك، والأتراك لا يدينون الأكراد"[575] . وقد أشار بعض المؤرخين المسلمين أن الأجناد والأمراء أنكروا على السلطان صلاح الدين الاستمرار في تحصين مدينة بيت المقدس وإعدادها للحصار، وقالوا: "لا مصلحة في ذلك، فإنا نخاف أن نحصر ويجرى علينا مثل ما جرى على أهل عكا، وعند ذلك تؤخذ بلاد الإسلام أجمع ..."[576] .

وفي مواضع اخرى اشار ابن شداد، وهو شاهد عيان بصفته مرافق للسلطان، أن صلاح الدين دخل المسجد الأقصى "وصلى ركعتين ورأيته ساجداً وهو يذكر كلمات ودموعه تتقاطر على مصلاه"، وذلك بسبب ما أحس به من سوء الموقف[577]

---

[572] عاشور فايد، المرجع السابق، صــ230.

[573] نفسه، ص صــ214-215.

[574] نفسه، صــ230.

[575] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صــ702.

[576] ابن شداد، المصدر السابق، صــ216.

[577] المصدر السابق، صــ217.

. بينما كان كل ذلك يجري إذا بالأمور تتغير ويقع الانقسام في المعسكر الصليبي، فقد كان الفرنسيون مؤيدين للتقدم في الحال بعدما توفرت المؤن، غير أن جواسيس الملك ريتشارد حذروه من عدم توفر الماء، وكانت هناك مشكلة أخرى، وهي كيفية الاحتفاظ بمدينة القدس بعد عودة الصليبيين الغربيين إلى أوطانهم، وأمر الملك ريتشارد الجيش مرة أخرى بالانسحاب إلى الرملة في أواخر يوليه 1192م، ومن هنا "بعثوا رسلهم في طلب الصلح"[578] .

كان لانسحاب الملك ريتشارد رد فعل اجابي قوي على الجانب الاسلامي، فقد انتعش السلطان صلاح الدين، وارتفعت الروح المعنوية لرجاله، أما على الجانب الصليبي فما لبثت بقايا الجيش الفرنسي أن انفصلت عن المعسكر الصليبي، وانشأوا لأنفسهم معسكراً بعيداً تحت قيادة هيو دوق برجنديا، وعلى أثر ذلك قام الملك المنتخب هنري شامبني بإرسال رسله إلى السلطان صلاح الدين، يطالبه ببلاده، مما أثار غضب السلطان، وعاد مرة أخرى يطلب منه أجزاء منها، لكن السلطان أصر على المقترحات السابقة[579] .

قام الملك ريتشارد بعد وصلوله الى مدينة يافا بارسال الملك هنري شامبني الى السلطان صلاح الدين طالباً منه التوصل الى اتفاق تحقن بموجبه الدماء على ان يكون الامير سيف الدين مشطوب هو الوسيط.

لأن الملك العادل كان غائباً فى منطقة شرق العراق[*][580] ,ويبدو ان كلا من الطرفين راغب في الصلح ليتفرغ للشئون الداخلية لكل من الملك ريتشارد

---

[578] **المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صـ109؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج1، صـ107.**

[579] **المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ224-225؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ218.**

[*] **قام السلطان بإرسال أخيه الملك العادل إلى شرقي العراق لتسوية الأوضاع هناك، خاصة بعد وفاة ناصصر الدين بن تقي الدين، وقيام ولده ناصر الدين بإعلان العصيان والتمرد خشية أن يحرمه السلطان من إقطاعات والده في شرقي الفرات، وكانت ثورته من الممكن أن تدفعه للتحالف مع بكمتور، مما يشكل**

والسلطان صلاح الدين . وكان السلطان قد عرف كثيراً عن أحوال المعسكر الصليبي من غلام ابن المشطوب، لهذا قبل الاستمرار في المفاوضات بقصد فصل البحرية عن الجيش الصليب، لعله يتمكن من إضعاف الطرفين خلال تلك المفاوضات، لذلك قام بإرسال رسالة إلى الملك هنري، حدد فيها الهدنة على ما بيده فقط[581] .

وفي 29 جمادي الآخر 587هـ/9 يوليو 1192م قام الملك ريتشارد بإرسال رسول إلى السلطان صلاح الدين، من أجل التوصل لعقد هدنة بين الطرفين، فضلاً عن ارسال رسالة تتضمن تراجع الملك عن موقفه المتشدد السابق؛ "وهو السيطرة التامة على مدينة بيت المقدس وإلى استرجاع ممتلكات الصليبيين قبيل معركة حطين"، في المقابل كان لتصلب رأي السلطان تأثير كبير في تدعيم موقفه، وجمع أرباب المشورة لمناقشة الأمر، وكان الجواب الذي مثل رأي الأمراء وأرباب المشورة، والذي أعطى فيه مقترحاته، وإبقاء عسقلان وما بعدها خراباً[582] .

وعندما استلم الملك ريتشارد هذا الجواب المتساهل قام بالتوجه مباشرة إلى مدينة عسقلان لإعادة إعمارها حتى تدخل ضمن البلاد الساحلية المقررة له، لتحسين موقفه في التفاوض، وفي الوقت نفسه بعث برسوله إلى السلطان صلاح الدين من أجل التأكيد على الموافقة على الاقتراح السابق، فجمع السلطان مجلس المشورة، وأجاب على رسالته "بأن القدس ليس لكم فيها حديث إلا الزيارة"، فأجاب الرسول "ليس على الزوار شيء يؤخذ منهم"، فأجاب السلطان "أما عن البلاد فعسقلان وما

خطراً على مكانة السلطان في شرق الفرات، بالإضافة إلى تهديد أمن الشام، وكان السلطان قد أرسل ولده الفاضل من مدينة القدس، وكتب له صلاح الدين باجتياز الفرات والاستيلاء على أراضي ناصر الدين، مما دفع الأخير إلى مراسلة الملك العادل للتوسط في عقد اتفاق انظر الى حسن، المرجع السابق، صـ318، هامش2.

[580] رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـ107.

[581] ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ218–219؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، صـ703.الحياري، المرجع السابق، ص صـ454–455.

[582] ابن شداد، المصدر السابق، ص صـ219–220؛ سعداوي، (نظيرة حسان) , التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة , مكتبة النهضة المصرية , 1957, ص صـ295–296.

وراءها لابد من خرابه"، فرد الرسول "قد خسر الملك على أسوارها مالاً جزيلاً"، هنا تدخلت الوساطة ممثلة في الأمير سيف الدين المشطوب، وطلب من السلطان "أن يجعل مزارعها وقراها . أي عسقلان . للملك في مقابل خسارته، فوافق السلطان"، وأن قلعة الداروم وغيرها يخرب، ويكون بلدها مناصفة، أما باقي البلاد فيكون لهم . الصليبيين . من مدينة يافا إلى مدينة صور بأعمالها، وأي اختلاف في قرية تكون مناصفة[583] .

ولما عاد مبعوث الملك ريتشارد إليه زاد في نفسه الأمان بعض الشيء، فقام على الفور بإرسال فرقة من فرسان الداوية والأسبتارية إلى قلعة الداروم لهدمها، وقد تعثرت المفاوضات بسبب رفض الملك ريتشارد تسليم عسقلان، وتخريبها، حتى مقابل بلدة اللد التي عرض السلطان صلاح الدين إعطاءها للصليبيين، عاد على أثره ذلك الملك ريتشارد وبقايا جيشه إلى مدينة عكا، استعداداً للرحيل إلى بلاده، لم جاءه عنها من أخبار سيئة، حتى وإن لم تكن المعاهدة وقد وقعت بعد، وكان يخطط للزحف المفاجئ على بيروت، والاستيلاء عليها، ومنها يركب البحر إلى أوروبا[584] .

كان لعودة الملك ريتشارد وجيشه إلى مدينة عكا، أثر كبير في إحساس السلطان بقوة موقفه؛ لذا قام بالهجوم على مدينة يافا 14 رجب 588هـ/26 يوليو 1192م، وحاصر قلعتها اقتحامها في الوقت الذي نجح "رالف" أسقف بيت لحم، الذي انتخب مؤخراً بطريركاً في مدينة يافا في طلب الهدنة من السلطان لمدة يوم بوساطة الملك العادل، مشترطاً على نفسه بأنه لو لم تأتهم نجدات من أي جهة قبل الساعة التاسعة من اليوم التالي، فعلى كل رجل دفع عشرة بيزنتيات، وعلى المرأة

---

(583)المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـــ228-229؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـــ220.

(584) المصدر نفسه، ج2، صـــ229؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، صـــ108.

خمسة، أما الغلام فثلاثة، وذلك مقابل الهدنة، من أجل ضمان تنفيذ تلك الشروط، قام السلطان بأخذ رهائن[585] .

وعندما وصلت تلك الأخبار إلى الملك ريتشارد في مدينة عكا هب داعياً الحشود الصليبية للإبحار إلى مدينة يافا، إلا أن الجيش الفرنسي رفض الإبحار إلى هناك، فأبحر الملك وجيشه، وحين وصلوا ظنوا أن المدينة قد سقطت في أيدي السلطان، في الوقت الذي استطاع فيه أحد القساوسة أن يقذف بنفسه في البحر، وأخبر الملك ريتشارد عن هدنة الأمس مع السلطان، وهم في انتظار النجدات، وعند سماع هذه الأخبار اندفع الملك ريتشارد إلى معركة بحرية كبيرة في 21 رجب 588هـ/1 أغسطس 1192م استولى فيها على الشاطئ ودخل مدينة يافا ، ورفع أعلامه عليها، واستطاع التصدي للجيش الإسلامي الذي فر من مدينة يافا إلى بلدة يازور، وبدأ الملك ريتشارد في ترميم ما تهدم من أسوار المدينة، وقدم الملك هنري من قيسارية مصطحباً معه خمسة وخمسين فارساً بالإضافة إلى ألفين من المشاة، غير أن المناوشات لم تتوقف بين الطرفين[586] .

ولم يتمالك الملك ريتشارد نفسه من الشماتة في أعدائه، فقال مخاطباً بعض أمراء المسلمين "هذا السلطان عظيم، وما في هذه الأرض للإسلام أكبر ولا أعظم منه كيف رحل عن المكان بمجرد وصولي"[587] .

حاول السلطان صلاح الدين القيام بهجوم جديد مفاجئ في 26 رجب 588هـ/5 أغسطس على معسكر الملك ريتشارد؛ ولكنه لم يجد استجابة وتأييداً من رجاله، بل لقد تجرأ أحد أمراء السلطان صلاح الدين ويعرف بالجناح[*] عليه، وقال

---

[585] المؤرخ مجهول ، المصدر السابق، ج2، ص صـ230-233؛ ابن شداد، المصدر السابق، صـ222-225.

[586] المصدر نفسه، المصدر السابق، ص صـ235-242؛ المصدر نفسه، ص صـ226-227؛ رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص صـ108-109.

[587] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص صـ704-705.

[*] وكان الجناح هذا أخو المشطوب بن علي بن أحمد الهكاري انظر الى ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، صـ221.

له: "يا صلاح الدين ... قل لمماليكك الذين أخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس يا للحماقات يتقدمون فيقاتلون، إذا كان القتال فنحن وإذا كانت الغنيمة فلهم"[588] . وهكذا ساء موقف السلطان صلاح الدين وانسحب في حال سيئة من خيبة الأمل إلى بلدة يازور، ومنها إلى النطرون، في الوقت الذي تحول الملك ريتشارد من الدفاع إلى الهجوم[589] .

---

[588] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، صـ221؛ عاشور، المرجع السابق، ج2، صـ705.

[589] عاشور، المرجع السابق، ج2، صـ705.

الفصل الرابع
نتائج وآثار الحملة الصليبية الثالثة

** ***المبحث الأول : نتائج الحملة الصليبية الثالثة .***

1. صلح الرملة ودورها في إنهاء الحملة سنة 1192 م .

2. نتائج الحملة على العالم الإسلامي و العالم المسيحي .

** ***المبحث الثاني : أثر الحملة الصليبية الثالثة على العلاقات بين الشرق والغرب :***

1. الأثر السياسي والعسكري .

2. الأثر الاقتصادي والاجتماعية والدينية .

المبحث الأول : نتائج الحملة الصليبية الثالثة .

1- صلح الرملة ودوره في إنهاء الحملة سنة 1192 م :

ما لبث الملك ريتشارد أن وقع تحت وطأة المرض في مدينة يافا , ومع ذلك فقد استمر في إرسال الرسل تترا إلى السلطان صلاح الدين في طلب المؤن من الفاكهة والثلج , حيث أوقعة مرضه في شهوة الكمثرى والخوخ , وكان السلطان صلاح الدين بتسامحه الإسلامي المعهود يمده بما يحتاجه [1] . ولقد جدد الملك ريتشارد عرض الصلح على السلطان صلاح الدين مدفوعا بعدة عوامل منها:-

أ – تدهور صحة الملك ريتشارد بشكل ملحوظ حيث ألم به المرض واشتد عليه حتى أنه عجز عن قيادة قواته والتخطيط السليم .

ب- اضطراب الأحوال في المملكة إنجلترا – فقد كانت أخبار تصل إليه مؤكدة بأن المملكة توشك أن تنتقل لأخيه يوحنا الذي أخذ عهداً من الملك الفرنسي فيليب وأغسطس يمدا العون والمساعدة .

جـ – مشاعر اليأس والضعف التي انتدابت الملك ريتشارد بعدم تمكنه , وقدرته على استرداد مدينة بيت المقدس,ويبدوا أن ذلك كان ناتجاً لتأثير العاملين السابقين[2]

ومن جانب السلطان صلاح الدين كانت هناك أسباب أخرى محددة ألزمته على قبول هذا الصلح ولقد أشار السلطان إلى هذه الأسباب ومنها :-

---

(1) ابن شداد , المصدر السابق , ص 231 .

(2) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص 706 ؛ الصلابي , على محمد ,صلاح الدين الايوبى وجهودة فى القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس , بيروت,دار المعرفة, ط1, 2008, ص 625 .

أ – استمرار النزاع بين بعض عناصر الجيش من الأكراد والأتراك .

ب – سخط بعض جنود السلطان صلاح الدين وتذمرهم من استمرار الحرب دون ما فائدة .

ج–الاضطرابات الداخلية التي ربما لها تأثيراتها السلبية على استقرار وسيادة الدولة أن لم يتفرغ لقمعها السلطان صلاح الدين بنفسه [1] .

والواقع أن الاتفاق بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك ريتشارد لم يكن متعذراً , لولا مشكلة المدن عسقلان وغزة والدا روم , التي أبى السلطان صلاح الدين إلا أن يستردها , وأراد الملك ريتشارد إلا أن يحتفظ بها الصليبيون , وهكذا عاد الملك ريتشارد إلى ملاينة السلطان صلاح الدين من جديد , الأمر الذي جعل المؤرخ ابن شداد لا يتمالك نفسه ويعجب من أسلوب الملك ريتشارد في المفاوضة فقال " أنظر إلى هذه الصناعة في استخلاص الفرص باللين تارة , وخشونة أخرى" [2] .

هذا فضلاً عن رغبة الملك ريتشارد الملحة في العودة إلى بلاده مما أضطر إلى تنازل عن ذلك الشرط فهو (ضم مدينة عسقلان) .

هكذا تم التوقيع على الصلح الذي عرف بصلح الرملة في 22 شعبان 588 هـ / 2 سبتمبر 1192 م بشروط عديدة يمكن أجمالها بما يلي :–

1–أن يكون الصليبيين المنطقة الساحلية من مدينة صور شمالاً إلى مدينة يافا جنوباً بما في ذلك المدن قيسارية وحيفا و ارسوف .

____

(1) الصلابى, المرجع السابق , ص 625 .

(2) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص 706 .

2–ضم مدينة عسقلان إلى المسلمين بشرط تخريبها .

3–في حين تكون مدينتي الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والصليبيين .

4–للمسيحيين حرية الحج إلى مدينة بيت المقدس دون مطالبتهم بأية ضريبة مقابل ذلك .

5–حرية المرور كل من الطرفين في بلاد الأخر .

6–أشترط السلطان صلاح الدين دخول بلاد وأراضي الأسماعليه (الباطنية) في الصلح بمعنى أن المناطق التي يسيطر عليها هؤلاء تعد جزءا من المناطق الإسلامية التي شملتها المعاهدة , وفي المقابل أشترط الملك ريتشارد دخول كل من صاحب أنطاكية وطرابلس في الصلح .

7–أن مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر [1] .

وصادق على معاهدة الصلح هذه من الجانب الصليبي هنري دي شامبني ملك مملكة القدس الجديدة وباليان صاحب طبرية ومن الجانب الإسلامي صادق عليه الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين والملك الأفضل والملك الظاهر ولداه , وعدد من الأمراء [2] .

لقد جاء صلح الرملة نهاية حرب طويلة بين الجانبين (الإسلامي والصليبي), لهذا قوبل بالارتياح من الطرفين على حد سواء , بعد أن ملوا جميعاً تلك الحرب , وتعرضوا خلالها لكثير من الويلات فغمر الناس من الفريقين

———————————————

(1) المؤرخ مجهول , المصدر السابق , ج2 , ص – ص 264 , 265 ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج 9 , ص–ص 221 , 222 ؛ ابن شداد , المصدر السابق , ص 232 ؛ رنسيمان , المرجع السابق , ج3 , ص–ص 139 – 140 .

(2) عاشور , الحركة الصليبية , ج 2 , ص 707 .

من الفرح والسرور " ما لا يعلمه إلا الله " [1] بعد أن أصبح الطريق إلى الحج مفتوحاً أمام المسلمين , والطريق إلى مدينة بيت المقدس مفتوحا أمام المسيحيين , فقد عمت الفرحة المسلمين و المسيحيين عند إعلان الصلح , يصف المؤرخ المقريزي ذلك الارتياح فيقول " كان يوم الصلح يوماً مشهوداً , عم فيه الطائفتين الفرح و السرور لما نالهم من طول الحرب " [2] .

لقد استجاب السلطان صلاح الدين لمطالب بعض رجال الدين من الصليبيين من تعيين أثنين من رجال الدين الكاثوليك[*] في كل من كنيسة القيامة وكنيسة بيت لحم وكنيسة الناصرة , بجانب رجال الدين الأرثوذكس[**] والسريان[***] واليعاقبة[****] [3] .

ولم تلبث الحياة الطبيعة أن عادت بين الطرفين , حين أقبل الحجاج المسيحيون على مدينة بيت المقدس وأخذ يدب النشاط التجاري ويصف ابن شداد عودة الحياة هذه بقوله " واختلط العسكران ذهب جماعة من المسلمين غالى مدينة يافا في طلب التجارة , ووصل خلق عظيم العدد إلى مدينة القدس وفتح لهم السلطان الباب في ذلك , نفذ معهم الخفراء يحفظونهم حتى يردوهم إلى مدينة يافا " [4] .

---

(1) الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص 411 .

(2) السلوك لمعرفة دول الملوك,ج1,ص110 ؛ المرجع نفسه , ص 412 .

(*) الكاثوليك :- هم جماعة مسحيين نصارا المتحدين أيماناً وطاعة بكنيسة روما ,انظر الى اليسوعي , المرجع السابق , ص 390 .

(**) الارثوذكس :- هي كلمة يونانية معناها مستقيم الرأي وهو لفظ يستعمل للدلالة على الكنائس الشرقية غير متحدة برومة , المرجع السابق , ص 28 .

(***) السريان :- هم نصارا المدينة تكلمون اللغة السريانية أنفصلت عن كنيسة انطاكية على أثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح , المرجع نفسه , ص 262 .

(****) اليعاقبة :- هم السريان الذين أنتظموا بفضل يقوب البرادعي في سوريا وفي بلاد ما بين النهرين في القرن السادس ميلادي , المرجع نفسه , ص 262 .

(3) رنيسمان , الرجع السابق , ج3 , ص 141 .

(4) المصدر السابق , ص 236.

وتشير بعض المصادر الإسلامية التي بين أيدينا انه عندما عرف الملك ريتشارد كثرة من يزور مدينة بيت المقدس من الصليبيين خشي غضب السلطان صلاح الدين وسير إليه يسأله بمنع الزوار مقترحاً عليه أن لا يؤذن للزوار إلا بعد الحصول على علامة – تأشيرة – أو كتاب من جانبه , إلا أن السلطان صلاح الدين الذي عرف بالتزامه بتعاليم الإسلام الحنيفة لم يرض نقض العهود , وذلك رفض طلب الملك ريتشارد هذا ورد عليه مدافعاً عن الحجاج " . . . قد وصلوا من ذلك البعد لزيارة هذا المكان الشريف , فلا استحل منعهم . . . وشرع في مد الطعام لهم ومباسطتهم ومحادثتهم " [1] .

يبدو أن غرض الملك ريتشارد من منع الحجاج لزيارة بيت المقدس كان له ما يبرره إذ أن المصادر الأوربية تشير إلا أن الملك ريتشارد أراد بذلك إذلال الفرنسيين والانتقام منهم , عندما طلب من السلطان صلاح الدين بأن يقبل فقط الذين يحملون منه ترخيصاً أو من الملك هنري ملك مملكة بيت المقدس , وذلك حسب رغبة الراغب في الحج من الفرنسيين , وذلك حسب الاتفاق المبرم بينهما , وبعد رحيل الجانب الأعظم من الفرنسيين وبقاء القليل منهم , قرر أن ينادى في الفرنسيين من أراد زيادة والحج إلى مدينة القدس [2] .

---

(1) أبو شامة , المصدر السابق , ج2 , ص 294 ؛ عاشور , المرجع السابق , ج2 , ص 708 .

(2) المؤرخ مجهول , المصدر السابق ,ج2, ص – ص 267 – 268 .

ولعل سياسة السلطان صلاح الدين هذه مع الحجاج الصليبيين لها ما يبررها ولعله خشي من حملات صليبية جديدة خاصة وأن السلطان صلاح الدين لم يقدم على مصالحة الصليبيين مختاراً , وإنما اضطرته الظروف إلى ذلك اضطراراً , ولو سارت الأمور على ما يشتهي لاستمر في الجهاد حتى تتحقق غايته الكبرى , وهي تطهير بلاد الشام من الصليبيين ويقسم المؤرخ أبن شداد – وهو رفيق السلطان صلاح الدين وجليسة – على أن السلطان لم يرغب في الصلح " لكنة رأي المصلحة في الصلح لسآمة العسكر وتظاهرهم بالمخالفة " وبذلك لقن السلطان صلاح الدين الملك ريتشارد درساً في التسامح والعدالة [1] .

---

(1) المؤرخ مجهول ,المصدر السابق ,ج2, ص 235 ؛ عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص 708 .

2-نتائج الحملة الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي والعلم المسيحي :

كان للحملة الصليبية نتائجها على العالمين الإسلامي والمسيحي على حد سواء وفي نواحي متعددة سياسية وعسكرية واقتصادية , ومن خلال استقرائنا للمصادر والمراجع التاريخية يمكن أجمالها فيما يلي , بالنسبة للعالم الإسلامي.

فشل لحملة الصليبية الثالثة لأنها لم تحقق من النتائج ما يتناسب مع ما بذل فيها من جهد ضخم , فضلاً عن أنها لم تنجح في الوصول غالى الهدف الأساسي من مجيئها إلى الشرق وهو استرداد مدينة القدس والمدن والحصون التي أخذها السلطان صلاح الدين من الصليبيين في بلاد الشام [1] .

أعاد الطريق بين مصر والشام مما يعني ضمان سيطرة الأمن في البحر الأحمر فضلاً عن منع محاولات التعاون العسكرية بين دولتي النوبة والحبشة النصرانتيين ومملكة بيت المقدس , بذلك صار البحر الأحمر إسلاميا خالصاً .

أن السيطرة الإسلامية على البحر الأحمر منع الصليبيين من تهديد الأماكن المقدسة للمسلمين (في مكة المكرمة والمدينة المنورة) فضلاً عن الأهمية الاقتصادية لهذه البحر [2] .

أن السيطرة على اليمن كان لها أهميتها من الناحية السياسية والاقتصادية فمن الناحية السياسية أن السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما سيطر على اليمن أتخذها ملجأ له إن خسر الحرب مع القائد نور الدين محمود ومن ثم مع الصليبيين أما الأهمية الاقتصادية لليمن فيأتي منها اللبان والبخور , كما أن مدينة عدن كانت .

---

(1) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص 711 .

(2) حسين (حسين عبد الوهاب) , مقالات و بحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية , دار المعرفة الجامعية , 1997 , ص – ص 191 , 205 .

سوقا كبيراً لتجارة الهند وزنجبارا الحبشة وعمان وغيرها , ومن ثم فان السيطرة على مدينة عدن كان مما يوفر موارد دفع الضرائب [1] .

توحيد الجبهة الإسلامية[2] حيث تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من بناء جبهة أسلامية امتدت من شمال العراق حتى اليمن جنوباً ومن الفرات في الشرق حتى نهر النيل في الغرب [3] .

أعادة مدينة القدس إلى العالم الإسلامي بعد أن كانت في قبضة الصليبيين أكثر من 88 عاماً , ولقد قام السلطان صلاح الدين بإعادة تشيد أسوارها وتحصنياتها , وتظهير المسجد الأقصى من كل الاثار التي خلفها الصليبيون [4] .

سيطرة المسلمين على بلاد الشام مما ضمن تأمين طريق الحج وسلامة الحجاج المسلمين من هجمات الصليبيين [5] .

سقوط الخلافة الفاطمية بعد حياة طويلة استمرت نحو قرنيين من الزمان (358 – 567 هـ / 969 – 1171 م) وما ترتب عنها من إلغاء المذهب الاسماعيلي الشيعيى وتحول مصر إلى المذهب السني الخلافة العباسية [6] .

---

(1) الحويري , بناء الجبهة الإسلامية , ص 163 .

(2) انظر إلى : دولة السلطان صلاح الدين في الملحق رقم (5) ، (9) صـــ 197 ، 201 .

(3) قاسم , المرجع السابق , ص 179 .

(4) أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج9 , ص 184 .

(5) حسين عبد الوهاب حسين , المرجع السابق , ص 204 .

(6) قاسم , المرجع السابق , ص 174 .

قيام الدولة الأيوبية بزعامة السلطان صلاح الدين الأيوبي بدورها التاريخي وهي محاربة الصليبيين وحث المسلمين على الجهاد , ومحاربة التشيع عن طريق نشر الصوفية لتعبئة المشاعر الدينية ضد الأعداء [1] .

أتبع السلطان صلاح الدين الأيوبي سياسة تدمير التحصينات حيث أدرك السلطان صلاح الدين أهمية التحصينات في المدن والقلاع بالنسبة لسيطرة الصليبيين على بلاد الشام , إذ أن هذه الحصون كانت ركيزة لأمن المملكة فضلاً عن دعمها لقدرة الصليبيين على حكم الإقليم وقت السلم , فإذا حدث أن اختفت هذه الاستحكامات أو المعاقل الصليبية , لم تعد هناك وسيلة لإعادة الحكم الصليبي سوى عن طريق الاسترداد الشامل الذي كان يعنى أنفاقا مالياً ضخما وإمدادا هائلاً من القوى البشرية [2] .

فضلاً عن كل هذه النتائج الايجابية فإن نجاح العالم الإسلامي في مواجهة الصليبيين كان سلبياً على الجانب الإسلامي فمن ناحية سياسية تضاءلت قيمة الخلافة العباسية سياسياً ودورها التاريخي حتى أصبحت الخلافة مجرد رمز ديني وواجهة شرعية يستمد منها السلطان صلاح الدين التأييد لكسب ولاء جمهور الأمة [3] .

ومن الجانب الاقتصادي تعين على الدولة الإسلامية أن تحشد كل إمكانيتها ومواردها لخدمة المجهود الحربي مما كان له أثره في إفراز نموذج الدولة العسكرية الإقطاعية [4] .

____

(1) قاسم , المرجع السابق , ص 205 .
(2) براور (بوشع) , عالم الصليبيين , ترجمة قاسم عبدة قاسم , محمد خليفة حسن , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , ط 1 , 1999 , ص 65 .
(3) قاسم , المرجع السابق , ص 176 .
(4) المرجع نفسه , ص 226 .

أما بالنسبة للعالم المسيحي فقد أدى فشل لحملة الصليبية الثالثة إلى أهمال الغرب الأوربي لقضية المسيحية وهي استرداد بيت المقدس من المسلمين فيما بعد.
فقد أصبحت مملكة بيت المقدس تمثل شريطاً صغيراً على ساحل البحر المتوسط يمتد من مدينة يافا إلى مدينة صور نحو تسعين ميلا فقط , ولم يتجاوز عرضها عشرة أميال , كما فقدت المملكة سماتها وتقلصت حدودها , ولذا يمكن تسميتها مملكة عكا الصليبية , إلا أن الصليبين أصروا على إطلاق التسمية القديمة عليها , على الرغم من أن المملكة الجديدة فقدت سمات الدولة المنظمة وما اشتهرت به في عهدها الأول [1] .

وعلى الرغم من أن أمراء هذه المملكة أصروا على تسمية أنفسهم بألقاب الملوك كما كان الحال من قبل في عهد المملكة القديمة [2] . إلا أنها صارت مملكة بحرية بعد أن فقدت أراضيها الداخلية واقتصر نفوذها على الشريط الساحلي , وبهذا تكون المملكة الصليبية الجديدة قد صارت بمأمن من الغارات المفاجئة من الداخل , كما أنها أفادت إلى حد كبير من القوة البحرية الغربية التي أرتادت أساطيلها البحر المتوسط , مثل أساطيل (جنوه – بيزة – البندقية) والتي نجحت في الحصول على كثير من المنح والامتيازات داخل مدن وموانى المملكة [3] .

____

(1) الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص 413 .

(2) المرجع نفسه , ص 413 .

(3) Grousset , Op , Cit , P. 124 .

صارت المملكة الجديدة أكثر ارتباطاً بالغرب الأوربي وأكثر اعتماداً على أساطيل هذه الجاليات التجارية الايطالية التي نجحت في أن تجعل المدن الساحلية الصليبية مواني تجارية كبيرة , ولهذا فقد امتد عهد المملكة الجديدة نحو قرن آخره من الزمان , إلا أن ملكها الجديد هنري دعا شامباني سار على المبادئ التي وضعها البيت البولوني (بلدوين الاول وبلدوين الثاني وفولك الانجوني وعموري الاول) [1] .

فتور الحماسة الصليبية في المملكة الصليبية بسبب العامل الاقتصادي الذي كان يعتمد على تجارة المسلمين , ولقد كانت هذه التجارة تحت سيطر المدن التجارية الايطالية وجالياتها في بلاد الشام , وكانت هذه الجاليات ضد فكرة الحرب لضمان استمرار مصالحها في الشرق [2] , وهناك عامل آخر ساعد على جعل الصليبيين يميلون إلى المسالمة والمهادنة مع المسلمين في تلك الفترة وهو ازدياد عوامل الانشقاق والفرقة بين صليبي الشام فضلاً عن النزاع الصليبي الأرميني الذي دب بين صليبي أنطاكية والأرمن واستمر مدة طويلة [3] .

عدم وجود القيادة الموحدة في صفوف الصليبيين منذ انطلاق الحملة من أوروبا حتى قدومها إلى الشرق , فكان كل ملوك أوروبا يريد أن يتزعم القيادة على عكس المسلمين حيث كان السلطان صلاح الدين يقود المسلمين تحت قيادة موحدة في المشرق .

---

(1) الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص 414 .

(2) سليمان (كميل عزيز صليب) , العلاقات بين المسلمين والصليبيين فيما بين الحملتين الثالثة والخامسة (588 هـ – 615 هـ / 1192 – 1218 م) , رسالة دكتورا غير منشورة , كلية الآداب , الاسكندرية , 2001 , ص 64 .

(3) رنسيمان, المرجع السابق , ج3 , ص – ص 162 – 164 .

أن الاستيلاء على جزيرة قبرص , أمن الملك ريتشارد من حيث الجوهر , دون أن يدرك ذلك بنفسه أهم نجاح لعموم الحملة الصليبية الثالثة فإن مملكة إل لوزجنان التي نشأة بعد وقات قصير في جزيرة قبرص , قد تحولت فيما بعد إلى حصن بالغ لأهمية لممتلكات الصليبيين في القسم الشرقي للبحر المتوسط التي لم تستطع إلا بفضل الدعم العسكري من جزيرة قبرص أن تدوم في الشرق زهاء مائة سنة أخرى [1] .

كان الملك ريتشارد قد خلق لنفسه عداوات كثيرة لم تقتصر على الملك فيليب اوغسطس ملك فرنسا بل مع الإمبراطورية البيزنطية عندما استولى على جزيرة قبرص , بالإضافة إلى رئيس أساقفة بنفيس الذي عاد إلى فرنسا خوفاً من أن يقع في قبضة الملك الانجليزي , مما دفع الأخير إلى إرسال من يقتله هناك , مما أثارمخاءف الملك الفرنسي ذاته , فضلاً عن عداوته للإمبراطور الألماني والكثير من الدوقات والبارونان الذين كان على رأسهم ليوبولد دووق النمسا الذي طرد من عكا [2] . ونتيجة لكل هذه العداوات هناك من يرجع ما حدث للملك ريتشارد إثناء عودته – القيام بأسرة – إلى المؤامرة دبرت له بإحكام في مملكة فرنسا بين الملك الفرنسي ودوق النمسا فضلاً عن ذلك التحالف بين فرنسا وألمان ضد الملك ريتشارد [3] .

---

(1) زابوروف , المرجع السابق , ص 208 .

(2) المؤرخ مجهول , المصدر السابق , ج2 , ص 282 .

(3) حسن , المرجع السابق , ص 325 .

أن هذه الحملة قد قامت بتقديم العون السريع للصليبيين في بلاد الشام فضلاً عن أنها قد منعت السلطان صلاح الدين من أن يجني ثمار انتصاراته في معركة حطين

واسترداد مدنية القدس , باستثناء ذلك تعتبر هذه الحملة من الوجهة العملية فاشلة [1] .

نشوء العداوة بين دول أوروبا الغربية ذاتها , حيث أن المنازعات والصراعات بين كل من فرنسا وانجلترا في القارة الأوروبية قد نقلت إلى الشرق بين معسكر الفرنسيين وحلفائهم (المركيز كونراد دى مونتفرات والجنونيين)بين الانجليز بقيادة الملك ريتشارد و حلفائه (الملك جاى لوز جنان و البيازنة) حيث كان لها تأثيرها على الأحداث الحملة الصليبية الثالثة [2] .

بروز دور السلطة الزمنية (الملوك والأمراء) على حساب السلطة الدينية (الباباوات ورجال الدين) حيث كان قادة الحملة هم الملوك والأمراء الفرسان وليس للبباوات أي دور رئيس في هذه الحملة على الرغم من أنه كان لهم دورا كبيراً في إعداد الحملة , فضلاً عن ذلك أداء إلى ازدياد نفوذ الملكية في القارة الأوروبية على حساب البابوية وبذلك تغير ميزان القوة السلطة الدينية لحساب السلطة الزمنية [3] .

التحالف والتعاون المشترك بين السلطان صلاح الدين الأيوبي الإمبراطورية البيزنطية ضد الصليبيين في بلاد الشام وقادة الحملة الصليبية الثالثة, وما ترتب عليه من سعى الإمبراطورية البيزنطية من إعاقة الجيش الألماني عند مروره في أراضيها, لقد نتج عن هذا التحالف الإسلامي البيزنطي قيام الغرب الأوروبي بالحملة الصليبية الرابعة على الإمبراطورية البيزنطية [4] .

____

(1) الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص 412 .

(2) حسن , المرجع السابق , ص 320 .

(3) ربيع , المرجع السابق , ص 217 .

(4) عطا , المرجع السابق , ص 148 – 150 .

تقوية نفوذ الملكية الفرنسية , ودخول انجلترا في الصراعات الداخلية على العرش الانكليزية مما نتجه عن ضياع الممتلكات الانجليزي في القارة الأوروبية لحساب الملكية الفرنسية , إما ألمانيا فقد ظهرت أقوة من قبل حين تولى حكم ألمانيا

الإمبراطور هنري السادس (1190 – 1197) بزواجه من الأميرة كونستانس ورثية مملكة صقلية , إذ غدت الجزيرة وما فيها من ثروة وقوة الإمبراطور هنري السادس , فضلاً عن ذلك أصبحت ألمانيا الشمالية وزعماؤها الإقطاعيون العسكريون طوع إشارة الإمبراطورية , وبذلك أصبحت ألمانيا قوة لا يستهان بها في القارة الأوروبية [1] .

ظهور دور مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي وموقعها الجغرافي والاستراتيجي للصليبيين حيث أمدت السلطان صلاح الدين بالموارد الاقتصادية وبالرجال[2].

---

(1) فشر , المرجع السابق , ص 206 .

(2) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص 734 .

المبحث الثاني :

أثر الحملة الصليبية الثالثة على العلاقات بين الشرق والغرب

1-الأثر السياسي والعسكري.

2-الأثر الاقتصادي والديني والاجتماعي .

1-الأثر السياسي والعسكري :-

وفي 27 صفر 589 هـ / 3 مارس 1193 م توفى السلطان صلاح الدين الأيوبي في مدينة دمشق بعد مرض الم به فترة قصيرة, وكان رحيله خسارة فادحة للمسلمين فقد رحل في يوم " لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين ,

وغشي القلعة والبلد الدنيا من الوحشة ما لا يعلمه إلا الله تعالى" إذ كان السلطان صلاح الدين باعث الجهاد في نفوس المسلمين لتطهير الأراضي الإسلامية من دنس الصليبيين [1] . كما أن وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي أحدثت فراغاً سياسياً كبيراً في المنطقة الإسلامية إذ تفسخت دولته في الحال بين أفراد أسرته الذين اقتسموا الحكم بمنطق الوارثة لقد كان سبباً رئيسياً في نشوب الخلاف والصراع بين أبناء البيت الأيوبي [2] .

حيث ترك السلطان صلاح الدين عدداً كبيراً من الأبناء ودولة مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسة القسم الأول , شمل دمشق وفلسطين والساحل الشامي كله , وسيطر عليه الملك الأفضل نور الدين على , وهو الابن الأكبر للسلطان صلاح الدين أما القسم الثاني فيشمل مصر , ويسيطر عليه الملك العزيز عثمان ثم مدينة حلب , وجميع أعمالها وسيطر عليها الملك ظاهر غازي ثم حصن الكرك والأردن والجزيرة يسيطر عليها الملك العادل سيف الدين آخ السلطان صلاح الدين [3] .

____

(1) ابن شداد , المصدر السابق , ص 246 .

(2) قاسم , المرجع السابق , ص 181 .

(3) ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج9 , ص 225 .

إما الاقطاعات الآخر فقد وزعت على بقية أخوة السلطان صلاح الدين وأبناء بيته , إضافة لبيوت القديمة الحاكمة في الجزيرة مثل البيت الزنكي ممثلاً في عز الدين مسعود الأول بن مودود اتابك الموصل وأخيه عماد الدين زنكي بن مودود اتابك سنجار والبيت الارتقي ممثلاً في قطب الدين سقمان صاحب كيفا وأمد [1] .

من خلال الوضع السياسي المجزأ يمكننا أن ندرك ماصاب البيت الأيوبي فسرعان ما نشبت الصراعات والحروب بين أبناء بيت صلاح الدين , وذلك لان السلطان كان أوصى لابنه الأفضل نور الدين على صاحب دمشق بالسلطنة من بعده فصار بذلك صاحب السلطة العليا في الدولة كلها [2] , ألا أن الأفضل لم يكن له ما كان لوالده من مهارة في الشئون السياسية والعسكرية وخبرة في حكم الدولة الأيوبية فقد وصفه المقريزي بأنه " اقبل على اللعب ليله ونهاره وتظاهر بلذاته " [3] .مما فسح المجال لتقدم أخوته غليه فقد استغل أخوه العزيزة عثمان فرصة كراهية الناس له وفرار مستشاريه إلى مصر يستنجدون به ضد الأفضل فخرج العزيز من مصر في 590 هـ/ 1194 م وشرع في محاصرة مدينة دمشق الأمر الذي أرغم الأفضل على الاستنجاد بعمه الملك العادل [4] . الذي لم يتوان عن الحضور للاجتماع بالطرفين وانتهى الأمر بالصلح بينهما , ولكن الصراع اندلع من جديد بين الإخوة , ما ترتب عليه سيطرة

____

(1) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , 719 .

(2) ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج9 , ص 227 .

(3) المقريزي , السلوك بمعرفة دول الملوك , ج 1 , 115 .

(4) ابن واصل , المصدر السابق , ج3 , ص – ص 30 – 31 .

الملك العادل على مدينة دمشق , فحين اقتنع الملك العزيز عثمان بلقب السلطنة وظلت بيده مصر ومدينة القدس , ونفى الافصل إلى ضرخد , وبعد ذلك نجح الملك العادل في توحيده الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العزيز عثمان بمصر في اوخر سنة 1198 م [1] .

ويبدوان الطابع العام لسياسة الأيوبيين كان يميل إلى مهادنة الصليبيين , لكي يتفرغوا لمنازعاتهم الداخلية حول العرش خلال هذه المرحلة على الأقل , وعلى الرغم

من تولي الملك العادل الحكم فان جهوده العسكرية ضد الصليبيين كانت جهود دفاعية تأتي كرد فعل للهجمات والحملات الصليبية [2] .

ومن الآثار السياسة تطور النظم الإقطاعية التي اعتمد عليها السلطان صلاح الدين في وخلفائه من بعده فقد تبنى السلطان هذه النظام وكان هو السيد الإقطاعي لجميع الأمراء الإقطاعيين , فقط من حقه عزل أي أمير عن إقطاعه إذا تخلف عن أداء واجباته العسكرية في الجهاد ضد الصليبيين , ولم يكن ذلك التنظيم الاقطاعى من النمط الذي يقوى نفوذ الأمراء الإقطاعيين على حساب السلطة المركزية , وإنما كان وسيلة فعالة لإحكام سيطرة السلطان على الأمراء التابعيين له تحت وطأة العزل والحرمان من الإقطاع [3] .

____

(1) الشيخ , عصر الحروب الصليبية , ص – ص 416 – 417 .

(2) قاسم , المرجع السابق , ص – ص 181 – 182 .

(3) المرجع نفسه , ص 189 .

أما بالنسبة للصليبيين في الشرق , فقد كانت مملكة بيت المقدس مجرد مملكة بحرية الأمر الذي جعلها أكثر ارتباطا بالغرب الأوروبي وأكثر اعتماداً على حماية الأساطيل الايطالية في الدفاع عن كيانها [1] .

فضلاً عن مولد مملكتين جديدتين في شرق حوض البحر المتوسط , هما مملكة قبرص ومملكة أرمينية الصغرى , وترجع أهمية هذه الممالك إلى ما ترتب عليها من تطورات خطيرة في تاريخ الحروب الصليبية , إذ قدر لهاتين المملكتين أن تنهضا

بأعباء محاربة المسلمين أمدا طويلاً في أواخر العصور الوسطى , ولقد كان كل من عموري لوزجنان ملك مملكة جزيرة قبرص وليوا الثاني ملك أرمينية قد توج ملكاً على بلادهم بعد اتصال وتفاهم مع هنري السادس إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة من ناحية والبابوية من ناحية أخرى , وقد ترتب على ذلك أن أصبحت مملكتين أرمينية الصغرى وقبرص تابعيتين للإمبراطورية الغربية , مما ترك أثرا بعيد المد في مستقبل العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية من جهة ومملكتي قبرص وأرمينية الصغرى من جهة أخرى [2] . أما الأهم الأثر في الغرب للحملة هو الصراع بين فرنسا وانكلترا وما ترتب عليه من صراع في أوروبا وتحالفات أدت إلى تغير خريطة أوروبا , فضلاً عن ذلك عجز أوروبا عن توحيد جهودها نحو حركة الصليبية وكشف النزاع بين المدن الايطالية (جنوه – بيزا) فضلاً عن مؤامرت المركيز كونراد مونتفرات والملك جاي لوزجنان كل منهما ضد الأخر من اجل (تاج مملكة بيت المقدس) الذي لم يكن إلا رمزا , كذلك ظهرت قوة الملك

____

(1) عاشور , الحركة الصليبية , ج2 , ص –ص 711 – 712 .

(2) المرجع نفسه , ج2 , ص 716 .

ريتشارد قلب الأسد ظهورا لا فائدة منه , كما كشافات عن انشغال الملوك الأوروبيين برعاية مصالحهم الأسرية و الإقليمية بحيث لم يقدموا رعاياهم من للصليبيين شيئاً جوهريا مفيدا نافعا , بذلك بدأت الحركة الصليبية تفقد صبغتها الأوروبية الشاملة التي اصطبغت بها في بادئ الأمر [1] .

---

(1) بطران ، المرجع السابق ، ص 217 .

أما بالنسبة للأثر العسكري فقد اعتمد السلطان صلاح الدين وخلفاؤه على الأكراد والأتراك والعرب في الجيش بدلاً من السودانيين والأرمن بسبب ولائهم لقادتهم ، كذلك اعتمدوا على فرقة المغاربة في البحرية وبناء الأسطول بسبب خبراتهم الواسعة في هذا المجال [1] .

في مجال البحر قام السلطان صلاح الدين بالاهتمام بالأسطول اهتماما كبيراً, لأحياء النشاط للبحرية في دولته , من ذلك انه افرد البحرية ديواناً خاصاً للانفاق عليها عرف باسم ديوان الأسطول , كما أهتم السلطان بتحصين السواحل حيث قام بتحصين الثغور المصرية المطلة على البحر المتوسط مثل الإسكندرية , ودمياط , وتحسين , وهي المدن الساحلية التي كانت دائمة التعرض لهجمات الصليبين [2] وبذلك.

أصبح السلطان صلاح الدين يملك أسطولا قسمة إلى قسمين , قسم دفاعي يتألف من 50 سفينة تعهدت بحماية السواحل المصرية , وقسم هجومي يتألف من 30 سفينة واجبة مهاجمة الصليبيين [3] .

ونتيجة هذه الإصلاحات أصبح الأسطول في زمن السلطان صلاح الدين قوة ضاربة حيث تمكن السلطان صلاح الدين بعد معركة حطين من الاستيلاء على المدن الساحلية الشامية ليحرم الصليبيين من قواعدهم البحرية التي تربطهم بالغرب الأوروبي و تحقيق الاتصال البحري بين شطري دولته في مصر والشام , لذلك لعب الأسطول دورا كبيرا, إلا انه وبعد وفاة السلطان صلاح الدين قل الاهتمام بأمر الأسطول [4].

____

(1) الحويري , مصر في العصور الوسطى , ص 227 .

(2) عبد المجيد , المرجع السابق , ص – ص 114 – 115 .

(3) ابو شامة , المصدر السابق , ج2 , ص 22 ؛ المقريزي , السلوك لمعرفة دول الملوك , ص 72 .

(4) عبد المجيد , المرجع نفسه , ص 117 .

وخلال معركة برزت شخصية السلطان صلاح الدين القيادية في مجال الإستراتجية والتكتيك العسكري على الصليبيين وخير مثال على ذلك تمكنه من اقتلاع الصليبيين من صفورية وجذبهم إليه في حطين , وحرمانهم وإبعادهم من الماء وإجبارهم على القتال مما اداى إلى تغير الموازينة القوة لصالح المسلمين حيث حرر السلطان صلاح الدين المدن الساحلية ومدينة القدس مما أدى إلى رفع معنويات المسلمين .

بروز أسطورة السلطان صلاح الدين بعد معركة حطين رفع معنويات المسلمين [1] أما بالنسبة للصليبيين فنجد أن معركة ارسوف 589 هـ/ 1191 م عدت بمثابة انتصار يوازي معركة حطين لذلك أدت إلى رفع معنويات الصليبيين مما جعل احد المؤرخين الألمان المحدثين يقول أن أسطورة تفوق صلاح الدين قد انهارت ويرى مؤرخ بريطاني أخر انه تعرض لمهانة شخصية وإذلال عند الناس[2] .

الأمر المرجح أن بعض من الباحثين الأوربيين أعطى لتلك المعركة حجماً اكبر مما لها أصلاً , وجعل من الملك ريتشارد شخصية تساويه شخصية السلطان صلاح الدين , ونتج عن تلك المعركة على الصعيد الإسلامي تغيير الخطة العسكرية للمسلمين وإتباع سياسة تدمير بعض المواقع الإستراتيجية لخاضعة لسيادتها حتى لا تقع في قبضة الصليبيين [3]

---

(1) زكار , حطين مسيرة التحرير من دمشق الى القدس , ص170.

(2) عوض , المرجع السابق , ص 37 .

(3) المرجع نفسه , ص – ص 38 – 39 .

2-الأثر الاقتصادي والاجتماعي والديني :-

كان ظهور الإقطاع الحربي المرتبط بتوزيع الأراضي في صورة أقطاعات على الأمراء والأجناد مقابل ما يؤدونه من خدمة عسكرية للحكام , أثره في حماية الفلاحين من عسف السادة الإقطاعيين فضلاً عن اهتمام السلطان صلاح الدين وخلفائه بعمارة القناطرة والجسور من اجل النهوض بالزراعة عصب الاقتصاد في عهد بني أيوب [2] .

لقد صارت الأرض الزراعية مجرد مورد للحصول على النفقات اللازمة لتجنيد المقاتليين , ولم يعد أصحاب الإقطاعيات يهتمون بالأرض أو رفع كفاءتها أو وسائل الري والصرف وسائر أوجه العناية الواجبة بالأراضي الزراعية , وكانت النتيجة أن تدهورت إنتاجية الأرض الزراعية مما كان له أثاره السلبية على تدهور أحوال الفلاحين إلى مستوى أكثر تدنياً من ذي قبل. أما الأثر الزراعي على الصليبيين في بلاد الشام فإن قلة الموارد البشرية جعلتهم يعتمدون على الفلاحين من المسلمين [3] .

____

(1) بطران , المرجع السابق , ص 217 .

(2) عاشور , مصر والشام , ص 136 .

(3) قاسم , المرجع السابق , ص 209 .

وفى مجال الصناعة أهتم السلطان صلاح الدين بصناعات والحرف وأهمها صناعة النسيج التي أحرزت شهرة عالمية وبخاصة في غرب أوروبا , ألا أن هذه الصناعة

تدهورت في عهد خلفاء السلطان صلاح الدين , فمدينة تنيس احد المراكز الهامة لصناعة المنسوجات في مصر , قد دمرت في سنة 1227 م بأمر من السلطان الكامل الأيوبي , خوفاً من وقوعها في أيدي الصليبيين [1] .

لقد بقيت الحرف في ايداى الصناع وليست احتكار للدولة وبذلك أصبحت الحرف والصناعة وراثية في ايداى بعض الأسر يتوارثها الأبناء عن الإباء وبذلك حافظت على استمرار تلك الحرف وقصرها على أفرادها وأسرهم [2] .

فضلاً عن ذلك فان الصناعات والحرف التقليدية قد نقلت إلى الغرب الأوروبي ,وفى المجال التجاري فقد انتعشت التجارة سبب المسلمين والصليبيين في بلاد الشام , مما اداى إلى ظهور التخصص في الأسواق أي أن يكون لكل نوع من أنواع السلع سوقاً متخصصة بها وهو إجراء تنظيمي بدأ باتخاذه منذ عهد صلاح الدين الأيوبي , وهو ما أسهم على وجه التأكيد في زيادة النشاط الصناعي وتطوره , والذي ساهم بدوره في ازدهار التجارة القائمة على الصناعات في عهد السلطان صلاح الدين .

أما فيما يخص المعادن والأخشاب فقد احتكار السلطان المعادن والأخشاب وشدد على اختصاص الدولة لها , لأهميتها في صناعة الأسلحة [3] .

---

(1) الحويري , مصر في العصر الوسطى , ص 221 .

(2) الصلابي , صلاح الدين الايوبي , ص 344 .

(3) المرجع السابق , ص 347 ؛ قاسم , المرجع السابق , ص 213 .

وفيما يخص المكوس والضرائب غير الشرعية فقد الغي السلطان صلاح الدين المكوس وقد واكتفى بالموارد الشرعية من زكاة وخراج وغنائم وعشور التجارة, ولكن

خلفاءه أعادوا تلك الضرائب واعتمدوا عليها مما أداى إلى تدهور الحرف والصناعات وخراب الأسواق و ضمور التجارة الداخلية [1] .

أما عن التجارة الخارجية , فقد ازدهرت في العصر الأيوبي , وأصبحت مصر الوسيط التجاري بين الشرق والغرب الأوربي , وأدى السلام مع الصليبيين بعد عصر السلطان صلاح الدين إلى تبادل العلاقات التجارية بين المعسكرين الإسلامي والصليبي ما انعكس إيجابا على الأحوال لدى الجانبين [2] .

أصبح الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام اقتصاداً تجارياً بالدرجة الأولى يعتمد على التجارة مع المسلمين في المناطق الداخلية من بلاد الشام, وكانت هذه التجارة تحت سيطرة المدن التجارية الايطالية وجالياتها في بلاد الشام , وكانت هذه الجاليات ضد فكرة الحرب لضمان استمرار مصالحها في الشرق [3] . وأيقن حكام الإمارات الصليبية هذا المبدأ وخضعوا لتأثير هذه الجاليات حتى لا يفقدوا ما كانوا يحققونه من فائدة من وراء النشاط التجاري الذي تقوم به هذه الجاليات في مدنهم وموانيهم خاصة وان استرداد السلطان صلاح الدين لمعظم المواني والمدن الساحلية قد حرم الصليبيين من كثير من الأموال التي كانوا يحصلون عليها في شكل ضرائب في هذه المواني [4] .

____

(1) الصلابي , المرجع السابق , ص 347 ؛ قاسم , المرجع السابق , ص216 .

(2) العريني (لسيد الباز) , مصر في عصر الايوبيين , القاهرة , 1960 , ص 201 .

(3) عطية (حسين محمد) , إمارة انطاكية الصليبية و المسلمون (568 – 666 هـ / 1171 – 1268 م) الاسكندرية , 1989 , ص 249 .

(4) سليمان , المرجع السابق , ص 64 .

لقد هيمنت المدن الايطالية (بيزا – البندقية – وجنوا) على التجارة مع المسلمين حيث كان التجار الايطاليون يفدون على شغري دمياط والإسكندرية للحصول على سلع الشرق ونقلها إلى الغرب الأوروبي [1] .

ومما يذكر أن وفاة السلطان صلاح الدين لم تؤد إلى تغيير العلاقات بين الدولة الأيوبية و المدن الايطالية , مع أن البابا هدد إنوسنت الثالث (1198 – 1216 م) التجار الايطاليون بإصدار قرار الحرمان على كل من يزاول التجارة مع المسلمين , غير أن مدينة البندقية أوضحت له الضرر الذي يصب تجارتها من جراء إغلاق هذه الأسواق , الأمر الذي جعل البابا إنوسنت يوافق مراعاة لمصالحها على أن يأذن لها – بصفة مؤقتة على الأقل – بالإبقاء على الوضع الراهن , وقصر التحريم على المواد الحربية [2] .

وفي عهد السلطان العادل أخ صلاح الدين , أرسلت جمهورية البندقية سفارة إلى مصر لعقد معاهدة تجارية جديدة , فوافق عليها , وإصدار أمرا بأن يعامل التجار البنادقة باعتبارهم رعايا أمة صديقة , كما منحهم تخفيضاً في الضرائب فضلاً عن إقامة فندق جديد لهم [3] .

ولقد نتج عن تلك الامتيازات تعاظم نفوذ المدن الايطالية ثم الأوروبية عامة, في التجارة العالمية على حساب التجار المسلمين , وعلى الرغم من الازدهار التجاري الذي شهدته بلاد الشام في هذه الفترة إلا أن تعاظم الدور الأوروبي في التجارة العالمية في البحر الأبيض المتوسط .

---

(1) الحويري , مصر والشام في العصور الوسطى , ص 232 .

(2) هايد , تاريخ التجارة وغي الشرق , ج2 , القاهرة , 1991 , ص – ص 37 – 38 .

(3) المرجع نفسه , ج2 , ص 55 .

ثم في التجارة العالمية بعد ذلك , قد جاء على حساب التجار المسلمين وتقلصت دورهم الذي كان هو الدور الأكبر في التجارة العالمية [1] .

بروز أهمية بعض المدن الساحلية منها مدنية عكا أهم مواني التجارة العالمية والداخلية في بلاد الشام و مدينة صور مدينة تجارية هامة جاءت بعد عكا في

مكانتها التجارية , ولعبت كل من طرابلس وبيروت واللاذقية وصيدا دوراهاما في الانتعاش التجاري للكيان الصليبي , أما على الصعيد الإسلامي فقد برزت أهمية مدينة , الإسكندرية ودمياط [2] .

ومن الآثار الاقتصادية ازدهار طريق البحر الأحمر حيث كان تجار الهند والحبشة واليمن يفرغون سلعهم وبضائعهم في ميناء عيذاب على البحر الأحمر , ومن عيذاب ينقلون السلع على ظهور الجمال عبر صحراء مصر الشرقية إلى النيل عند مدينة قوص ومنها إلى ميناء الإسكندرية أو دمياط [3].

____

(1) قاسم , المرجع السابق , ص 213 .

(2) المرجع نفسه , ص214 .

(3) الحويري , ص 291 .

أما من الناحية الاجتماعية فقد برز دور الأكراد على الرغم من أنهم كانوا موجودين في المنطقة الإسلامية قبل قدوم الصليبيين ولكن أهميتهم الاجتماعية زادت بعد أن صاروا يمثلون أغلبية جيوش السلطان صلاح الدين , مما أداء إلى اشتعال الصراع بينهم وبين التركمان [1] .

ومن ناحية أخرى فقد أدت الحملة الصليبية الثالثة إلى قلة السكان في المستوطنات الصليبية بسبب نقص أعداد الحجاج القادمين من أوروبا , كما أن مدنا كثيرة تعرضت للتخريب من جانب المسلمين والصليبيين مثل حمص وبعلبك وحماة , وعسقلان والرملة وطبرية التي دمرها السلطان صلاح الدين (582 هـ / 1182 م) حتى لا يفيد الصليبيون من تحصيناتها إذا نجحوا في استردادها [2] .

وفضلا عن ذلك فقد أصبحت مصر مركزاً للحضارة الإسلامية حيث أن الأمن والاستقرار السياسي اداى والى هجرة سكان بلاد الشام إلى مصر مما اداى إلى زيادة عدد السكان في مصر و زاد من أهميتها السياسة الاقتصادية , ومن آثار الحملة عودة الحياه والازدهار مرة أخرى إلى المناطق التي حررتها جيوش السلطان صلاح الدين , فئ حين آن بعض المناطق التي دمرت الاعتبارات أمنية عسكرية , مثل مدينة عسقلان , خربت بعد أن كانت من المراكز الحضرية المزدهرة [3] .

---

(1) احمد (احمد رمضان) , المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية , القاهرة , 1977 , ص 55 .

(2) المقريزى , السلوك لمعرفة دول الملوك لمعرفة دول الملوك , ج1 , ص –ص 106 – 107 .

(3) قاسم , المرجع السابق , ص – ص 200 – 201 .

أما من الناحية الدينية فان أهم ما قام به السلطان صلاح الدين في هذا المجال هو القضاء على المذهب الشيعيى الاسماعيلى في مصر وتدعيم المذاهب السنية , مما أداى إلى سقوط الخلافة الفاطميةو تحويل مصر إلى الخلافة العباسية والى المذهب السني , لذلك لم يستسلم الشيعة في مصر لتلك السياسة لأنهم أدركوا أن الأمر بالنسبة لهم يعنى الحياة أو الموت , فقاموا بالثورات ضد السلطان صلاح الدين بمشاركة القوة الخارجية متمثلة في الصليبيين والباطنية في بلاد الشام [1] .

وكان أول ما عمد إليه السلطان صلاح الدين وخلفاؤه هو إغلاق معاهد لدعوة الشيعية الاسماعيلة , وتأسيس المدارس السنية , فانشأ السلطان صلاح الدين المدارس على غرار مدارس حلب ودمشق في القاهرة والإسكندرية , وغيرها من المدن الكبرى [2] . وعلى الرغم من أن السلطان صلاح الدين كان شافعي المذهب, فقد حرص على أن يكون لكل مذهب مدارسه وقضايه , وبقيت هذه العادة من بعدة , وساعدته هذه المدارس على التخلص من كل آثار الشيعة وكذلك تقريب علماء السنة الذين كانت عليهم مهمات أخرى هي شحن روح الحماس في نفوس المسلمين للدفاع عن بلادهم ودينهم ضد الصليبيين [3] . وقد نتج عن أنشاء المدارس الاهتمام بالعلم والعلماء من جانب السلطان صلاح الدين وخلفائه وبذلك صارت مراكز للحياة العلمية والفكرية [4] .

وكان للحماسة السلطان صلاح الدين في القضاء على المذهب الشيعيى آنذاك الأثر السيئ في بيع وحرق كتب مكتبة القاهرة الفاطمية مما اداى إلى آثار بعيدة المدى و جنوح الحياة الفكرية والثقافية إلى المحافظة [5] .

____

(1) عاشور , مصر والشام , ص 28 .

(2) زيادة (محمد مصطفى) , الدولة الايوبية , القاهرة , 1952 , ص 477 .

(3) الحويري , مصر في العصر الوسطى , ص 220 .

(4) عاشور , المرجع السابق , ص 129 .

(5) قاسم , المرجع السابق , ص 218 .

ومن الظواهر الأخرى التي ظهرت ظاهرة التصوف والإكثار من بناء منازل للصوفية عرفت باسم الخانقاوات , , وإنشاء المؤسسات اللازمة لخدمتهما وقف الأوقاف السخية عليها [1] .

ومن الآثار الدينية اهتام السلطان صلاح الدين بالمحافظة على شعائر الإسلام في الإمبراطورية البيزنطية , حيث أهتم السلطان صلاح الدين وخلفاؤه بعمارة جامع القسطنطينية وأرسل المقرئين أليه وحظي المسلمون بالرعاية والحماية من السلطات

البيزنطية , ومن جانب البيزنطية كذلك أهتم الإمبراطور إسحاق بأمر الكنائس الارثوزكس والشعائر المسيحية الارثوزكس , كما لقي المسيحيون الاثوزكس وخاصة إمارة انطاكية معاملة طيبة , بل أن السلطان صلاح الدين حول بعض الكنائس التي استولى عليها إلى المذهب الارثوذكسى وكانوا يفضلون حكم المسلمين على حساب مسيحي الغرب الكاثوليك [2] .

ومن الآثار الدينية ظهور العداء والخلاف المذهبي بين الأرمن والبيزنطيين حيث قام الارمن بمساعدة القوات الألمانية عند مرورها في الأرض البيزنطية كما ساعدوهم في احتلال مدينة فيليو بوالس [3] .

____

(1) قاسم , المرجع السابق , ص 203 .

(2) عطا , المرجع السابق , ص 91 , ص 149 .

(3) غانم , المرجع السابق , ص 23 .

أما الأثر الديني على الغرب الأوروبي فقد استفاد ملوك فرنسا وانجلترا فرصة حاجتهم إلى الأموال بسبب المشاركة في الحملة الصليبية الثالثة تلبية لرغبة البابوية ففرضوا ضريبة العشور على الممتلكات المنقولة لرجال الكنيسة و بذلك حطموا مبدأ الاعفاء من الضرائب الذي كان يتمتع به رجال الدين في أوروبا وضعوا أساس سابقة خطيرة تمسك بها الملوك , وقد عارض البابوات تلك الخطوة, رفضوا أن تصبح الممتلكات الكنيسة موارد للدخل القومي في بلدان غرب أوروبا [1] .

أن فشل الحملة الصليبية الثالثة جعل الكنيسة الغربية تؤمن منذ بداية القرن الثالث عشر بعدم جدوى الحملات المسلحة لفرض المسيحية بالقوة , فاتجهت نحو البعثات

التنصرية لنشر مبادئ المسيحية بين المسلمين آو محاولة تنفيذ مؤامراتها عن طريق السياسة السلمية والإقناع[2].

---

(1) عاشور , الحركة الصليبية , ج 2 , ص – ص 1010 – 1011 .

(2) المرجع نفسه , ص 1012 .

الخـاتمة

بعد دارسة الحملة الصليبية الثالثة وأثارها على العلاقات بين الشرق والغرب (585هـ-588هـ/ 1189-1192 م) يمكن الخروج بالعديد من الدلالات والنتائج ومن أهمها إن صحوة المسلمين وخاصة بعد فشل الحملة الصليبية الثانية وضم مدينة دمشق إلى الجبهة الإسلامية تحت قيادة القائد نور الدين محمود بسبب سوء الأوضاع الداخلية في مملكة بيت المقدس وفضلا عن عدم استجابة ملوك أوروبا إلى البابا وصليبين الشرق من اجل دعم الحملة لذلك اكتفوا هؤلاء بتقديم مساعدات مالية فحسب.

لقد تمكن بذلك القائد نور الدين محمود من السيطرة على مصر وبذلك أصبح الصليبيون في الشرق في موقف حرج.

ازدادت مصاعب الصليبيين بعد أن أصبحت القيادة الإسلامية الموحدة تحت زعامة السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث تخلص من نزاعه مع الأمراء الزنكيين بالموصل والشام وبذلك تفرغ للصليبيين لضربهم في معا قلاهم في بلاد الشام.

وقد تمكن السلطان صلاح الدين من هزيمة الصليبيين في معركة حطين, و فتح مدينة بيت المقدس, وأعلب المدن الساحلية في بلاد الشام, وبذلك قامت الحملة الصليبية الثالثة لاستعادة مدينة بيت المقدس من المسلمين ومنع السلطان صلاح الدين من استرداد باقي المدن الصليبية في بلاد الشام.

كان للبابوية دور هام في إعداد الحملة في غرب أوروبا فقد استخدم البابا وسائل إقناع عن طريقة المبشرين في كل من (فرنسا –ألمانيا – انجلترا) ولكن الحملة لم تكن في أوروبا بقيادة السلطة البابوية بل انطلقت عن طريق السلطة الزمنية أي من خلال سلطة الملوك, والأمراء, وليس البابا وكنيسة. وتعد الحملة الصليبية الثالثة حسب وصف المؤرخين لها على أنها حملة علمانية تحت قيادة السلطة الزمنية وبذلك يعد المحرك الأساس للحملة ليس الهدف الديني بل من اجل الحصول على المجد بان يكون كل واحد من أمراء وملوك أوروبا له دوره التاريخي في الدفاع عن القضية الصليبية خاصة ملوك الحملة , وكان من أهم نتائج هذه الحملة أيضا هي

فشل الحملة في استرداد مدينة بيت المقدس, ولكنها من جانب آخر منعت السلطان صلاح الدين من جني ثمار الانتصارات التي حققها قبل مجي الحملة ,كذلك انتقل النزاع بين ملكي فرنسا وانجلترا من القارة الأوربية إلى الشرق.

وفيما يخص آثار هذه الحملة فقد كان من أهمها قيام الدولة الأيوبية تحت زعامة السلطان صلاح الدين الأيوبي, والانتقال من مرحلة الجهاد إلى مرحلة تأسيس الدولة , و كذلك بروز دور المدن التجارية الايطالية وسيطرتها على البحر المتوسط مما يعنى سيطرتها على التجارة العالمي .

وهناك تأثير بالغ الأهمية وهو توحيد المملكتين المسيحيتين في الشرق وهما مملكة عكا, ومملكة آل لوزجنان في جزيرة قبرص و بذلك و أصبح المسلمون مجرد مدافعين فقط.

أما على الميدان الاقتصادي فقد برز النظام الإقطاعي عند المسلمين ,أما على الجانب الديني فقد ترتب القضاء على المذهب الشيعي في مصر وعودة مذهب الخلافة العباسية المذهب السني.

لقد أصبحت مصر ذات أهمية سياسية وإستراتجية مما جعل الصليبين يوجهون حملاتهم نحو مصر , ومهما يكن من أمر فمن الواضح أن الأثر البارز على العلاقات بين الشرق والغرب هو بروز نجم السلطان صلاح الدين الأيوبي بلاد الشرق الإسلامي حيث انه لم يكن مجرد قائد عسكري .

بل يعد من ابرز الشخصيات التاريخية في العصور الوسطى , حيث عد في نظر بعض المؤرخين الأوروبيين يمثل معنى الفارس (knith) في العصور الوسطى , بذلك فقد ترك السلطان صلاح الدين الأيوبي آثرا واضحا في التاريخ الحروب الصليبية ,والتاريخ الأوربي الوسيط .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

1. Gregory VIII, "Letter to all faithful, October 29, 1187 in Benediet of peter borugh: the chroniele reigns of Henry II and Richard I. A. D. 1169-1192 Cdited from the cotton Mss By stubbs W. M. A., Vol, II, New York, 1990.

2. Terricus master of the temple "Letter to Pope Urban III and to all Christians, August 1187, in Benedict of peter borough the chronicle eigns of henty II and Richayd ad 1169-1162 edited from the cotton Mss By stubbs W. M. A., Vol, II, London, 1867.

ثانياً: المصادر:

ملاحظة: رتبت المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية لأسماء مؤلفيها المشهورين بها دون الأخذ بـ (أل ، أبو ، ابن ، ابن أبي) .

- القرآن الكريم .

1. ابن الأثير، (أبو الحسن علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية الموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

2. ـــــ ، الكامل في التاريخ، ج8، بيروت، دار الكتاب العربي، 1980.

3. الأصفهاني، (أبي عبد الله محمد بن حامد الشهير بعماد الدين الكاتب)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، تقديم: حامد زيان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1965.

4. البنداري، (الفتح علي بن محمد)، سنا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للأصفهاني، ج1، تحقيق: رمضان شيشة، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 1971.

5. ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 1971.

6. أبو شامة، (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي أحمد، ج1، القاهرة، 1278هـ.

7. ابن شداد، (بهاء الدين)، سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1 1964.

8. الصوري، (وليم)، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ج4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9. ابن الفرات، (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي)، تاريخ الدول الملوك، تحقيق: حسن محمد صلاح الدين، بيروت، دار الجيل.

10. فيتري، (جاك دي)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشلوي، عمان، دار الشروق، 1998.

11. ابن القلانسي، (أبو يحيى حمزة أسد بن علي بن محمد التميمي)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، سوريا، 1983.

12. القلقشندي، (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، القاهرة، 1919.

13. أبو المحاسن، (جمال الدين يوسف بن تغردي بردي)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1933.

14. المقريزي ، (أحمد بن علي)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: مصطفى زياد، ج1.

15. مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية صلاح الدين وريتشارد، مجموعة أوراف جمعها: وليم ستابز، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، ج1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.

16. ـــ، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء، تحقيق: جمال الدين محمد حلمي أحمد، ج3، القاهرة، 1973.

17. النويري، (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأدب في فنون الأدب، تحقيق: محمد محمد أمين، ومحمد علي حلمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج7، 1992.

18. ابن واصل، (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب في أخبار بن أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1957.

19. ياقوت الحموي، (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، 1979.

ثالثاً: المراجع العربية:

1. أحمد، أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، 1977م.
2. الجميلي، رشيد، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد زنكي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1970م.
3. الجنزوري، علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
4. حاطوم، نور الدين، تاريخ العصر الوسط في أوروبا، ج2، دمشق، 1982م.
5. حبشي، حسن، ذيل وليم الصوري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.
6. أبو حديد , محمد فريد,صلاح الدين الأيوبي وعصره , القاهرة ,دار الكتب المصرية,1927م.
7. الحريري، السيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية،القاهرة, دار الفكر,1899.
8. حسين، حسين عبدالوهاب ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية، 1997م.
9. حمزة، عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية بين الدول الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.
10. الحويري، محمود محمد، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1992م.
11. ـــ، مصر في العصور الوسطى السياسية الحضارية,عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ,2003.
12. الحياري، مصطفى، صلاح الدين قائد عصره، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1 1994م.

13. زكار، سهيل، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دمشق، دار حسان، ط1 1984م.
14. ــــ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج14، دمشق، 1994م.
15. زيادة ، محمد مصطفى، الدولة الأيوبية، القاهرة، 1952م.
16. زيان، حامد، الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، القاهرة، دار الثقافة، 1977م.
17. الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج1، عمان، دار أسامة، ط1 2004م.
18. سالم، السيد عبد العزيز، سحر السيد عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، 1999م.
19. السعداوي، نظير حسان، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957م.
20. ــــ، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور الوسطى، القاهرة، دار النهضة المصرية، ط1 1958م.
21. ــــ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة، 1961م.
22. أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ج2، دار الثقافة، ط2 1994م.
23. الشامي، أحمد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة، دار النهضة العربية، ط1 1985م.
24. الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، 1998م.
25. ــــ ، عصر الحروب الصليبية في الشرق، الإسكندرية، 2001م.
26. الصلابي، علي محمد ، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس,بيروت,دار المعرفة,ط1, 2008م.
27. عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط10 1986م.

28. ـــ، الحركة الصليبية، ج1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5 1999م.
29. ـــــ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية.
30. عاشور، فايد حماد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، الدوحة، دار الاعتصام، ط1 1977م.
31. ـــــ، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، القاهرة، دار المعارف، 1980م.
32. ـــ، قبرص والحروب الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 2002م.
33. عبد الحميد، رأفت، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1 1998م.
34. عبد القوي، زينب عبد الحميد، الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من 1189-1291م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1 1996م.
35. العريني، السيد الباز، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1، القاهرة، 1963م.
36. ـــ، مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، 1960م.
37. العسلي، بسام ، فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، مج4، دار الفكر، 1988م.
38. عطا، زبيدة محمد، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين، ط2 1994م.
39. عطية، حسن محمد ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (568-666هـ / 1171- 1268 م) ، الإسكندرية، 1989م.
40. علي، وفاء محمد، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1 1407هـ.
41. عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية (1095-1291م) ، بيروت، دار النهضة العربية، 1990م.

42. عوض، محمد مؤنس، الصراع الإسلامي الصليبي (معركة أرسوف) 587هـ / 1191م، عين للدراسات والبحوث والإنسانية والاجتماعية، ط1 1997م.
43. ـــ، الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 2000م.
44. غنيم ، إسمنت ، الدولة الأيوبية والصليبيون ، الإسكندرية ، 1990م.
45. قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م.
46. قلعجي، قدري، صلاح الدين الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1966م.
47. مقامي,نبيلة إبراهيم ,فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشرة والثالث عشرة , مطبعة جامعة القاهرة , 1994.
48. موسى، تيسير، نظرة عربية على غزوات الإفرنج، الدار العربية للكتاب.
49. اليسويعي ، الأب صبحي الحموي، معجم الإيمان المسيحي، دار الشرق، بيروت ، ط2 1998م.
50. يوسف ، عبد القادر أحمد، العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1969م.

رابعاً: المراجع المترجمة:

1. باركر، أرنست، الحروب الصليبية، ترجمة: (السيد الباز العريني)، بيروت، دار النهضة العربية ، د.ط ، د.ت .
2. براور، بوشح، عالم الصليبيين، ترجمة: (قاسم عبد قاسم، محمد خليفة حسن)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1999م.
3. رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: (السيد الباز العريني)، ج2، بيروت، دار الثقافة، ط3.
4. زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: (إلياس شاهين)، موسكو، دار التقدم، 1986م.
5. سميث، جوفاثان ريلي، ما الحروب الصليبية، ترجمة: (محمد فتحي الشاعر)، القاهرة، 1999م.
6. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: (محمد مصطفى، السيد الباز العريني)، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط6 ، د.ت .
7. كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط (قصة البداية والنهاية) ، ترجمة: (قاسم عبده قاسم)، ج1، القاهرة، ط1 1997م.
8. لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: (محمد مصطفى زياد)، ج2، القاهرة، 1956م.
9. ماير، إتش، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: (فتحي الشاعر)، ج1، القاهرة، 1999م.
10. موندوند، مكسيموس، تاريخ الحروب الصليبية المقدسة المدعوة حرب القدس، ترجمة: (مكسيموس مظلوم)، ج2، القدس، 1862م.
11. هايد، (ف) ، تاريخ التجارة في الشرق، ج2، القاهرة، 1991م.

خامساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Barlow , William I and the Normans and The Norman Conquest, London, 1965 .
2. Groussetr, Histoire de Croisades et du royaum fran Jerusalem, tom, 3. Paris, 1943.
3. Kelly (J. N. D) The Oxford Dictionary of popes (Oxford), 1996.
4. Michaud (M), Histoire Des Croisades, Vol, 2, Paris, 1849.
5. Roger of Hoveden Annals Comprising the History of England and other countries of Europe from A. D. 732 to 1201, Vol , 2 , from the Latin in with notes and illustration by Henry T. Relley, London, 1853.
6. Stevenson, the crusaders in the East, Cambridge, 1907.
7. Newby, Saladin in his time, London, 1983.

سادساً: الدوريات:

1. إسماعيل، ليلى عبد الجواد، "أضواء على الأكراد الهكارية في عصر صلاح الدين الأيوبي"، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، ع1، فبراير 1994م.

2. زبير، محمد، "معركة حطين من التمزق إلى الوحدة"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1989م.

3. زكار، سهيل، "وقائع معركة حطين"، مجلة تاريخ العرب والعالم، الدار العربية للنشر والتوثيق، ع106.

4. شاهين، رياض مصطفى أحمد، "أوضاع اليهود وموقفهم من الغزو الصليبي لبلاد الشام" (491–690هـ / 1098–1291م)، مجلة التاريخ والمستقبل، يناير، 2006م.

5. أبو طالب، عبد الهادي، "ذكرى مرور ثمانية قرون على معركة حطين"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، 1984م.

6. الطيان، سعيد، "موقعة حطين دراسة عسكرية"، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية للدراسات والتوثيق، 1967م.

7. العشماوي، محمد عبد المنعم، "من معارك العروبة الخالدة (معركة حطين)، مجلة منبر الإسلام، 1964م.

8. عطية، حسن محمد، "عصر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوروبا ومملكة بيت المقدس"، مجلة المؤرخ المصري، ع6، يناير 1991م.

9. محمد، سواري عيد، "ملامح من خطط صلاح الدين العسكرية في ضوء المفاهيم العسكرية الحديثة"، مجلة المؤرخ العربي، الأردن، 1990م.

10. المزروع، وفاء بن عبد الله، "النورمان وآثارهم السياسية والحضارية"، مقالة منشورة بمركز بحوث الشرق الأوسط، ع171، 1994م.

سابعاً: الرسائل العلمية:

1. بطران، محمد رمضان أحمد، دور الفرنسيين في الحروب الصليبية على بلاد الشام (1145 – 1240م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، القاهرة.
2. زيدان , عبدا لسلام محمد , الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام (1095-1189) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ,كلية الآداب ,جامعة حلب ,2004.
3. سليمان، كميل عزيزة صليب، العلاقات بين المسلمين والصليبيين فيما بين الحملتين الثالثة والخامسة (588-615هـ / 1192-1218م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، الإسكندرية، 2001م.
4. السيد، على احمد محمد، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين (531-260هـ / 1137-1223م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، فرع دمنهور، 2006 م.
5. الشناوي، فاطمة عبد اللطيف سيد، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر (531-690هـ / 1137-1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية، 1997م.
6. ـــــ، فيليب وأغسطس ملك فرنسا (1180-1223م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2003م.
7. ضبيع، صلاح محمد، دور الألمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام (540-626هـ / 1145-1229م).
8. عبد الحميد، منال محمد السيد، القوى البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط زمن الحروب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2000م.
9. عبد الوهاب، ياسر مصطفى، العلاقات بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام وغرب أوروبا (588-690هـ / 1187-1291م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، 2005م.

10. عشري، عثمان، الإسماعيليون في بلاد الشام في القرنين 12-13، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1975م.

11. غانم,حامد زيان,العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية, رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة القاهرة,1975.

ثامناً: الموسوعات الأجنبية:

- Encyclopedia, of the Meddle Ages, New York, 1995.

ABSTRACT

The third crusade (1189 – 1192 AD / 585 – 588 Hijra) is considered as one the imperialistic stages of the cruciferous of West European Imperialism that carried out in Islamic Arabic lands in order to perform its aims and greed by armed attacks on these lands, using religion as slogan and cover the thing which became a challenge to be confronted.

For this reason and importance we have chosen this campaign to recognize its motives and real causes as well as its results and effects on the relationship between the East and west.

Moreover the researcher's desire to plunging in the mid-history in general and the third crusade in particular, and also to be as a humble seed to enrich the Libyan and Arabic library provided that gate to be opened for the researchers who are eager to expanding and searching for farther information.

Among the drawbacks and obstacles that we had was that searching for the sources, references and studies related to this campaign for not being available in our libraries. We did our best to obtain them from the neighboring countries.

The study has required to be divided into four chapters as well as the introduction and the conclusion.

Chapter one, which was entitled the public political situations just before the third crusade campaign, comprises two objects of research – the first to elaborate the political situation in the Islamic Orient just before the third crusade campaign – the second, which entitled the third crusade on the sacred lands, is divided into three sections – the first section is allocated of the reasons of the campaign – the second

undertakes the role of papacy in incitement for the campaign – the third section is allocated to search the course of the campaign from the crusade west to the Islamic lands.

The third chapter, which is entitled the conflict between Muslims and the Crusades – From the siege of Acre to the piece making (conciliation) of Al Ramla (585 – 588 Hijra / 1189 – 1192 AD).

This involves two objects of research – the first undertakes the crusade siege of Acre – the second focuses on the conflict between Sultan Saladin and Richard the heart of the lion and its reasons.

Chapter four (the final one), which is entitled the results and effects of the third crusade campaign, comprises two objects of research – the first undertakes the results of the third crusade campaign on the Islam and Christianity Worlds – the second undertakes the effects of the third crusade campaign on the political, military, economic, social and religious relationship between the East and the West.

ABSTRACT

The third crusade (1189 – 1192 AD / 585 – 588 Hijra) is considered as one the imperialistic stages of the cruciferous of West European Imperialism that carried out in Islamic Arabic lands in order to perform its aims and greed by armed attacks on these lands, using religion as slogan and cover the thing which became a challenge to be confronted.

For this reason and importance we have chosen this campaign to recognize its motives and real causes as well as its results and effects on the relationship between the East and west.

Moreover the researcher's desire to plunging in the mid-history in general and the third crusade in particular, and also to be as a humble seed to enrich the Libyan and Arabic library provided that gate to be opened for the researchers who are eager to expanding and searching for farther information.

Among the drawbacks and obstacles that we had was that searching for the sources, references and studies related to this campaign for not being available in our libraries. We did our best to obtain them from the neighboring countries.

The study has required to be divided into four chapters as well as the introduction and the conclusion.

Chapter one, which was entitled the public political situations just before the third crusade campaign, comprises two objects of research – the first to elaborate the political situation in the Islamic Orient just before the third crusade campaign – the second, which entitled the third crusade on the sacred lands, is divided into three sections – the first section is allocated of the reasons of the campaign – the second

undertakes the role of papacy in incitement for the campaign – the third section is allocated to search the course of the campaign from the crusade west to the Islamic lands.

The third chapter, which is entitled the conflict between Muslims and the Crusades – From the siege of Acre to the piece making (conciliation) of Al Ramla (585 – 588 Hijra / 1189 – 1192 AD).

This involves two objects of research – the first undertakes the crusade siege of Acre – the second focuses on the conflict between Sultan Saladin and Richard the heart of the lion and its reasons.

Chapter four (the final one), which is entitled the results and effects of the third crusade campaign, comprises two objects of research – the first undertakes the results of the third crusade campaign on the Islam and Christianity Worlds – the second undertakes the effects of the third crusade campaign on the political, military, economic, social and religious relationship between the East and the West.